المملكة العربية السعودية
مكة المكرمة
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

قامت الطالبة بإجراء التصحيحات المطلوبة
محمد الحبيب الهيلة
١٦/٦/١٤١٠ هـ

١٦/٦/١٤١٠هـ

جامعة ... أحمد ...
١٦/٦/١٤١٠هـ

تمت التصحيحات المطلوبه
ليلى أحمد نجار
١٦/٦/١٤١٠هـ

المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي

دراسة تاريخية وحضارية

(٥٨٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٨م)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد

ليلى أحمد نجار

إشراف

الدكتور/ أحمد السيد دراج

١٤٠٩هـ/١٩٨٩م



القسم الأول



المغرب والاندلس في عهد المنصور الموحدي

(٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م)

هدف البحث اظهار أهمية هذه الفترة في تاريخ دولة الموحدين والتي لم تحظ بالاهتمام الكافيء سواء من الناحية السياسية او الحضارية ، والبحث عبارة عن مقدمة تظهر أهمية الموضوع وأهم مصادره المعتمد عليها في الدراسة ، ثم تمهيد أبرز المعالم الرئيسية لدولة الموحدين سياسياً وحضارياً قبل عهد المنصور ، وتناول الفصل الاول الاحوال الداخلية للمغرب والاندلس وسياسة المنصور إزاءها ، والفصل الثاني لجهاده ضد ممالك النصارى الاسبان ، وعرض الفصل الثالث علاقته بالمشرق وبالأيوبيين وبالكانم والبرنو ، وأختص الفصل الرابع بالنواحي الحضارية لتلك الفترة .

أهم نتائج الدراسة :-

- قيام الدولة على أساس ديني وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ارساء ابن تومرت لأسس الدعوة .
- نجاح عبد المؤمن في توحيد المغرب عامة .
- اسهمت تنظيمات واصلاحات ابي يعقوب في اقرار أمور الموحدين في المغرب والاندلس
- فشل جهاده ضد النصارى الاسبان في وبذه وشنترين .
- تميز عصر المنصور الموحدي بحركة التطهير الإسلامي والعودة للأصول الإسلامية الصحيحة.
- شهود عصر المنصور لبداية ثورة بني غانيه والتي كانت أحد عوامل سقوط الدولة فيما بعد .
- نجاح المنصور في ميدان الجهاد ضد النصارى الأسبان وإيقافه لحركة الغزو المسيحي لمدن الأندلس الاسلامية لفترة من الوقت .
- اتسمت علاقته بالعباسيين بطابع الكراهية ، وبالأيوبيين بطابع الفتور والحذر .
- وصول البلاد في عهد المنصور الى أوج ازدهارها الحضاري.
- يعتبر عصره العصر الذهبي لدولة الموحدين .
- حظى حاكمه بلقب نجم بني عبد المؤمن .

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَوْزِعنى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتى أَنْعَمْتَ

علىَّ وعلى والدىَّ وأَنْ أَعْمَلَ صَالحاً تَرْضَاهُ

وَأَدخلنى برحمتكَ فى عبادكَ الصَّالحين ..

سوره النمل الآية ١٩

الإهداء

إلى

والدي الحبيب

ووالدتي الحنونة

عربون محبتي ووفائي

إلى

كل من علمني فأنار لي طريقي

إلى

كل من رافقني في رحلتي

العلمية الطويلة في كل مكان

أهدي ثمرة جهدي العلمي

المتواضع ...

الباحثة

شكر وتقدير



الحمد لله حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال
وجهه وعظيم سلطانه والحمد لله على نعمه الكثيرة وآلائه العظيمة
التي لا تعد ولا تحصى والحمد لله على عونه وتوفيقه لي في بحث هذا الموضوع ،
ولا يسعني بعد الانتهاء منه إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العميق لأستاذي الجليل الدكتور
أحمد السيد دراج الذي كان لي الشرف الكبير بأن أحظى بإشرافه ومرافقته العلمية لي في دراسة هذا
الموضوع حيث لم يبخل علي بالتوجيه والإرشاد في اتباع المنهج العلمي الصحيح في البحث وطريقة استخراج
المصادر والمراجع لاستخراج المادة العلمية وتوزيعها وأعطاني الكثير من وقته وجهده ، فكان للدراسة
ومناقشته خير موجه لي بعد الله في بحثي فله مني كل التقدير والاحترام والعرفان بالجميل . كما
لا يسعني أيضاً إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل من الأعماق لمن مد لي يد المساعدة في كل مكان وساهم معي
في إخراج هذا البحث بالصورة التي هو عليها فللجميع مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان ،

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين القائل في كتابه { إقرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقْ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقْ، إقْرَأْ وَرَبُكَ الأكْرَمْ، اَلَذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمْ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ ماَ لَمْ يَعْلَمْ } (١).

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، نحمده ونستعينه ونستهديه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين، النبي الأمي محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن موضوع البحث وهو المغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي، من المواضيع الهامة والجديرة بالبحث والدراسة لما له من أهمية كبيرة في إيقاف حركة الاسترداد المسيحي للمدن الإسلامية الأندلسية لفترة من الوقت، مع شهوده لآخر إنتصارات المسلمين على أرض النصارى الأسبان.بالإضافة الى أنه العصر الذهبي للدولة الموحديه بدليل ما وصلته في عهده من رقي وازدهار في كافة المجالات. وعلى الرغم من أهمية هذه الفترة في تاريخ المغرب و الاندلس إلا أني لم أجد أحداً من الباحثين حتى الان بحثها بشكل متكامل يبرز ما خفي منها سواء في النواحي السياسية أو الحضارية. فكل ما كتب في عصر الموحدين من رسائل علمية إطلعت عليها مثل أطروحة عبد الله على علام لنيل درجة الدكتوراه عن الدولة الموحديه بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، وأطروحة محمد أحمد أبو

---

١) القرآن الكريم : سورة العلق، آية ١-٥.



الفضل لنيل درجة الدكتوراه عن شرق الاندلس في عصر الدولة الموحديه، واطروحة هشام أبو رميله لنيل درجة الدكتوراه عن علاقات الموحدين بالممالك النصرانية وبالدول الاسلامية في الاندلس. كما كتب محمد الرشيد ملين عن عصر المنصور الموحدي وهو المؤلف الوحيد في ذلك، ولكنها كتابة عامه يغلب عليها الطابع الادبي الى جانب أن المؤلف لم يقم بتوثيق المادة العلمية التي أوردها في كتابه، وعرضه للنواحي السياسية عرضاً عاماً دون مناقشة أو تحليل لها، كما أن معالجته للجانب الحضاري إكتفى بعرض الناحية الفكرية فقط وبشكل عام وغير متكامل ومن هنا فهي كتابه لا ترقى الى مستوى البحث العلمي الذي يعتمد عليه.

أما محمد عبد الله عنان في كتابه دولة الأسلام في الاندلس فقد تعرض للحديث فيه عن عصر الموحدين بشكل عام دون التعمق في عهد المنصور وبحثه البحث التام والمتكامل، وهناك أيضا محمد المنوني الذي إقتصر في كتابه على عرض العلوم والاداب لعصر الموحدين بصفة عامه دون التركيز على العصر الذهبي فيها،وقام حسن على حسن في كتابه الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس لعصر المرابطين والموحدين بسرد النواحي الحضارية بشكل عام، وفيما يتعلق بالدراسات الاسبانية لعصر الموحدين نلاحظ في كتابات المستشرق الاسباني ميرندا تعرضه للحديث عن دولة الموحدين أيضا بشكل عام. وفي مجال البحوث العلمية لم أحظ بأي مقالٍ أو بحث تعرض بصفة خاصة لعصر المنصور الموحدي، بالاضافة الى عدم وجود كتابات تبرز النواحي الحضارية لتلك الفترة بشكل خاص. فما أطلعت عليه في المؤلفات الموجودة عبارة عن سرد عام يظهر جانباً ويهمل جانباً آخر.

ولكل ما سبق ذكره كان ذلك حافزاً لي على إختيار عصر المنصور الموحدي موضوعاً لرسالتي لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي،

فما كتب من رسائل ودراسات لهذا العصر لا تساعدنا على الالمام التام بما وصلته الدولة من رقي وتقدم في عهده،وقد تطلب مني إبراز تلك الجوانب مع إلقاء المزيد من الضوء الساطع على تلك التي لم تنل حقها من البحث الكافي سواء في النواحي السياسية أو الحضارية، قضاء أوقات طويلة جداً في البلدان العربية، ثم الولايات المتحدة الأمريكية،وبريطانيا،وفرنسا وأسبانيا،وزيارة جامعاتها ومكتباتها والإطلاع على مابها من مخطوطات ومصادر ومراجع ودوريات، بهدف الحصول على مادة علمية جديدة تفيد موضوع البحث في كافة جوانبه (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م).

وقد قسمت البحث الى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، ثم ختمته بخاتمة تستعرض أهم ما توصل اليه البحث في عهد المنصور الموحدي من نتائج.

ففي المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع والدراسات المكتوبة فيه، وعدم وجود دراسة علمية ترقى الى مستوى متكامل يبرز أهمية تلك الفترة، والدافع في إختياري للموضوع، ومدى توفر المادة العلمية، والهدف من هذه الدراسة، بالاضافة الى التعريف بأهم المخطوطات، والمصادر، والمراجع الحديثة العربية والمعربة، والاجنبية، والبحوث، التي إعتمدت عليها في دراستي للموضوع.

وفي التمهيد تحدثت عن أحوال دولة الموحدين وبشكل عام من حيث أساس قيامها، والصعوبات التي واجهت أبن تومرت في سبيل تحقيق مشروعه، وجهود عبد المؤمن ثم ابنه أبي يعقوب في المغرب والاندلس، مع ما قام به كل منهما من إسهام حضاري قبل عهد المنصور الموحدي.

وخصصت الفصل الأول لإبراز الاحوال الداخلية للمغرب والاندلس في عصر المنصور الموحدي من حيث قيام ثورة بني غانيه وهدفها الاساسي، وما أثارته من قلاقل في المغرب الادنى وموقف المنصور منها، ودعم

العباسيين لها،وتبادل السفارات بين الفريقين،وخصوصاً في عهد يحيى بن غانيه، ثم محاولات المنصور القضاء على مركز نفوذ بني غانيه في الجزائر الشرقيه وإخضاعها لسلطانه، وفشل محاولاته تلك وأشرت الى وقت خضوعها الفعلي لسلطان الموحدين. وأعقبت ذلك بالحديث عن مغامرات قراقوش الغزي في المغرب،وأهدافه ومحاولته لتحقيقها بالتعاون مع بني غانيه تارة، ثم الدخول في طاعة الموحدين تارة، ثم العمل لحسابه تارة أخرى. وأشرت بالتحليل الدقيق لبعض النصوص الهامة عن أوضاع الغز وبني غانيه خلال الفترة من سنة ٥٨٦-٥٩٥هـ/١١٩٠-١١٩٨م، وهي الفترة التي لم يتعرض لإيضاحها من سبقني في الحديث عن بني غانيه والغز، الى جانب إبراز دور العرب الهلالية في تلك الفترة ومدى إسهامهم في مساعدة الثائرين ضد المنصور والعقاب الذي أنزله بهم وسياسته تجاههم وأثرها في المغرب الأقصى. كما أشرت أيضا الى الثورات الأخرى ضد المنصور مثل ثورة الزاب، وخروج بعض أفراد البيت الموحدي عليه وموقفه منهم، وثورة الاشل، وفتنة الجزيرى والقضاء عليها، بالاضافة الى شهود أواخر عصره لبداية ثورة ابن عبد الكريم في المهديه.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن جهاد المنصور ضد الممالك النصرانية، ومدى نشاط البرتغال في الغرب الاندلسي،وسقوط شلب في أيديهم، وعبور المنصور للجهاد ضد النصارى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م واستعادته لبعض الحصون،ثم إنسحابه في ذلك العام وأسبابه، وعودته لغزو النصارى في العام التالي ونجاحه في إستعادة بعض الحصون والمدن الهامة في الغرب الاندلسي. كما تحدثت عن جهاده ضد مملكة قشتاله وتحدي ملكها السافر له ولقائهما في الأرك، وغزوه النصارى في عقر دارهم وأثر ذلك في حركة الاسترداد المسيحي للمدن الاندلسيه. كما أشرت الى مملكة

نبرة وموقفها من المنصور، وعلاقتها بقشتاله وطابع تلك العلاقة، وموقف مملكة ارغونه النصرانية من المنصور،وتحالفها مع قشتاله ضد ليون ونبره عقب موقعة الأرك،وأسباب عدم دخولها المعركة الى جانب قشتاله، وشمل الفصل الحديث عن مملكة ليون،وموقفها من الموحدين،ثم من القشتاليين أثناء معركة الأرك وبعدها،وموقفها من مملكة البرتغال ثم من قشتاله في أواخر عهد المنصور الموحدي .

وتحدثت في الفصل الثالث عن علاقة المنصور بصلاح الدين الأيوبي في مصر وإطلاعه المنصور على ما تم من إستعادة بيت المقدس وأثر ذلك في قدوم الحملة الصليبية الثالثة وهدفها ، ومحاصرة الصليبيين لعكا وإستغاثة صلاح الدين بالموحدين وسفارته اليهم وما قيل في موقف المنصور منها وأشرت الى السبب الرئيسي في فشلها، معتمدة في إيضاح ذلك على بعض التواريخ الهامة والتي لم يتطرق الى دراستها من سبقني في الحديث عن هذه السفارة، كما أشرت أيضا الى بلاد البرنو والكانم وملوكها المعاصرين للموحدين، وخاصة أثناء حكم المنصور وإهمال الكتابات إظهار الجانب السياسي للعلاقة بين الطرفين، والاكتفاء بسرد حادثة تمثلها في فترة متأخرة، وقد أشرت لذلك وأوضحت ما يمكن أن تظهره تلك الرواية.

أما الفصل الرابع فقد تحدثت فيه عن المظاهر الحضارية لعصر المنصور الموحدي ومدى إزدهارها ورقيها، محاولة قدر إمكاني الإلمام التام بكافة جوانبها عن طريق تتبعها في المصادر الهامة ثم المراجع التي أشارت اليها في لمحات موجزة مع إضافة وإيضاح الغامض منها خاصة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعمرانية والفنية.

وأخيراً ختمت البحث بخاتمه إستعرضت فيها أهم ما توصلت اليه من نتائج خلال دراستي لعصر المنصور الموحدي، بالاضافة الى تزويدي البحث

ببعض الخرائط الهامة، وبصور ومخططات للعمائر الدينية لتلك الفترة في المغرب والاندلس.

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث

إعتمدت معلومات البحث على عدد كبير من المصادر والمراجع ولكن هناك بعض المخطوطات التي اشارت لعصر المنصور الموحدي عثرت فيها على مادة علمية هامة افادتني في موضوع البحث ومنها على سبيل المثال :

١- مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، ومحفوظه في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، والمخطوطة تتحدث عن جغرافية الاندلس ومدنها وبعض حكامها ، وفي نفس الوقت تتحدث عن كثير من الاحداث التاريخية الهامة لبلاد الاندلس ، وقد استفدت مما حوته من معلومات جغرافية وتاريخية تخص البحث ، وفيما يتعلق بمؤلفها فهو كما ذكرت مجهول الشخصية بالنسبة لنا ، ولكن من خلال قرآءتي للمخطوط تبين لي أن هذا المؤلف قد عاش في فترة متأخرة، وقد يكون أيضاً عاصر إستيلاء النصارى على مدن الاندلس اذ نراه عندما يصف مدينة إشبيليه أو غيرها من مدن الاندلس الاسلامية يقول جبرها الله او أعادها للإسلام . أما فائدة المخطوط فيما يخص البحث فنراه في حديثه عن إشبيليه قد تعرض لذكرها وتاريخها في عهد الموحدين وخاصة فيما يتعلق بتشييد الجامع الكبير ومناره الذي قام ببنائه المنصور الموحدي .

٢- الجيلاني عبد السلام الغرابلي : رسالة في ذكر من أسس فاس محفوظه بدار الكتب المصرية . أما مؤلفه فيظهر من خلال قراءتي لبداية المخطوط أنه يعمل لدى الوزير ابو علي بن الوزير ابي محمد عبد الله بن علي بن سعيد الياباني ، والوزير المذكور يدعى عمر بن عبد الله في عصر الدولة المرينيه ، وقد تسلط على سلاطين بني مرين

حيث كان وزيراً قوياً منفذاً أدار شئون البلاد مدة وقام السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني بقتله والتخلص منه (١) . وكما يقول المؤلف : "......أردت أن أطالع وزارته السنيه وسياسته ...الحفصيه أسعد الله أعصارها وكثر أعوانها ....." (٢) فيظهر مما سبق أن المخطوط ألفه للوزير المذكور ، ولم يذكر المؤلف أى شيء عن اسمه أو حياته مكتفياً بتأليف المخطوط للوزير المذكور عن مدينة فاس . وهناك احتمال ان يكون المؤلف متقلداً لمنصب ذو أهمية كبيرة في الدولة مما اتاح له الاطلاع على كثير من التفاصيل الدقيقة ذات الاهمية الكبيرة التي سهلت له وضع مؤلفه السابق .

ومع ذلك تبقى شخصية المؤلف مجهولة لدينا وكل ما نعرفه أنهمعاصر للدولة المرينيه . وعلى ضوما سبق وما اطلعت عليه في آخر المخطوط أنه تمت كتابته على يد الجيلاني عبد السلام الغرابلي وكتبه لعبد الله بن محمد الجيلاني بن عبد الله المصباحي الشريف الحسني " .....نفع الله به الناسخ والمنسوخ له" . والنسخ تم في سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م. وبهذا نستطيع القول بأن الجيلاني هو الناسخ وليس مؤلفه وأننا لا نعرف أى شيء عن حياة المؤلف الاصلي سوى ما أشار اليه في بداية المخطوط . أما الخط الذي نسخ به المخطوط فسهل واضح يمكن قراءته .

وأما المخطوط نفسه فهو عبارة عن بابين تحدث المؤلف في أولهما عن الأدارسة الحسنيين مؤسسي فاس وسكانها والعلماء فيها.

---

(١) ابن الأحمر : نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان ، ص ٤٤٣-٤٤٤ .

٢) رسالة في ذكر من أسس فاس ، ورقه ٢ .

والباب الثاني في ذكر من أدارها بالاسوار وزاد فيها وذكر جامعيها (القرويين والاندلسيين) . وما انتهت اليه من الدور والارحاء والحمامات وقد كانت إستفادتي من المخطوط كبيرة جداً فيما يخص موضوع البحث .

٣- ابن الشمّاع : تحفة المجالس ونزهة المجُالس، محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس يشتمل المخطوط على خمسة عشر باباً بدأها المؤلف بذكر العقل وفضائله، والعلم وأهله، ثم الأنبياء ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تحدث عن الخلفاء الأمويين والعباسيين وغيرهم وتأتي أهمية المخطوط في البحث، تعرضه للحديث عن الدولة المرابطية والموحدية في المغرب وقد توقف في سرده للاحداث عند سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م. وفيما يتعلق بتاريخ الدولة الموحدية فقد تناول الحديث عن عهد المنصور الموحدي وتوليه مقاليد الحكم وماواجهه من صعوبات في ثورة بني غانيه وتصديه لتلك الثورة وهزيمة أصحابها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م في حمة مطماطة، ودور قراقوش الغزي فيها ومدى اسهام مدينة قفصه في تلك الاحداث، وموقف المنصور من العرب الهلالية، واليهود في أواخر ايامه، والزي الذي ألزمهم به كما أشار الى توقيعات المنصور التي اشتهر وعرف بها.

ومن المصادر المغربيه والاندلسيه الهامة التي أفادت البحث فائدة كبيرة فيما يتعلق بعصر المنصور الموحدي

١- عبد الواحد بن على التميمي المراكشي (٥٨١-٦٢٥هـ/١١٨٥-١٢٢٧م) تلقي تعليمه في المغرب والاندلس واتصل بالأمير أبي اسحاق بن أبي يوسف المنصور الموحدي حاكم إشبيليه وتوثقت بينهما عرى الصداقة، ولم يلبث في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م أن غادر الاندلس لأسباب غير معروفة فسار الى مصر ثم الى بغداد، حيث إتصل بوزير الخليفة الناصر لدين الله العباسي وصفا الود بين الاثنين، وقام المراكشي بتدوين كتابه المعجب إستجابة لأمر الوزير العباسي، الراغب في معرفة أحوال المغرب وفرغ منه سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م. وقد ألفّ كتابه كما نرى في الفترة الاولي من القرن

السابع الهجري،جمع فيه ما يتعلق بالتاريخ، والسياسة والأدب والنواحي الحضارية لتلك الفترة عن المغرب والاندلس، ووصف فيه أحوال المغرب وهو في المشرق بعيداً عن كل المؤثرات والتي قد تتسبب في حجب الحقائق المهمة، فكان وصفاً شاملاً وتاريخاً وافياً لما دونه من أحداث أفادت بحثي وخاصة في عصر المنصور الموحدي . وبهذا يكون مصدراً من المصادر الهامة لتاريخ المغرب والاندلس.

أما فيما يتعلق من مادة علمية أوردها في كتابه قبل عهد الموحدين فقد نقلها أو لخصها من روايات شتى لم تصلنا وبذلك إكتسب المصدر أهمية كبيرة، وكان منهجه في تدوين المعلومات ذكر الاحداث دون إتباع الحوليات -كابن عذارى وابن ابي زرع وغيره- الى جانب إعتنائه بالنواحي الحضارية.

٢- مجموع رسائل موحديه من إنشاء كتاب الدولة المؤمنيه، اعتنى باصدارها المستشرق "ليفي بروفنسال" وهي من المصادر المهمة والتي أفادت البحث كثيراً لصدورها عن كتاب الدولة الموحدية أنفسهم، ولا يخفى مالهؤلاء الكتاب من أهمية في تدوين الاحداث السياسية الهامة، الى جانب صلتهم الوثيقة بالخلفاء والتي أتاحت لهم الإطلاع على العديد من الوقائع ذات الشأن الخطير في تاريخ الدولة، وهو أمر لا يمكن أن يتهيأ لكثير من المؤرخين والكتاب العاديين. على الرغم مما تحتويه هذه الرسائل من مدح وتمجيد للدولة الموحديه فلا نستطيع إغفال أهميتها. أما الكتاب الذين صدرت عنهم هذه الرسائل فهم : أبو جعفر بن عطيه وأخوه أبوعقيل، وأبو الحسن بن عياش، وأبوالحكم بن المرخي، وأبو القاسم القالمي، وأبوالفضل بن محشرة، وأبوعبد الله بن عياش.

وتحتل الرسائل الصادرة عن عصر الخليفة عبد المؤمن بن علي الغالبيه

فيها حيث بلغت ثلاثاً وعشرين رساله،وأختص عهد أبي يعقوب يوسف بعدد قليل منها، ثم تسع رسائل وهي الأهم خاصة بعصر المنصور الموحدي، وأخيراً رسالتان خاصتان بالناصر الموحدي والاحداث السياسية في عهده. وتأتي أهمية الرسائل الخاصة بعصر المنصور الموحدي في مساعدة البحث على تتبع الكثير من الاحداث السياسية الهامة في المغرب مثل ثورة بني غانيه والغز والعرب الهلالية، ثم في الاندلس، والجهاد ضد الممالك النصرانيه وخاصة قشتاله واصفة المعارك وحالة الرعب والذعر التي أصابت النصارى نتيجة غزوات المنصور المتتابعة لهم، وما ساد علاقة النصارى بعضهم ببعض أثناء ذلك.

٣- عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي والمكنى بابي مروان، والمعروف بابن صاحب الصلاة، المتوفى أواخر القرن السادس الهجري: وكتابه المن بالامامة. ومن خلال هذا الجزء الذي بين أيدينا يتبين لنا أن المصدر على ما يبدو ثلاثة أسفار، السفر الاول والمتعلق بأخبار قيام دولة الموحدين وأخبار ابن تومرت وعبد المؤمن لا نعلم عنه شيئاً، وأما السفر الثاني فتبدأ أحداثه من أواخر عهد عبد المؤمن بن علي سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م وتنتهي باحداث سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م في عهد أبي يعقوب يوسف. وعلى ما يبدو فبقية أحداث عصر أبي يعقوب ثم أبنه المنصور مدونة في السفر الثالث والذي لم يعثر عليه حتى الآن.

وأما الجزء الموجود بين أيدينا من كتاب المن بالامامة فهو تاريخ شامل للفترة التي أشرنا اليها سواء في الناحية السياسية أو الحضارية، وتأتي أهمية هذا المصدر فيما يخص موضوع البحث بإيراده لأحداث هامة من عصر المنصور الموحدي ، وخاصة ما يتعلق منها بالنواحي المعمارية في مدينة إشبيليه في مسجد ابن عدبس والجامع الكبير وبناء

صومعته وزخرفتها وتزينها، ويتضح من قراءة هذا الجزء أن مصادر معلومات أبن صاحب الصلاة مادّونه عن الرواة من ناحية ثم الاحداث التي شاهدها بنفسه فدّونها وسجلها بدقة متناهية، وأخيراً ما نقله عمن سبقه من المؤلفين المعروفين،أو من بعض الوثائق الرسمية للدولة إستأثر بها على سائر المؤرخين، وعلى ضوء ما سبق أصبح المصدر مرجعاً لكثير من الكتاب الذين استطاعوا أن يحفظوا ويسجلوا بكتاباتهم مافقد من كتاب المن بالامامة، مثل ابن عذارى في البيان، وابن أبي زرع في الانيس وابن الخطيب في الاحاطه، والمقري في نفح الطيب، وصاحب الحلل الموشيه وغيرهم. مع ملاحظة عدم إلتزامه بطريقة الحو ليات في تدوين معلوماته بل قيد الاحداث حسب وقوعها .

أما حياة مؤلفه فهو كما يظهر لنا من باجه وهي مدينه بالاندلس ولم يعرف على وجه الدقة وقت ميلاده ومن خلال كتابه المن بالامامه نرى بعض تحركاته مثل شهوده فتح قرمونه سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م، ثم في قرطبه حيث أقام فيها من جملة الكتاب المرموقين ثم مصاحبته موكب السيد أبي سعيد والي قرطبه سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م الى مراكش، وأستفاد فيها من كبار علماء البلاط الموحدي، ثم غادرها الى إشبيليه بصحبة الوالي الجديد، ثم نراه في غرناطه سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وفي اشبيليه يظهر انه أصبح في مكانة مرموقه تؤهله لحضور مجلس الخليفة أبي يعقوب، ولا يلبث أن نرى تحركاته في المغرب مع الخليفة الموحدي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، ورافقه في حملته لغزو البرتغال سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، ونلاحظ إستمراره في عهد المنصور الموحدي إذ نراه حضر بعد معركة الارك الاحتفال بتركيب التفافيح في منارة إشبيليه، واما تاريخ وفاته فوضعناها إحتمالاً في اواخر القرن السادس الهجري بناءً على تتبعنا لما دّونه من أحداث في كتابه ونقلها عنه

غيره من الكتاب.

٤- ابن عذارى المراكشي (من كتاب القرن السابع الهجري)، وكتابه البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب. ولدينا من كتابه القطع الآتيه :

هناك ثلاث قطع قام بتحقيقها "كولان وبروڤنسال"، وقطعه حققها الدكتور إحسان عباس، ثم نص به إضافات زائده عن مثيله والمنشور ضمن الجزء الخاص للموحدين وقام بإخراجها عبد القادر زمامه ومنشورة في المجلد العشرين من صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة ١٩٧٩-١٩٨٠م، ثم أخيراً القطعة الخاصة بعصر الموحدين ونشرها "ميرندا" سنة ١٩٦٠م، ولكن تم أخيراً العثور على قطعة أفضل منها بإضافات جديدة في خزانة تامكروت وقام على تحقيقها محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنبير وعبد القادر زمامة وطبعت الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م وهي التي أعتمدت عليها في موضوع البحث وتتناول أحداثها السنوات من ٥٣٣-٦٦٨هـ /١١٣٨-١٢٦٩م.

وتأتي أهمية هذه القطعة في نقل المؤلف عن ابن صاحب الصلاة المؤرخ المعاصر لخلفاء الموحدين في كثير من الاحداث وأيضا عن القاضي يوسف بن عمر الاموي في صدر المائه الهجرية السابعة والذي أرخ ليعقوب المنصور الى جانب دقة المؤلف في ذكر المصادر التي استقى منها مادته العلمية لكتابه، فجاء المصدر جامعاً لما تناثر من وقائع هامة الى جانب أمانة المؤلف فيما أورده لنا من الحقائق العلمية. وأما منهج ابن عذارى فيه فهو إتباعه لطريقة الحوليات في سرد الاحداث مع إعتنائه بالنواحي الحضارية بكافة جوانبها. ولهذا كانت فائدة البحث منه كبيرة جداً. وأما عن حياة ابن عذارى فلا نعلم عنها شيئاً سوى أنه عاش في القرن السابع الهجري ويبدو انه عاصر الدولة المرينيه ويظهر ذلك من خلال ثنائه عليها

وعلى حكامها.

٩- مؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجري : وترك لنا الاستبصار في عجائب الامصار، وقام بنشره الدكتور سعد زغلول عبد الحميد. وقد أفاد المصدر البحث فائدة كبيرة سواء في بعض الاحداث السياسية أو النواحي الجغرافية والاقتصادية والحضارية، وشمل الكتاب وصف مكة المكرمة والمدينة المنورة وبلاد مصر، ثم بلاد المغرب وأخيراً بلاد السودان. وما يهمنا منه هو المتعلق ببلاد المغرب وبلاد السودان اذ قام المؤلف باعطائي معلومات دقيقة على درجة كبيرة من الأهمية أشار فيها لاحداث سياسية هامة شهدها المغرب في عصر المنصور الموحدي مثل ثورة بني غانيه والغز ومجهود المنصور الموحدي فيها وسفارة صلاح الدين للمنصور ثم إبرازه للنواحي الحضارية لتلك الفترة. وأما عن حياة مؤلف هذا المصدر فالواقع انه مجهول لدينا ويظهر أن الواضع الحالي له عثر على كتاب قديم نجهل مؤلفه فقام بدراسته وترتيبه وتنقيحه ووضع له مقدمه ثم أضاف اليه ما شاهده بنفسه وعاصره وعاينه، خاصة في عصر المنصور الموحدي وأهدى كتابه هذا لأحد كبار رجال الدولة الموحدية وهو أبو عمران بن أبي يحيى بن وقتين، كما يلاحظ ان المؤلف من خلال كتابه نشأ بالمغرب وعاصر الخلفاء الموحدين ويبدو انه دون الكتاب في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م أي خلال عصر المنصور الموحدي، بالاضافة الي ما أورده من معلومات عن فاس ومكناس ومراكش تدل على أنه قد يكون عاش فيها أو يعود في أصله الى احداها فهو لا يكتفي بما قدمه من معلومات عنها بل يقترح افكاراً جديده تهدف الى رقيها وازدهارها. وعند كلامه عن بلاد السودان يلاحظ إطلاعه على رسائل ملوك غانه الى يوسف بن تاشفين اميرالمرابطين ، وهذا الامر لا يتاح الا لمن كان على الاقل يشغل وظيفة هامة في البلاط الموحدي وخاصة في عصر

المنصور وربما كان أحد كتابه ، ويدل على ذلك ما يظهره من آيات الخضوع والولاء لسيده الخليفة .

٦- يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي والمعروف بابن الزيات المتوفي سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م ، وكتابه هو التشوف الى رجال التصوف،وتأتي أهمية هذا المصدر من إحتفاظه بتراجم لعلماء لا تعرف أخبارهم الا من خلال ما أورده عنهم، وقد أفاد المصدر البحث كثيراً في الناحية الاجتماعية حيث أمدنا بالمعلومات عن المهن المعروفة في عصر المنصور الموحدي، وأوضاع الحياة العامة وبعض التقاليد، والتي إنفرد بذكرها دون غيره من المصادر، بالاضافة الى أسماء بعض المساجد الموجودة في مراكش، مع إشارته لما مرت به البلاد من الكوارث الاقتصادية لتلك الفترة. ومؤلف هذا المصدر عرف بابن الزيات وهو لغوي وأديب من قضاة المالكية من أهل تادله بالمغرب، وله العديد من المؤلفات منها نهاية المقامات في دراية المقامات وهو شرح للمقامات الحريرية ومناقب الشيخ أحمد السبتي دفين مراكش وغيرها.

٧- أحمد بن محمد المقّري التلمساني (١٠٤١هـ/١٦٣١م) وكتابه نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. ويعتبر هذا المصدر من المصادر الهامة في تاريخ المغرب والاندلس، ونهج مؤلفه طريقة ذكر الحوادث بكافة تفاصيلها حتى انتهائها،ولم يتبع طريقة الحوليات كغيره من المؤرخين معتنياً بالنواحي السياسية والحضارية، مع تحدثه باسهاب عن الوزير لسان الدين بن الخطيب معرفاً به وبتلاميذه للمشارقه والراغبين في ذلك، الى جانب إحتواء المصدر على مقتطفات من المواضيع المشرقيه مثل ذكره لمدينة دمشق وأصحابه فيها، وأصبح الكتاب علي ضوء العنوان الذي أطلق عليه قسمين: قسم خاص بالاندلس عامة وقسم خاص بلسان الدين وما يتعلق به، وتأتي أهمية هذا المصدر فيما

يتعلق بموضوع البحث في إحتوائه على مادة علمية منقولة من مصدر عاصر المنصور الموحدي ولم أستطع العثور عليه، وهو كتاب ابن حمويه السرخسي الخراساني الاصل المولود في دمشق والمتوفى فيها سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، وقد استطاع هذا الكاتب دخول المغرب اثناء حكم الخليفة يعقوب المنصور سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، واتصل بالخليفة الموحدي وأقام في المغرب الى سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م ثم عاد الى دمشق وله العديد من المؤلفات ومنها ماسجله عن رحلته الى المغرب ووصفه لاحوالها أثناء تلك الفترة، فأهمية ما ذكره السرخسي في رحلته أفاد موضوع البحث كثيراً.

ومؤلف هذا المصدر نشأ في تلمسان ثم انتقل الى فاس ومنها الى القاهرة وقضى فترة من حياته متنقلاً في الديار المصرية والشاميه والحجازية والقى دروسه فيها، ووضع معظم كتبه في القاهرة والتي خلدت شهرته العلمية في المشرق والمغرب، وترك لنا العديد من المؤلفات منها على سبيل المثال إزهار الرياض وقطف المهتصر في شرح المختصر، والدرالثمين في أسماء الهادي الأمين وغيرها.

٨- ومن أهم كتب المشارقه التي أفادتني في دراسة الموضوع كتاب لمحمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي (٦١٧هـ/١٢٢٠م) وهو مضمار الحقائق وسر الخلائق. وتعرض فيه للحديث عن اوضاع المغرب وتحركات الغز فيها خلال عهدي الخليفتين أبي يعقوب وأبي يوسف ومدى إسهام العرب فيها، وهي مادة علمية إنفرد بها دون غيره من المصادر، وعلى الرغم من ضياع جزء كبير من الكتاب فالسنوات التي دون احداثها وشملت الفترة من (٥٧٥-٥٨١هـ/١١٦١-١١٨٥م) غنية بالاحداث الهامة حيث اشار فيها الى احوال الدولة العباسية، وفتوحات صلاح الدين الايوبي. وتأتي أهمية المادة العلمية هنا من معاصرة مؤلفها للأحداث وإطلاعه على أحداث ووقائع

لاتتاح الفرصة في معرفتها للمورخين العاديين .

ومؤلف هذا المصدر المنصور محمد صاحب حماه بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب من كتاب القرن السادس الهجري وأحد أمراء الدولة الايوبية وتميز بغزارة علمه وحبه للادب والشعر، وكان يجيد نظم الشعر وصنف فيه كتاب طبقات الشعراء، وأهتم بالتاريخ وتدوينه وترك لنا مصدره الذي بين ايدينا، وجمع فيه جملة من التواريخ وأسماء من ورد عليه وأقام عنده. وأسلوب المؤلف سهل واضح ينم عن شخصية ذات إطلاع واسع في اللغة العربية، كما يلاحظ إتباعه لطريقة الحوليات في إيراده للاحداث التاريخية.

٩- شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي المعروف بابي شامة والمتوفى سنة (٦٦٥هـ/١٢٢٦م): كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. وقد أفاد المصدر البحث فائدة كبيرة في إطلاعي على بعض أحوال الغز في المغرب والتي إنفرد بذكرها، الى جانب ما قدمه لى من مادة علمية عن أحوال الصليبيين في المشرق، وعلاقة صلاح الدين والمنصور الموحدي، مع إحتفاظه بعدد من الرسائل ذات الأهمية في هذا الشأن. وأما مؤلف المصدر وهو أبو شامه المولود في دمشق سنة ست وتسعين وخمسمائة، وكانت له عناية بالحديث والفقه وبرع في العربية، ومن مؤلفاته مصدره الذي بين أيدينا عن تاريخ الدولتين النوريه والصلاحيه وكتاب الذيل عليها الى جانب العديد من المؤلفات الاخرى. وقد إتبع المؤلف في كتابه طريقة الحوليات من حيث ذكر السنه وإيراد ما جرى فيها من الحوادث مع إهتمامه ببعض النواحي الحضارية.

١٠- ومن كتب المشارقة الهامة كتاب لأبي الحسن على الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري والملقب بعز الدين المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م وكتابه

الكامل في التاريخ. وهو موسوعة كبيرة تشمل تاريخ المشرق والمغرب منذ القدم حتى اواخر حياة المؤلف موضحاً المصادر التي إستقى منها مادته العلمية لكتابه ودوره في تنقيحها وترتيبها حسب السنوات، وأفاد موضوع البحث كثيراً فيما يتعلق بحوادث الدولة الموحدية وأحوال الصليبيين في المشرق. ومؤلف هذا المصدر من العلماء بالأنساب والأدب، وله العديد من المؤلفات منها كتابه الذي بين أيدينا وكتاب تاريخ الدولة الاتابكية والجامع الكبير وغيرها .

المراجع العربية والمعربة والبحوث

وأما المراجع الحديثة والتي إعتمدت عليها بصفة رئيسية فأهمها :

١- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الاسلامي وهو من المراجع المهمة جداً في تاريخ المغرب، تحدث المؤلف فيه عن المغرب منذ القدم الى نهاية الموحدين، ثم تحدث بإيجاز عن ورثة الموحدين في المغرب وهم بنو مرين في المغرب الاقصى، وبنو عبد الواد في المغرب الأوسط، وبنو حفص في المغرب الادني، وتعود أهمية المرجع الى إحتوائه على مادة علمية قيمة عن دولة الموحدين سواء في الناحية التاريخية أو الحضارية.

٢- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية، والكتاب عبارة عن جزأين تناول الحديث عن البحرية الاسلامية بشكل شامل في المغرب والاندلس منذ الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطه في يد النصارى الاسبان، وفي المشرق أيضا شملت الدراسة البحرية الاسلامية في مصر والشام منذ الفتح العربي الى نهاية العصر المملوكي. وهو تاريخ وافٍ وواسع وهام،وذلك راجع لما لهذه الناحية من أهمية في

تاريخ الدول السياسي والحضاري، وقد أفاد المرجع البحث خاصة فيما يتعلق بالبحرية الايوبية والموحديه في عصر صلاح الدين والمنصور الموحدي وأثر ذلك على علاقة الحاكمين في المشرق والمغرب.

٣- محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس.

يعد المرجع من المراجع المهمة في تاريخ المغرب والاندلس وهو موسوعة شاملة تحدث فيها عن قيام دولة المسلمين في الأندلس إلى سقوط غرناطه آخر المعاقل الاسلامية في حوزة النصارى الاسبان. وأحداثه تعتبر شامله لكثير من الاشياء الهامة في تاريخ المغرب والاندلس.

٤- هشام سليم عبد الرحمن أبو رميله: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية وبالدول الاسلامية في الاندلس. ركز المرجع حديثه عن العلاقات مع الممالك النصرانية خلال عصر الموحدين مع إيضاحه لاحوال المغرب والاندلس في تلك الفترة ولكن بشكل عام دون تفاصيل لعصر كل خليفة من الخلفاء الموحدين، الى جانب تتبعه للنواحي الحضارية أيضا بين المغرب والاندلس ثم مع الممالك النصرانية، وتعتبر دراسة وافية وشاملة لعصر الموحدين بصفة عامه.

٥- مصطفى أبوضيف أحمد : أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين (٥٢٤-٨٧٦هـ/ ١١٣٠-١٤٧٢م)

يعد من المراجع الهامة الدقيقة في تاريخ العرب الهلالية،وبالتحديد آثارهم في المغرب للفترة التي شملتها الدراسة من حيث تحركاتهم وإستقرارهم وأثرهم في الدول البربرية التي نشأت ومساهمتهم في تاريخها، وفي تعريب المغرب، وصبغه بالدماء العربية على المدى الطويل، الى جانب إحتوائه على جداول مفصلة بالقبائل العربية وفروعها، وخريطة تظهر أماكن وجودها في المغرب.

٦- حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس، عصر المرابطين والموحدين ويعتبر المرجع من أهم المراجع التي تحدثت عن التاريخ الحضاري لهاتين الدولتين في المغرب والأندلس وشملت الدراسة فترتين تمتد أولهما من أواخر القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري ومميزاتها، ثم الفترة الثانية وتمتد من قيام دولة المرابطين حتى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م وما تميزت به من ازدهار وتقدم. وقد أفاد المرجع موضوع البحث رغم عدم ايراده لتفاصيل خاصة بعصر المنصور الموحدي.

٧- يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين. قام بالترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان عن اللغة الالمانية ، وشملت الدراسة تاريخ دول النصارى الاسبان وصراعها فيما بينها وعلاقاتها بالمرابطين والموحدين. وقد أفاد المرجع المترجم بما قدم من دراسة موضوع البحث وخاصة في عصر المنصور الموحدي، في التعرف على حقيقة اوضاع تلك الدول ومدى تأثيرها في سياسة الاسترداد المسيحي ونشاطها، وقد إعتمد المؤرخ الألماني في كتابه على معلومات من المصادر النصرانية الى جانب المصادر الاسلامية، مع ملاحظة حرص الكاتب على التقليل من شأن المسلمين ودورهم الحضاري في المغرب والاندلس والاشادة بدور اليهود في الحركة العلمية وهي دراسة لايخفى ما تنطوي عليه من حقد للاسلام والمسلمين.

٨- وأما المراجع الاوربية غيرالمترجمة فهناك ما كتبه المستشرق الاسباني ميرندا، ومن أهم ما أفاد موضوع البحث كتابه عن تاريخ دولة الموحدين باللغة الاسبانية، وهو تاريخ وافٍ وشاملٍ لكثير من الاحداث الهامة اعتمد فيه على كثير من المصادر والوثائق النصرانية الى جانب المصادر والمراجع العربية ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

وهناك أيضا كتابه المهم عن معارك الاسترداد المسيحي باللغة الاسبانية والذي تعرض فيه للحديث عن أهم المواقع الاسلامية في المغرب والاندلس في عهد المرابطين والموحدين وهي موقعة اقليش ثم الزلاقة ، وموقعة الارك، وأخيرا موقعة ذات العقاب وموقف الاسبان ومدى نشاطهم في إستعادة المدن الاسلامية والاندلسية وقد افادني المرجع في دراسة كثير من الحقائق عن موقعة الارك وموقف النصارى منها.

١٠- من المراجع الاوربية والتي أفادت موضوع الدراسة كتاب "روجرلترنو" عن الموحدين في شمال أفريقيا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي حيث تعرض فيه للحديث عن تاريخ الدولة وحضارتها بصفة عامة.

١١- ومن المراجع الاوربية أيضا هناك كتاب "هيرشبورج" والذي كتب عن تاريخ اليهود في شمال أفريقيا، والنص الاصلي للدراسة مكتوب باللغة العبرية ثم ترجم الى اللغة الانجليزية ويقع الكتاب في مجلدين، فالاول منهما خاص بتاريخ تلك الفترة منذ القدم حتى القرن السادس عشر الميلادي، والجزء الثاني منذ بداية العصر العثماني حتى الوقت الحاضر وأعتمد المؤلف في دراسته هذه على المصادر العربية وغيرها من المراجع والدراسات بمختلف اللغات. وقد أفاد الكتاب موضوع البحث في دراسة ومعرفة أحوال اليهود خلال العصر المرابطي والموحدي، لاسيما موقف المنصور الموحدي منهم ووجهة نظرهم في موقف الموحدين. وهذا الى جانب بعض البحوث المهمة والتي ساعدتني في إستجلاء بعض غوامض الرسالة ومنها على سبيل المثال :

١٢- السيد عبد العزيز سالم : العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها ، منشور في مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٤م .

وقد ركز المؤلف في بحثه هذا على العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها خلال العصور الاسلامية وأثرها في العمارة المغربية، وأفاد البحث موضوع الرسالة فيما يتعلق بالنواحي العمرانية في عهد المنصور الموحدي.

١٣- حسن علي حسن : الجيش المغربي في دولة الموحدين ومنشور في حوليات كلية دار العلوم ، العدد الخامس ، سنة ١٩٧٤-١٩٧٥م.

تعرض المؤلف للحديث عن الجيش في دولة الموحدين وماله من دور في إرساء دعائم الدولة، وتوسيع حدودها والقضاء على الثورات القائمة ضدها والجهاد ضد النصارى الاسبان، وحماية الاندلس من غاراتهم المتكررة عليها، وقد أفادني البحث في إطلاعي على ما يتعلق بالجيش الموحدي في عهد المنصور وجهوده في الدولة وأوضاعه.

١٤- وفي مجال الابحاث العلمية باللغة الاجنبية كتب نيفل باربور بحثاً بعنوان اخبار الاندلس في المدونات الانجليزية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين،واعتمدت في دراستي على النص الاصلي لهذا البحث وهو باللغة الاسبانية ومنشور في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية والصادرة بمدريد سنة ١٩٦٥-١٩٦٦م. وتتلخص أهمية البحث في إظهاره لدور الصليبيين البحري،ومساعدتهم لملكة البرتغال ضد الموحدين في عهد أبي يعقوب والمنصور الموحدي وأثر تلك المساعدات في معارك الموحدين مع النصارى.

١٥- كما كتب "ايلي لامبير" مقالاً هاماً في العمارة الاسلامية بعنوان

المساجد ذات الطراز الاندلسي في اسبانيا وشمال أفريقيا،ونشر في مجلة الاندلس العدد الثاني سنة ١٩٤٩م. وأسهم البحث في إمدادي بمعلومات هامة في الناحية العمرانية وخاصة فيما يتعلق بعمارة المساجد،مع إحتوائه على مجموعة من المخططات المعمارية المهمة وذات العلاقة بموضوع الدراسة.

وبعد كل ما سبق ذكره في المقدمة فهذا أهم ما أفاد موضوع البحث من مخطوطات ومصادر ومراجع وبحوث، أما البقية فيجدها القارئ الكريم مثبته في آخر الرسالة ضمن قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والمعربة والاجنبية والبحوث.

تمہید

نظرة عامة على أحوال دولة الموحدين قبل عصر المنصور

أحوال دولة الموحدين قبل عصر المنصور

قامت دولة الموحدين في المغرب والاندلس على أساس دعوة دينية - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهدفها تحقيق وحدة إسلامية شاملة. كما مثلت فوز القبائل الجبلية على الرحل الصحراوية، أو بمعنى أصح إنتصاراً لزناته على صنهاجه (١). ومؤسسها هو الفقيه محمد بن تومرت الهرغي المصمودي السوسي من قبيلة هرغة إحدى بطون مصمودة القاطنه في بلاد السوس، وهي أكثر القبائل البربرية عدداً وأشدها بأساً (٢).

إشتدت رغبة ابن تومرت في تحقيق الوحدة الاسلامية بعد عودته من رحلته العلمية الى المغرب[٣]، فقام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ملالة (٤) إلتقى بعبد المؤمن بن علي الكومي (٥) الذي تلقى العلم على يديه، ولما إستوثق من نجاح دعوته وكثرة اتباعه أظهر فكرة الإمام المعصوم

---

(١) مصطفى ابو ضيف أحمد: أثر العرب في تاريخ المغرب، ص ٦٧

(٢) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص١٠٤ - وأنظر أيضا:
ABun-Nasr, Jamil M: A History of the Maghrib, P. 103.

(٣) عن رحلته العلمية أنظر: السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، ص٦٨٣-٦٨٧

(٤) ملالة: قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص١٨٩.

(٥) هو خليفة الموحدين وحكم (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) أنظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٤٢- وعن تفاصيل لقائه بابن تومرت أنظر البيذق: أخبار المهدي ابن تومرت وإبتداء دولة الموحدين، ص ٥٦

والمهدي المنتظر وبايعه أصحابه على ذلك سنة ٥١٥هـ/١١٢١م وسمى أصحابه بالموحدين (١) وبهذا يبدأ الدور السياسي لتوطيد الدولة الجديدة ومرحلة الصراع الفعلي مع المرابطين (٢)، وفي خلالها إستطاع المرابطون إيقاع الهزيمة بالموحدين في موقعة البحيرة سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م (٣) في ظاهر مراكش (٤)، ولم يلبث ابن تومرت ان توفى بعد تلك الموقعة بفترة قصيرة في نفس العام في تينملل والتي استقر بها أثناء غزواته ضد المرابطين (٥).

تولى عبد المؤمن بن علي أمر الموحدين على إثر وفاة المهدي ابن تومرت، حيث بويع البيعة الاولى سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م وتمت البيعة العامة سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م (٦)، كانت توليته بداية عهد جديد لتوطيد أركان هذه الدولة الفتيه.واصبحت مهمته صعبة عن ذي قبل اذ تعين عليه القضاء النهائى على دولة المرابطين، ثم ضم المغربين الأوسط والادنى، وبإنضمام

---

(١) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٠٧-١١٠- ابن خلدون: العبر، م٦ ص ٢٢٨.

(٢) عن مرحلة الصراع مع المرابطين أنظر عبد الله علي علام: الدولة الموحديه بالمغرب، ص ٧٠-٧٩.
ص ٧٠-٧٩.

(٣) ابن القطان: نظم الجمان، ص ١١٨ - ١٢٢

(٤) مراكش: أعظم مدن المغرب وعاصمة دولة الموحدين بينها وبين البحر عشرة أيام. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص٩٤.

(٥) تينملل قرية موجودة في المغرب إختارها ابن تومرت لمنعتها وحصانة موضعها وجعل على المدينة سوراً احاط بها من كل جانب كما شيد على رأس الجبل سوراً وأفرد في قمته حصناً يكشف ماوراء الجبل ولا يستطيع الفارس الدخول اليها الا من شرقها أو من غربها فاما غربها فهو الطريق اليها من مراكش، فطريق اوسع ما فيه ان يمشي عليه الفارس وحده موسعاً، وأضيقه أن ينزل عن فرسه خوفا من السقوط، وكذلك شرقها لان الطريق مصنوعة في نفس الجبل تحت راكبها حافات وفوقه حافات وفيها مواضع مصنوعة بالخشب اذا ازيلت منها خشبة لم يمر عليها أحد ومسافتها على هذه الصفة نحو مسيرة يوم. أنظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١١٢-١١٣، ١١٧.

(٦) ابن القطان: نظم الجمان، ص١٣٠-ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص١٨٤.

القبائل حوله واصل كفاحه ضد أعدائه. فمن أهم ما قام به من فتوحات في سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م إستيلائه على تلمسان (١) من أيدي المرابطين عقب موت تاشفين بن علي (٢)، ثم تلى ذلك دخول الموحدين الى وهران (٣). وفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م إستولى عبد المؤمن بن علي على فاس بعد حصار طويل وهدم سورها(٤)، فغدا الطريق ممهداً لدخوله مراكش عاصمة المرابطين، فتم ذلك في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م (٥). ثم تطلع الى المغربين الادنى والاوسط، فأستولى على بجاية دون مقاومة سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م (٦) من حاكمها يحيى بن العزيز بالله الصنهاجي (٧).

---

(١) تلمسان: مدينة قديمة وهي قاعدة بلاد المغرب وهي مدينه كثيرة الخصب رخيصة الاسعار ولها قرى وعمائر متصلة ومدن تابعة لها أنظرمؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٧٦.

(٢) تاشفين بن علي بن يوسف وحكم (٥٣٧-٥٣٩هـ/١١٤٢-١١٤٤م) وكان بطلاً شجاعاً وله غزوات مشهورة في الاندلس أثناء عهد والده منها غزواته الشهيرة بأحواز بطليوس وجبل القصر وبينه بين الموحدين وقائع كثيرة وتوفى قبل دخول الموحدين الى تلمسان. عن ذلك أنظر مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٢١-١٣٤.

(٣) وهران مدينة على البر الاعظم من المغرب وأكثر أهلها تجار وتميزت بالحصانة ووفرة مياهها بينها وبين تلمسان سُرى ليلة. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٥، ص٣٨٥-٣٨٦.

(٤) فاس مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب واختطت بين ثنيّتين عظيمتين، وبها عيون كثيرة تسيل الى قرارة واديها الى نهر متوسط مستنبط على الارض مخرجه من عيون في غربيها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة دوي، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، ص ٢٣٠ - وعن سقوطها في أيدي الموحدين أنظر ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص١٨٩.

(٥) مؤلف مجهول: نبذ تاريخية في أخبار البربر، ص٥٩ - وأنظر أيضا:
Babour, Nevill: Morocco, p. 76

(٦) بجاية مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب واول من أختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام وكانت قديماً ميناء فقط ثم بنيت المدينه وهي في لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد. عن ذلك أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م١، ص٣٣٩.

(٧) هو آخر ملوك بني حماد أصحاب القلعة (حكم من ٥١٥-٥٤٧هـ /١١٢١-١١٥٢م) ولمزيد من التفاصيل أنظرحسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص ١٥٢-١٥٣- وعن تفاصيل سقوط بجايه في يد الموحدين أنظر عبدالله على علام: الدولة الموحدية، ص٢٠٢-٢٠٥.

قرر عبد المؤمن بن علي وضع حد لوجود النصارى في المهدية (النورمان)(١) فجهزحملته القوية لطردهم في سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م وقاد جنوده براً وحرص على كتمان وجهة سيره ، وتابعه الاسطول الموحدي بحراً فاستولى علي تونس عنوة (٢) ، ثم حاصر المهدية حتى تمكن من دخولها بعد تفاوضه مع الحامية النصرانية على الجلاء عن المدينة سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، وأثناء ذلك تم له الإستيلاء على قابس ، وقفصه ، وطبرقه، وجبل زغوان، وشقنباريه، والاربس ، وطرابلس ، وبلاد الجريد كلها (٣) ، وغدت افريقية بذلك جزء من دولته (٤) .

---

(١) النورمان : هم أهل الشمال وعرفوا في التواريخ الاوربيه باسم الفايكنج ومواطنهم الاولى شبه جزيرة اسكنديناوه – السويد والنرويج وشبه جزيرة جوتلند وما يجاورها من الجزائر . أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور : تاريخ أوربا ، ص ١٧٤-٢٠٠-٢٠١. وأما المهدية فهي مدينة بافريقية وتبعد عن القيروان بستين ميلاً . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١١٧-١١٨- وعن سقوطها في يد النورمان أنظر أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٣٢٦.

(٢) تونس : مدينة كبيرة بافريقية على ساحل بحرالروم . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٢، ص ٦٠-٦٢.

(٣) قابس : مدينة بين طرابلس وصفاقس . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٤ ، ص ٢٨٩ – ٢٩٠ – قفصة : بين القيروان ، وقابس . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٥٠-١٥٤.

طبرقه : مدينة قرب باجه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدن ، م٤ ، ص ١٦-

جبل زغوان : جبل بافريقية على مقربة من تونس . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، م٣ ، ص ١٤٤ .

شقنباريه : على طرف جبل أوراس . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٦٤-١٦٥-

الاربس : مدينة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م١ ، ص ١٣٦-

طرابلس : مدينة كبيرة علي ساحل البحر. أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١١٠-

بلاد الجريد : سميت بذلك لكثرة النخيل بها . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٥٠-

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٠٩ – ٧١٠- عبد الله على علام : الدولة الموحدية ، ص ٢٠٦-٢١٠.

وأما موقفه من العرب الهلالية (١) فنلاحظ بعد قيام الدولة الموحدية ، والتي شمل نفوذها معظم بلاد المغرب تذبذب موقف العرب ما بين الولاء والطاعة حيناً وما بين العصيان والإشتراك في الثورات ضدها حيناً آخر . ولأهميتهم في الدولة نجد عبد المؤمن يرجع نسبه الي العرب ويبدأ إحتكاكه بهم على أثر إمتداد سلطانه الى المغرب الأوسط والأدنى فشعرت القبائل العربية بقوته فاتحدت لإخراجه من البلاد فالتقى بهم جيشه في

---

(١) أصل القبائل الهلالية من مضر وينتمون الى قبيلتين هما بنو هلال وبنو سليم ومواطنهم في الجزيرة العربية فنزلت سليم فيما بين المدينة وخيبر وتيماء وهلال في بسائط الطائف الى جبل غزوان شرقي مكة . وأما اطلاق الهلالية عليها لوجود الزعامة في بني هلال باعتبارهم أقوى القبائل وربما لسهولة دورانه على الالسن ، وكانوا يغيرون على قوافل الحجاج في زمن الحج ولم تستطع الدولة العباسية وضع حد لغزواتهم . ولما قامت حركة القرامطه انضم بنو سليم إليها وصاروا جنداً لهم في البحرين وعمان في أوائل القرن الرابع الهجرى وحاربوا الفاطميين بمصر وانتهى الأمر بهزيمتهم على يد العزيز بالله الفاطمي وردهم على أعقابهم ونقل أشياعهم من بني هلال وسليم الي مصر حيث اسكن بعضهم في الصحراء الشرقية والبعض الآخر بالصعيد ، ولما انفصل المعز بن باديس عن الفاطميين في مصر وتحول الى المذهب السني وقطع الخطبة لهم سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م إستياء الخليفة المستنصر الفاطمي منه (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) فانتقم من المعز حيث أشار عليه وزيره اليازوري باغراء بني هلال وسليم بالرحلة الى المغرب والإستيلاء على خيراته الكثيرة ، وتصدى المعز بن باديس لهذه القبائل ولكنهم استطاعوا هزيمته في موقعة حيدران الفاصلة سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م واستولوا علي القيروان سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م وتبع ذلك تدخل العرب في المنافسة بين بني زيري وبني حماد ثم الوقوف موقفاً عدائياً من زناته لعدائها الشديد مع صنهاجه ولم يقم العرب بتشييد دول خاصة بهم في المغرب ، بل اكتفوا ببعض الامارات الصغيرة لهم . ولمزيد من التفاصيل انظر محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ١٨٨-١٩٢- حسن علي حسن : الغزو الهلالي للمغرب ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، م٢٤، ص ١٠٣-١٣٣- عبد الله ابو عزه : القرامطه وقبائل الاعراب البادية المؤرخ العربي ، بغداد ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، العدد ٢٨ ، ص ٥٩.

موقعة سطيف سنة ٥٤٨هـ/١١٥٢م (١) ، حيث هزمهم هزيمة شديدة بقيادة إبنه عبد الله وقتل العديد منهم ونقل بعضهم الى فاس ومكناس (٢) ، وسلا (٣) ، بينما أنزل نساءهم في مراكش وأجرى عليهم النفقات . كما يلاحظ أهميتهم لدى عبد المؤمن في تدعيم ابنه محمد خلفاً له ووليا للعهد سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م (٤) وعمد الي الاستفادة منهم في الجهاد ضد النصارى الاسبان (٥) .

وفيما يتعلق باحوال الاندلس في عهده نجد ان اهلها انتهزوا فرصة ضعف المرابطين ، وتوالي هزائم تاشفين بن علي على أيدي الموحدين، فقامت الثورات في البلاد واشتدت عقب وفاته سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م حيث استقل على بن عيسى بن ميمون (٦) بقادس (٧) ودخل في طاعة الموحدين وخطب

---

(١) سطيف : مدينة في جبال كتامه بين تاهرت والقيروان . أنظر ياقوت الحموي:معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٢٢٠- مبارك بن محمد الهلالي الميلي : تاريخ الجزائر ، م ٢ ، ص ٢٥٧.

(٢) مكناس : تقع غربي فاس . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣) سلا : قيل في وصفها العقيلة المفضلة والبطيحة المخضلة والقاعدة المؤصلة ...ذات الوسامة والنضارة والجامعة بين البداوة والحضارة . أنظر ابن الخطيب : معيار الإختيار ، ص ٧٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، م٩ ، ص ٥٠ .

(٥) أنظر : Le Tourneau, R. The Almohades Movement, P. 58 - 59

(٦) على بن عيسى بن ميمون قائد اسطول المرابطين وخلع طاعتهم وانضم لعبد المؤمن بن علي . أنظر ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٢٣٣.

(٧) قادس : في غربي الاندلس تقارب اعمال شذونه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٦، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

لهم سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ، كما قام بالثورة ايضاً أحمد بن قسي (١) في ميرتله (٢)، ولم يلبث أن خلع منها ودخل في طاعة الموحدين سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م.حيث عهدوا اليه بالولاية علي شلب، وقد حاول التعاون مع نصارى البرتغال مما أدى الى فتك السكان به ونصبوا بدلاً منه ابن المنذر الاعمى (٣) معلنين طاعة الموحدين سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م (٤) .

وقامت الجيوش الموحدية والتي عبرت الاندلس سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م بمهاجمة شريش (٥) ورنده (٦) ودخل أبو القمر بن عزون في طاعة الموحدين (٧)، ثم دخلوا لبله (٨) وفيها يوسف بن أحمد البطروجي الذي انتظم في طاعة الموحدين (٩)، وساروا الى باجة (١٠) ، وبطليوس (١١) ،

---

(١) أحمد بن الحسين بن قسي (أبو القاسم) أول الثائرين بالاندلس، وهو نصراني عمل مشرفاً بشلب، واستولى على ميرتله سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م وقام بتشجيع مناطق غرب الاندلس على الثورة، وعندما استولى أبو محمد سدراي بن وزير صاحب باجه على ميرتله جاز ابن قسي الى عبد المؤمن تائباً سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م مما شجع الخليفة الموحدي بالتدخل لحماية الاندلس وتوحيدها . أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، ق١ ، ص ٣٠٧ -٣١١.

(٢) ميرتله : حصن من اعمال باجه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٤٢.

(٣) هو أبو الوليد محمد بن المنذر الثائر في شلب وهي مدينة في غربي الاندلس . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٣ ، ص ٣٥٧.

(٤) ابن الآبّار: الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ١٩٩-٢٠٠ ، ترجمة رقم ١٤٢.

(٥) شريش : مدينة من كورة شذونة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٣ ، ص ٣٤٠.

(٦) رنده : معقل حصين من اعمال تاكرنا ، وقيل حصن بين إشبيليه ومالقه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٣ ، ص ٧٣، وثار فيها إخيل بن ادريس الرندي الذي عمل كاتباً لإبن حمدين في قرطبه ، ولكن عقب دخوله في طاعة الموحدين عين قاضياً لقرطبه ثم لإشبيليه وتوفى سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م . أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ع٣ ، ق١ ، ص ٣٢١.

(٧) ثار ابن عزون في شريش وبسط سلطانه على اركش وانضم في البداية لإبن حمدين في قرطبه ، وبعد دخول قرطبه في طاعة الموحدين سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م ، سارع هو بالدخول في طاعتهم . أنظر ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٢٣٤.

(٨) لبله : شرق اكشونبه وغربي قرطبه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٥ ، ص ١٠.

(٩) ابن خلدون : العبر ، م٦ ، ص ٢٣٤.

(١٠) باجه متصلة بكورة مارده ولها مدن ومعاقل واقاليم . أنظر ابن غالب : فرحة الانفس، ص ٢٩٠ .

(١١) بطليوس : علي ضفة نهر يانه . أنظر الادريسي : المغرب وارض السودان ، ص ١٨١.

وانضم اليهم ابن وزير (١) وتلاه سقوط إشبيليه (٢) في ايديهم ، ومالقه ايضاً التي قاد الثورة فيها القاضي ابو الحكم الحسين بن حسون (٣) ، ولكن مع الأسف عاد بعض الثوار السابقين الى الخروج على طاعة الموحدين مرة أخرى مثل البطروجي وابن قسي وعلي بن عيسى بن ميمون ومحمد بن علي بن الحجام (٤) في بطليوس بينما ظل ابن عزون وشريش في طاعتهم . فأرسل عبد المؤمن بن علي جيشاً قوياً تمكن من بسط نفوذ الموحدين علي بطليوس وشنتمريه (٥) وقادس وشلب ولبلة ، ودخلت قرطبه وجيان في طاعة الموحدين سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م(٦).

---

(١) هو ابو محمد سيدراي وكان اميراً بغرب الاندلس في باجه وبطليوس وتغلب على ابن قسي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م ثم دخل في طاعة الموحدين . أنظر ابن الآبّار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٢٧١ ، ترجمة رقم ١٥٦.

(٢) اشبيليه : على ضفة الوادي الكبير . أنظر مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، ورقة ٢٨-٢٩ .

(٣) مالقه : من اعمال ريه . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٥ ، ص ٤٣ – وقد ثار فيها ابن حسون واستعان بالنصارى لمقاومة المرابطين فثار عليه اهل المدينة فقتل نفسه سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م . انظر عبد الله علي علام : الدولة الموحدية ، ص ١٦٣.

(٤) قام بالثورة في بطليوس ولكن لا توجد تفاصيل تشير الى ثورته وكيفية حدوثها . انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الاول ، ص ٣٢٣.

(٥) شنتمريه : شرق قرطبه. أنظر مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، ورقه ٢٧.

(٦) قرطبه : مدينة عظيمة بالاندلس وكانت مقر سلطان بني أمية ...واسطه من الكور وموفيه على شاطيء النهر ...بقبلتها بطاح سهلة وبجوفها الجبل المنيف المسمى بالعروس والمغروس بالكروم والزيتون وسائر الاشجار وأنواع الازهار . انظر ابن غالب : فرحة الانفس ، ص ٢٩٥-٢٩٦ – وجيان مدينة شرقي قرطبه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٩٥ – وعن الثورة في كل منهما أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الاول ، ص ٣١٢-٣١٦، ٣٢٠-٣٢١.

وأما المرية (١) فدخلت في طاعة الموحدين سنة٥٤١هـ/١١٤٦م، فثار أهلها على والي الموحدين وقتلوه وولوا عليهم ابا يحيى بن الرميمي (٢)، ثم استولى النصارى عليها سنة ١١٤٧/٥٤٢م وحاول الموحدون إسترجاعها وتمكنوا من دخولها سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م (٣). وقبلها تمكن الموحدون من الاستيلاء على غرناطه وإقرار نفوذهم فيها فاستطاعوا بذلك تحقيق حلمهم في ضم المرية لهم (٤) .

على أن من أهم ماواجه الاندلس في عهد عبد المؤمن بن علي الثورة في شـرق الاندلس إذ أن الموحدين إستطـاعوا السيطرة على غرب الاندلس

(١) المرية : " مدينة عظيمة على ساحل البحر وهي محدثة احدثها العرب في الاسلام ، كانوا يرابطون فيها وبنى سورها عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وهو سور مبني من صخر ... متقنه البناء بديعة الشكل ولها قصبة عظيمة ...." مؤلف مجهول جغرافية الاندلس ، ورقة ٣٥.

(٢) وهو من بني الرميمي واصلهم من بني امية ملوك الاندلس ورميمة التي نسبوا اليها قرية من أعمال قرطبة ، أنظر المقّري : نفح الطيب ، م ٣ ، ص ٥٣٤ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٥٥- ٥٦ .

(٤) غرناطه اقدم مدن كورة البيرة من اعمال الاندلس وأعظمها واحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف قديما بنهر قلزم ويعرف حاليا بنهر حدارّه يلقط منه سحالة الذهب الخالص وعليه ارحاء كثيرة في داخل المدينة وقد اقتطع منه ساقيه كبيرة تخترق نصف المدينة فتعم حماماتها وسقاياتها وكثيراً من دور الكبراء ولها نهر آخر يسمى سنجل وأقتطع لها منه ساقيه أخرى تخترق النصف الآخر من المدينة فتعمه مع كثير من الارباض وبينها وبين البيرة اربعة فراسخ. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٤ ، ص ١٩٥ - وعن الثورة فيها انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الاول ، ص ٣١٦ -٣١٨ ، ٣٤٥ -٣٤٦ .

ووسطه وجنوبه ما عدا شرقه وكان مركز هذه الثورة مدينة بلنسيه (١)، وسهل لها قربها من البحر توفر المؤن والعتاد لها وكذلك تهيأ لها قربها من النصارى الاستعانة بهم في وقت الحاجة، وقد قاد هذه الثورة زعيم قوى شديد البأس وهو محمد بن سعد بن مردنيش وساعده صهره إبراهيم بن همشك (٢). ومن أهم ما يميز تلك الفترة من الصراع بين الموحدين وابن مردنيش معركة قوية حدثت في عهد عبد المؤمن وكان النصر فيها للموحدين على ابن همشك وحلفائه من النصارى وعرفت بموقعة السبيكة في ٢٨ رجب سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م(٣) .

ونتيجة لذلك تحطمت آمال ابن مردنيش والنصارى في القضاء على الوجود الموحدي في الاندلس. وقبل وفاة عبد المؤمن قام بعمل هام وهو

---

(١) بلنسيه قاعدة من قواعد الاندلس وهي في مستو من الارض عامر القطر كثير التجار والعمار وبها اسواق وتجارات وحط واقلاع وبينها وبين البحر ٣ اميال مع النهر ، وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة . أنظر الادريسي: المغرب وارض السودان ، ص ١٩١.

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش ولد سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م في إحدى قلاع طرطوشه ، وكما يظهر من لقب الجذامي انه عربي الاصل وقد يكون جده دخل في ولاء بعض الجذاميين فانتسب اليهم ولكن لقبه وسلوكه وتصرفاته تثير الشك وغالباً ان يكون من المولدين او اسباني الاصل ، وكان كثير التشبه بالنصارى في الزي والملابس الى جانب اجادته للغة القشتالية والتي يتحدث بها وضم جيشه عدداً كبيراً من النصارى حيث اغدق عليهم الاموال والاقطاعات وسماه النصارى الملك لوبي (لب) Rey Lope او (Lobo) اي الذئب . أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام ، العصر الثالث، القسم الاول، ص ٣٦٥-٣٦٦ وعن معاهداته مع النصارى أنظر ابن الابار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٢٣٣ - وقد عاونه في ثورته مساعد له يسمى ابراهيم بن محمد بن مفرج بن همشك من أصل نصراني نزح جده الى سرقسطه واعتنق الاسلام وكان مقطوع أحد الاذنين فقالت النصارى همشك ، وخدم ملك قشتاله ثم خدم اللمتونيين سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م وقد أصهر الى ابن مردنيش واصبح من أخلص جنوده ورجاله . أنظر ابن الخطيب : الاحاطه في أخبار غرناطه ، م ١ ، ص ٢٩٧-٢٩٨ ، وعن وصوله الى الحكم في بلنسيه وصراعه مع الموحدين أنظر عبد الله على علام : الدولة الموحدية، ص ١٦٤-١٧٢-١٨٨-١٩٢-١٩٤.

(٣) السبيكة: أرض خصبة في الجنوب الشرقي لقصر الحمراء. عن تفاصيل ذلك أنظر ابن صاحب الصلاة:المن بالامامة، ص ١٨١ - ١٩٤ .

إسقاط ابنه محمد من ولاية العهد لما رآه منه من صفات لا تؤهله لقيادة الدولة من بعده واسندها لابنه السيد ابي يعقوب وكانت وفاة عبد المؤمن سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م(١) .

تولى أمور الدولة خلفاً لعبد المؤمن بن علي ابنه أبو يعقوب يوسف ٥٥٨هـ/١١٦٢م، وقد واجهته العديد من الصعاب في المغرب والاندلس، فمن صعاب المغرب بعض الثورات المحلية مثل ثورة مزيزدغ الغماري الصنهاجي في منطقة غمارة سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م ونجح في القضاء عليها(٢). وأما الصعوبه الثانية فكانت من ثورة سبع بن منغفاد الغماري سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م في جبل صنهاجه،وسارت اليه الجيوش الموحديه لاخماد ثورته، ولكن لم تلبث ان إشتعلت من جديد سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م وازدادت قوة الثائر عن ذي قبل وتطلب الامر حلاً سريعاً وحاسماً، فقرر ابو يعقوب السير اليه بنفسه للقضاء على ثورته وتمرده(٣).

واجه الخليفة أبو يعقوب بعد ذلك ثورة مدينة قفصة بزعامة على بن عبد العزيز بن الرند المعروف بالطويل، وقد ثار أهل المدينة على الوالي الموحدي واخرجوه منها ودعوا على بن الرند من بجايه وسلموه المدينة وتلقب بالناصر لدين النبي، فسار الخليفة أبويعقوب اليها سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، وقضى على ثورته سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م (٤).

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) عن هذه الثورة أنظر ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٣) يقع جبل صنهاجة شمال المغرب وجنوب مدينة سبته وهو كجبل غمارة يجاوره مدينة تكور . وعن تفاصيل هذه الثورة أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ ، ٣١٨-٣٣٥.

(٤) العيني : عقد الجمان ، ج ١٣ ، ورقة ١٣-
- ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٢٤١.

أما موقفه من العرب الهلالية فكما أشرت عمل والده عبد المؤمن بن علي على الاستفادة منهم في الجهاد ضد النصارى، وتبعه ابنه أبويعقوب في السير على نفس المنوال في إصطناع العرب وتوجيههم الى الاندلس(١)، وبهذا يكون حقق فائدة كبيرة في الاستفادة من شجاعتهم في ميدان الجهاد، ثم التخلص من عيثهم وحروبهم فيما بينهم من ناحية أخرى، بالاضافة الى تزويد الجيوش الموحديه بالمقاتله والاستعانة بهم في مساندة البيت الحاكم (٢).

وكان الخليفة أبو يعقوب بما تهيأ له من العيش فترة طويلة في الاندلس، قد تأثر برقة الحياة فيها ودرس على كثير من علمائها، وألم بالكثير عن تاريخ العرب وأحوالهم وحبهم للشعر وماله من أثر في نفوسهم فجعل طبيبه ابن طفيل (٣) يثير حماسهم للجهاد بقصيدة منها :

أقيموا صدور الخيل نحو المغارب لغزو الأعادي وإقتناء الرغائب

واذكوا المذاكي العاديات على العدى فقد عرضت للحرب جرد السلاهب

فلا تقتني الآمال إلا من القنا ولا تكتب العليا بغير الكتائب

ولا يبلغ الغايات إلا مصمم على الهول ركاب ظهور المصاعب (٤)

---

١) الميلي تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، ص ٢٥٨-٢٥٩- وايضا أنظر :
Le Tourneau, R: The Almohades movement, p. 58-59.

(٢) عبد اللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا الاسلامي، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٣) هو الطبيب الفيلسوف أبوبكر محمد بن طفيل وكان يجالس الخليفة أبي يعقوب وهو طبيبه الخاص، أنظر ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ترجمة رقم ٤٠٣.

(٤) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٣٦-٤٤١ - وايضا أنظر ترجمتها في :
Gómez,E : Una Qasida politica indita de Ibn tufayl , revista del instituto egipcio de estudios islámicos, madrid, 1953/1372, p.23, 26-28.

كما ساهم ابن عياش (١) بقصيدة أخرى يستعجل قدومهم منها :

أقيموا الي العليا عوج الرواحل   وقودوا الي الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومه ثائر   وشـــدوا علي الاعـداء شدة صائل

وقد لبى العرب نداء الخليفة وقدموا عليه وبالغ في اكرامهم سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م ، وساهموا معه في غزو النصارى وأستقر بعضهم في الاندلس نواحي قرطبه وإشبيليه (٢) ، وعلى الرغم من إشتراك العرب في ثورة بني الرند سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ومالهم من دور فيها ، نجد اهتمام الخليفة بهم حيث وفد عليه العرب من رياح بزعامة مسعود بن سلطان فاكرمهم سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م (٣)، كما تشير الدلائل أيضاً الى إشتراكهم في غزوة شنترين مع الخليفة سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (٤). ومن الصعاب التي واجهته في المغرب حركات الغز بقيادة شرف الدين قراقوش (٥) الذي حرص على الدعاء لصلاح الدين

---

(١) ابو الحسن بن عياش كاتب الخليفة ابي يعقوب وابيه من قبل عبد المؤمن . وهو اندلسي وعمل لدى السيد ابي حفص بن عبدالمؤمن كاتباً وقدم معه الى تلمسان ثم استدعاه عبدالمؤمن وعينه كاتباً لديه عقب نكبته لوزيره ابن عطيه ، ثم لبث كاتباً لابي يعقوب حتى وفاته سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م. انظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٣٨.

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٤١-٤٤٦ ، ٤٥٨-٤٦٥.

(٣) الميلي : تاريخ الجزائر ، ج٢ ، ص ٢٥٩.

(٤) شنترين : مدينة متصلة الاعمال باعمال باجه في غرب الاندلس . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٣ ، ٣٦٧-محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث القسم الثاني ، ص ١١٥.

(٥) الغز : جنس من الترك بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين وعرفهم العرب في ايام الفتوح الاولى حيث دخلوا بلاد المسلمين كاسرى ومماليك ، ولم يلبث الكثير منهم ان ملكوا حريتهم فبرزوا في الحياة العامة والعسكرية كوزراء وقواد . ويلاحظ ان الاسرى لم يكونوا من الغز اذ نرى فيهم العجم والكرد والارمن وغيرهم . وعندما يتحدث كتاب العربية عن هؤلاء فهم ينسبونهم الى ما شاءوا من الاجناس لا يعنيهم من تلك النسبة إلا الاشارة الى سابقيتهم في الرق والمملوكية ومن هنا كانت تسمية هؤلاء بالغز حيناً وبالترك والمماليك حيناً آخر . أنظر المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٨، هامش (١) وأما عن سبب دخول قراقوش المغرب فهو رغبته في تشييد ملك خاص به ، وتاريخ دخوله مختلف فيه فقيل سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م وقيل ٥٧١هـ/١١٧٥م ولكن افضل وقت لذلك ما بين ٥٦٩-٥٧١هـ/١١٧٣-١١٧٥م على اعتبار فتح توارنشاه بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م مما دفع تقي الدين ابن أخي صلاح ان يكون هو الآخر تواقاً لتشييد ملك خاص به في المغرب. فسير مملوكه قراقوش في البداية لذلك ثم تخلى عن الفكرة فمضى قراقوش في تحقيقها لنفسه . أنظر عز الدين عمر أحمد موسى : دراسات في تاريخ المغرب ، ص ٢٤-٢٥.

وابن اخيه تقي الدين لإضفاء الشرعية على فتوحاته (١). وقد رافقه في مغامراته هذه أيضاً ابراهيم بن قراتكين بجنده (٢). وفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م وقعت الحرب بين شرف الدين وابراهيم بن قراتكين وحلت الهزيمة بشرف الدين ، ثم حدد كل منهما مناطق نفوذه حيث صار لقراقوش مقره(٣) وعربان وقلعه أم العز ويغرن وسماح ، ولإبراهيم من سماح الى غربي نغوسه (٤)، وما فتح من بلاد المغرب بعد ذلك يكون مناصفة بين الاثنين. واستمرت فتوحات قراقوش خلال سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، وفشل سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م في الاستيلاء على قفصة من الموحدين، ثم هزم جيشاً آخر للموحدين علي مقربة من القيروان في نفس العام. كما سار ابراهيم بن قراتكين الي مراكش للدخول في طاعة الموحدين (٥) ، في

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا ، ص ٣٧٦.

(٢) ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمي وهو منسوب الي الملك المعظم شمس الدولة أخ صلاح الدين . أنظر التجاني : رحلة التجاني ، ص ١١٢.

(٣) مَقَّره : مدينة بالمغرب في بر البربر قريبة من قلعة بني حماد بينهما وبين طبنه ثمانية فراسخ . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٥ ، ص ١٧٥.

(٤) نغوسه : جبال في المغرب بعد افريقيه عالية نحو ثلاثة اميال . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٥ ، ص ٢٩٦.

(٥) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق ، ص ٣٤-٣٨ ، ٥٣- ٥٧-٦٧-٧٢.

حين فشل أيضا شرف الدين قراقوش في الاستيلاء على طرابلس سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م (١).

وعن موقف العرب الهلالية من شرف الدين قراقوش فقد لعبوا دوراً كبيراً لمساندته في حروبه فقد إنضمت اليه قبيلة ذباب ، في حين ناصرت زغب إبراهيم ابن قراتكين سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م ، وانضم بنو مرداس لقراقوش سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م وسليم الشريد ، وزغب وعوف (٢).

وفي ميدان الاندلس حيث نجد ثورة ابن مردنيش مازالت مستمرة رغم ما الحقه الموحدون به من هزيمة في معركة السبيكة سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م ، فنراه مرة أخرى يعود سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م لمهاجمة غرناطه ثم تركها ، وقد حزم الخليفة ابو يعقوب الامر في القضاء عى هذه الثورة فمن أهم المعارك التي وقعت بين الفريقين معركة فحص الجلاب في سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م فكانت الهزيمة على ابن مردنيش ضربة من أقسى الضربات التي وجهت اليه وبداية النهاية لتلك الثورة (٣) .

وبدأ أنصار ابن مردنيش في التخلي عنه عقب تلك الهزيمة ومنهم ابن همشك الذي إنضم للموحدين سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، وواصلت قوات الموحدين سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م تطهير شرق الاندلس من تلك الثورة والتي استمرت لفترة طويلة وتوفى قائد هذه الثورة في مرسيه (٤) سنة ٥٦٧هـ

---

(١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٨ .

(٢) عن تلك القبائل والتي ناصرت الغز أنظر ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٧٢ - ٧٣ ، ٨٤-٨٥.

(٣) فحص الجلاب على بعد عشرة اميال جنوبي مرسيه. أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٢٧٩-٢٩٢.

(٤) مرسية : مدينة بالاندلس من أعمال تدمير ، وهي ذات اشجار وحدائق محدقة بها ، وازدهرت كثيراً على عهد ابن مردنيش حتى صارت قاعدة شرق الاندلس. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ١٠٧ـ انظر خريطه رقم (١)

/١١٧١م على إثر إشتداد المرض عليه (١) .

وبعد استقرار امور الموحدين السياسية أصبح الوقت ملائماً لجهادهم ضد النصارى حماية للاندلس ضد غاراتهم (٢). وقد حالت وفاة عبد المومن بن علي سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م دون تسيير الجيوش والتي اعدها لهذا الغرض، فلما خلفه ابنه ابويعقوب حمل لواء الجهاد ضد الممالك النصرانية (٣).

ففي سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م تحالف مع صاحب ترجاله فرنانده رايس النصراني (٤)، وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م قاد ابويعقوب جيشه وعبر البحر الى الاندلس مجاهداً ضد مملكة قشتاله حيث كانت موقعة وبذة (Huete)(٥) والتي حاصرها دون نتيجة حاسمه، وعندما بلغ الخليفة أبا يعقوب

---

(١) عن تفاصيل ذلك أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤١٢-٤١٦، ٤٢٣-٤٢٤-٤٢٧- ٤٣٤ ، ٥٠٥-٥٠٩- محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٤٦ - ٥٧- وأنظر ايضا عن ذلك :

Miranda , A.H : Historia musulmana de valencia , , vol , III, p . 129 - 177 .

(٢) عن الممالك النصرانية في العصر المرابطي واوائل الموحدي أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثاني ، القسم الاول ، ص ٤٧٦-٥٢٨.

(٣) عقب وفاة القيصر الفونسو ريمونديس سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م قسمت اسبانيا النصرانية بين ولديه حيث اختص سانشو بعرش قشتاله ، واختص ابنه الاصغر فرناندو بمملكة ليون وجليقية ، ولكن توفى سانشو سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م تاركاً طفلاً صغيراً لوراثة العرش فقامت في قشتاله حروب شديدة بين اسرتي كاستروولارا لعدة اعوام حول مسألة الوصاية على الامير الطفل ثم تولى الملك عند بلوغه الحادية عشر من العمر تحت رعاية اسرة لارا القوية ، وخلال العصر الموحدي كانت اسبانيا النصرانية منقسمة الى أربعة ممالك وهي قشتاله وليون وارجون وناقار (نبرة) ومملكة البرتغال الحديثة . وعن اوضاع هذه الممالك قبل عهد المنصور الموحدي وعلاقتها مع بعضها البعض أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ٥٨٣-٥٨٦، ٥٩٣، ٦٠١-٦٠٢، ٦٠٧، ٦٠٩، - ٦١٠.

(٤) ترجالة : في الاندلس وتقع غرب طليطلة في الشمال الشرقي من بطليوس وفي الجنوب الشرقي من قاصرش . أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة، ص ٣٨٩.

(٥) وبذة (Huete) وهو حصن قديم سماه الرومان عندما استولوا على اسبانيا (Julia - Opta) وحذف العرب صدر الكلمة ، ويوجد في مقاطعة كونكه . ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٥٢٤.

قدوم النجدات النصرانيه للمدينة إنسحب عائداً الى كونكة (١) والتي كانت محاصرة أيضا من قبل النصارى حيث تركوها أثر علمهم باتجاه الموحدين اليها، ثم واصل الخليفة طريقه الى إشبيليه فوصلها سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م (٢). وقد كشفت هذه المعركة عن أشياء هامة منها سوء التخطيط لهذه الحملة، مما نتج عنه فشلها على الرغم من ضخامتها الى جانب عدم توزيع الخليفة للعمل الحربي بين القادة من ذوي الخبرة في قتال النصارى، وعدم استغلال الموحدين لفرصة ضعف القشتاليين في التغلب عليهم (٣) .

وفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م أيضا ألحق الموحدون الهزيمة بحاكم أبلة الكونت خمينو بفحص كركوي (٤)، وأعقب هذا صلحاً بين الموحدين وقشتاله في نفس العام (٥)، وفي سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م سقطت كونكه في يد القشتاليين، ويعتبر سقوطها ثغرة في خط الدفاع الشمالي الشرقي

---

(١) كونكه (Cuenca) مدينة اندلسية على نهر شقر ، وتبعد ١٦٥ كم عن مجريط من الناحية الشرقية . أنظر محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الاندلسية ، مجلة البينة ، السنة الاولى ، العدد الثالث ، محرم ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م ، ص ٢٩ . ولمزيد من الايضاحات عن هذه المدينة انظر صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٥٤٢-٥٤٣.

(٢) انظر ايضا : Miranda , A.H : Historia política del imperio Almohade , 1,p.257-265.

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٨٤-٨٥.

(٤) أبلة (Avila) مدينة قديمة تبعد عن مجريط ١١٣ كم ، وأما الكونت خمينو فيعرف بالقومس سان منوس اوشان منوس او الاحدب عظيم النصارى وعرف في المخطوطات المسيحية باسم (Sancho Jimeno) ولقي مصرعه في كركوي (Caracuel) وقد يكون اطلاق الاحدب عليه من قبيل السخرية ، واماكونه يسمى بابي برذعه لانه له برذعة من الحرير منسوجة بالذهب ومكللة باصناف الجوهر يركب عليها لعاهة فيه أنظر ابن صاحب الصلاة ، المن بالإمامة، ص ٣٠٨ ، هامش رقم (٢) . أنظر ايضا :
Miranda , A.H : Historia Almohade , I,p.268-269.

(٥) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٥٦٥-٥٦٦.

الأندلس ودليلاً على ضعف الدفاع الموحدي (١) وبمقتضى معاهدة كسولاً بين قشتالة وأرغونه سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م تم توزيع مناطق غزوهما للأندلس ، فاختصت أرغونه بغزو شرق الاندلس من بلنسيه شمالاً حتى يبرة جنوباً، واصبح من حق قشتاله الاراضي الواقعة وراء هذه البلاد. وفي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م ازدادت غارات القشتاليين على المناطق الاسلامية وتمكنوا من الإستيلاء على بعض الحصون ، ولكن استطاع الموحدون هزيمتهم في سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م (٣) .

وأما عن جهاده ضد البرتغاليين والذين أبدوا نشاطاً عظيماً في مقاومة الوجود الاسلامي في الغرب الاندلسي حيث استولوا علي اشبونه سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م (٤)، وعلى شنتره (٥)، وشنترين بمساعدة الصليبيين المتجهين الى المشرق وعلى قصر الفتح سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م (٦) ، وباجه سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م (٧)

---

(١) ابن عذاري : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٣٧-١٣٨-وأنظر أيضاً:

Altamira, R :Spain, 1031-1248, C.M.H.Vol, vl,p.409

(٢) هشام ابورميله : علاقات الموحدين ، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٤٥-١٤٧، ص١٤٩-١٥١.

(٤) اشبونه (Lisboa) وهي متصلة بشنترين قريبه من البحر المحيط . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م١ ، ص ١٩٥.

(٥) شنتره : مدينة من اعمال لشبونه بالاندلس. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، م٣ ، ص ٣٦٧.

(٦) قصر أبي الفتح أو قصر ابي دانس (Alcacer do Sal) تقع الى جنوبي مدينة اشبونه علي بعد ٦٤كم . أنظر محمد الفاسي :الاعلام الجغرافيه ، ص ٣٣.

(٧) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٣٩٦.

وعمل الموحدون على تعزيز حامية بطليوس سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥ ضد غارات النصارى (١) ، ولكن استطاع النصارى الإستيلاء علي ترجاله سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م ، ويابره (٢) ، وقاصرش (٣) سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م ومنتا نجش(ع) وشربه (٥) وجلمانيه (٦) . في حين فشلت محاولاتهم في الإستيلاء علي بطليوس ما بين ٥٦٤-٥٦٧هـ/١١٦٨-١١٧١م (٧) بينما وقعت باجة في أيديهم (٨) .

ولم يكن الجهاد ضد البرتغاليين قاصراً علي الناحية البريه بل هناك أيضاً بعض المعارك البحرية منها غارة موحديه سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م للاشبونه، وهزم الموحدون من قبل النصارى عند محاولتهم غزو بورتودي موسى (Porto de Mos) سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م،ثم عاد الموحدون وهزموهم سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م (٩). وفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م قاد أبو يعقوب حملة كبيرة وتوجه بها الى شنترين التي حاصرها حصاراً شديداً واستطاع السيطرة على أرباض المدينة، ولكن قرر فجأة الإنسحاب عائداً عنها فارتحلت الجند ظانين أن الخليفة قد سبقهم، وفي الصباح بدأ الخليفة إنسحابه وظل ابنه مع بعض الجند يحمي انسحابه من غدر النصارى

---

(١) ابن عذراي : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٨٨.

(٢) يابره (Evora)) بلد في غربي الاندلس على بعد ١١٧كم من شرق الاشبونه . أنظر محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية ، ص ٣٥.

(٣) قاصرش (Caceres) في شمال بطليوس . أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٣٩٦ ، هامش رقم (٤)

(٤) منتانجش (Mantanchez) تقع الى شمال بطليوس . أنظر ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٩٦، هامش رقم (٥)

(٥) شربه (Serpa) تقع الى جنوب بطليوس . أنظر ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٩٦ ، هامش رقم (٦)

(٦) جلمانية (Jurumena) في جنوب بطليوس . أنظر ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ، هامش رقم (١) .

(٧) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٣٩٨-٤٠٦، ٤١٦-٤٢٠.

(٨) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٢٧-١٣٠.

(٩) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٥.

ومع الاســف إستغل النصـــارى الفرصة وشنوا هجوماً قوياً على الخليفة وحرسه وتمكنوا من إصابته بجراح خطيـرة وخلال مواصلـة الجيش الانسحـاب أسلـم الخليفـة الروح متأثراً من جراحه سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (١)، وتشير الروايات النصرانيه أن سبب إنسحاب الجيش يرجع الى قدوم نجدات نصرانيه للمدينه (٢)، وقد كشفت هذه الهزيمة عن نقص كبير في الدفاع الموحدي، وعدم الاستعانة بخبرة الاندلسيين في قتال النصارى ، الى جانب عدم الاستفادة من دروس معركة وبذه للتغلب على السلبيات السابقة (٣). أما مملكة ليون والتي كانت من نصيب فرناندو عقب وفاة ابيه الفونسو السابع سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م (٤)، فمن أهم ما يميز علاقته بالموحدين عقده لمعاهدة صداقة معهم سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م طالباً مساعدته على قتال القمط نونه دي لارا (Nuño perez de lara) المسيطر على ابن اخيه الفونسو الثامن في قشتاله، مقابل تعهد فرناندو بمساعدة الموحدين ضد أعدائهم من النصارى وقد وفى بذلك خصوصاً في صد ملك البرتغال أثناء غاراته ومضايقاته لمدينة بطليوس سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، ثم في سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م (٥) .

ولم يلبث فرناندو ان نقض صلحه مع الموحدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م،

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٦٠-١٦٤.

٢) انظر Miranda .H : Historia Almohade , I , p. 296 -297.

٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ١٣٠ .

٤) عرف فرناندو هذا بالبيبوج وصاحب السبطاط وتعني ثيوداد رودريجو عاصمته ومقر حركاته ، أما البيبوج (Elbaboso) فتعني الكثير اللعاب وقد اطلق عليه ذلك تحقيراً له وهو مرادف لكلمة الاحمق وأشار مؤرخ لايتنى يدعى لوكاس دي تي (Lúcas de Túy) ووصفه له في حركاته وعلى فرسه وببذلته العسكرية ينبيء عن ضراوة وشراسة اكثر مما ينبيء عن شجاعة وإقدام وكان اذا غضب يستحيل صوته الى زئير أسد وعندما يعود الى الهدوء يكون مضرب الامثال في دماثة الاخلاق. أنظرابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ، ص ٢١٦، هامش، رقم (٣).

٥) ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٠٥-١٠٧ ١١١، ١١٢-١١٢.

فرد الموحدون عليه بغزو السبطاط سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م في حين واصل هو إعتداءه على المدن الاسلاميه الاندلسيه مثل اركش (١) وشريش وقاصرش ، ثم تقديمه المساعدة للبرتغال أثناد غزو الموحدين لها في شنترين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (٢). وأما مملكة نبرة التي إنفصلت عن ارغونه سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م حيث حكمها غرسيه راميريس وخلفه على عرشها سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م سانشو السادس الملقب بالعالم الذي قام بمساعدة ابن مردنيش في حروبه ضد الموحدين سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م (٣)، وظل حاكما لها حتى نهاية عهد أبي يعقوب وجزءً كبيراً من عهد ابنه المنصور، ثم خلفه على عرشها سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م سانشو السابع الملقب بالقوي (Elfuerte) (٤).

وأما مملكة أرغونه فتولى حكمها عقب إنفصالها عن نبره سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م الراهب راميرو شقيق الفونسو المحارب ولكنه لم يلبث أن عهد بحكمها الى كونت برشلونه لعجزه عن تصريف شئونها، كما قام راميرو بتزويج ابنته بترونيلا سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م لكونت برشلونه مما ترتب عليه إتحاد الدولتين وكان أهم أحداث القرن السادس الهجري حيث عرفت برشلونه (٥) باسطولها البحري وعرفت ارغونه بقوتها البريه، وعقب وفاة الكونت خلفه على عرش البلاد الفونسو الثاني سنة

---

(١) اركش (Arcos) هي بين شريش ورنده. أنظر محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية، ص ١٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٣٠ - ١٣١،١٣٨.

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦٠١.

(٤) سانشو السابع لعب دوراً كبيراً في موقعة العقاب ضد الموحدين وقد أشادت الكتب الاجنبية بذلك الدور . أنظر

Barbour, N .,: King Sancho Elfuerte of Navarre, revista del instituto de estudios islámicos en madrid , vol . xv, 1970, p .55.56.

(٥) مدينة شرق الاندلس .

٥٥٨هـ/١١٦٢م.

قام الفونسو الثاني بمحاولة الاستيلاء على بلنسيه سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م وفشل في ذلك لاستبسال ابي الحجاج يوسف بن سعد شقيق ابن مردنيش في الدفاع عنها، ثم عاود غزوها مرة أخرى في سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م مما أثار قلق قشتالة لذلك قررت عقد معاهدة مع ارغونه لتحديد مناطق غزوهما للاندلس وأما عن علاقاتها بدول النصارى فقد ساهمت هذه المملكة في عهد رامون برنجير الرابع مع اساطيل النصارى في الاستيلاء على المرية سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، ثم على طرطوشه سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م(١)، وبقية قواعد الثغر الاعلى مثل مكناسه (٢) ولارده (٣) وافراغة (٤) سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م مسيطرة بذلك على مدن واراضي وادي ايبرو من منابعه الى مصبه (٥).

وفي عهد الفونسو الثاني سعت ارغونه لتسوية المشاكل بينها وبين قشتاله وللتحالف ضد الممالك النصرانيه الأخرى في اجتماع ساهاجون سنة٥٦٦هـ/١١٧٠م، واسهمت مع قشتاله في الاستيلاء على كونكه سنة

---

(١)طرطوشه: مدينة بالاندلس تتصل بكورة بلنسيه. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٤، ص ٣٠.

(٢) مكناسه:من مدن الثغر الاعلى بينها وبين طرطوشه مرحلتان. أنظر الادريسي: المغرب وارض السودان، ص١٩٠.

(٣) لاردة : مدينة صغيرة ولها اسوار منيعة وهي على نهر كبير . أنظر الادريسي : المغرب وارض السودان ، ص ١٩٠.

(٤) إفراغه : مدينة بالاندلس من أعمال ماردة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٢٧.

(٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٣٦٩-٣٧٠- وعن حركات الاسترداد المسيحي في وادي ابيرو أنظر :

Lacarra, Jose M .: Documentos para El Estudio de La Reconquista y Repoblación del valle del Ebro , Zaragoza, 1946, Primera Serie , p.3-78.

: Segunda Serie, p.4 - 156

: Tercera Serie , Zaragoza, 1952, p.2 - 108.

٥٧٢هـ/١١٧٦م ، كما حاول الفريقان الاتفاق بشأن مدينة شنتمريه الشرق حيث كانت المدينة من نصيب أرغونه وحصونها من نصيب قشتاله وقد اعترف حاكم المدينة وهو الفارس بيدرو دي أساجر بطاعة قشتاله (١) وأما عن موقف زعماء الجزائر الشرقية (٢) من الموحدين فنلاحظ إسهام هذه الجزر بدور كبير في الجهاد البحري منذ استقرارها في طاعة المسلمين وخاصة في عهدها مجاهد العامري (٣) ، ثم دخلت في حوزة المرابطين سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م وتعاقب ولاتهم عليها حتى وليها سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانيه (٤) .

---

(١) شنتمرية الشرق وتسمى البراثين (Albaracin) . أنظر المقري : نفخ الطيب ، م١ ، ص ١٣١ – محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث، القسم الثاني ، ص ٦٠١-٦٠٢.

(٢) تضم الجزائر الشرقية جزيرة يابسه ومنورقة وميورقه التي بها مقر بني غانيه وهي جزيرة في البحر الزقاقي تسامتها من القبلة بجايه من بر العدوة ، بينهما ثلاث مجار ، ومن الجوف برشلونه من بلاد أرغونه وبينهما مجرى واحد من الشرق. أحد جزيرتيها منرقه وبينهما مجرى في البحر طوله اربعون ميلاً وشرقي ميورقه هذه جزيرة سردينه بينهما في البحر مجريان وغربيهما جزيرة يابسه بينهما مجرى طوله سبعون ميلاً وغربي يابسه مدينة دانيه من بر الاندلس بينهما في البحر سبعون ميلاً وميورقه أم هاتين الجزيرتين وهما بنتاها واليها مع الايام خراجهما. وطول ميورقه من الغرب الى الشرق سبعون ميلاً ، وعرضها من القبلة الى الجوف خمسون ميلاً . أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٦٧.

(٣) مجاهد العامري (٤٠٠-٤٣٦هـ/١٠٠٩-١٠٤٤م) . أنظر كليليا سارنللي : مجاهدي العامري ، ص ١٨٧ – ١٩١.

(٤) استولى المرابطون على هذه الجزر حماية لها من إعتداءات النصارى. أنظر محمود علي مكي : وثائق تاريخية ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٩-١٩٦٠م، م٧-٨، ص ١٥٧-١٦٣- وأما بنوغانية فعرفوا بذلك نسبة الى أمهم غانية زوجة علي المسوفي الذي حظي بمكانة كبيرة لدى يوسف بن تاشفين وأنجبت غانيه محمد ويحى اللذين عرفاهما وأحفادهما ببني غانيه نسبة الي أمهم . أنظر هشام ابو رميله : علاقات الموحدين ١٤٣-١٤٤.

وخلفه في حكمها ابنه عبد الله سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م ثم شقيقه اسحاق ، وفي عهده وصلت الي أوج ازدهارها وقوتها (١) . وكانت ميورقه تقف موقف العداء من الموحدين الى جانب شعورها بالاطمئنان من خطرهم لإنشغالهم بثورة ابن مردنيش فأخذ اسحاق في مهادنتهم ومراسلتهم ولقي قبولاً لدى الموحدين ، ولكن ما أن استقرت اوضاعهم في شرق الاندلس حتى اتجهت انظارهم نحو هذه الجزر لأهميتها البحريه والتجاريه،فقام ابو يعقوب سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م بدعوة بني غانية للإعتراف الرسمي بطاعة الموحدين وهنا أختلفت آراؤهم بين مؤيد ومعارض (٢) ، وعقب وفاة اسحاق سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، وولاية ابنه محمد وجه أبو يعقوب إليهم برسوله أبي الحسن على بن الربرتير لمعرفة موقفهم من دعوته (٣) .

---

(١) المراكشي : المعجب ، ص ٢٦٩ – محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٤٦.

(٢) المراكشي : المعجب ، ص ٢٦٩.

(٣) الربرتير (Elreverter) هو قائد مسيحي مشهور من قواد أمير برشلونه أسره على بن ميمون قائد البحر ايام المرابطين ثم دخل في خدمة المرابطين حيث جعله علي بن يوسف رئيس فرقة النصارى المرتزقه العاملة مع الجند المرابطي ، واستطاع اثبات جدارته في الحرب ضد الموحدين وقتل بالقرب من تلمسان سنة ٥٣٩هـ/١١٤١م ، أما ابنه علي هذا فهو أشجع جند الدولة الموحدية حيث انتصر على بني غانية في ميورقه فيما بعد . أنظر ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٦٩ ، هامش رقم (١) وأنظر أيضاً : Barbour, N : Morocco , p . 75.

وظل موقف بنو غانيه غامضاً لم يتضح بعد، وما أن علموا بمصرع الخليفة الموحدي في شنترين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ولاية ابنه أبي يوسف حتى بادروا باعلان رفضهم لطاعة الموحدين، بل ومحاربتهم. ويبدو أن محمد بن اسحاق بن محمد بن غانيه كان يؤثر مهادنة الموحدين جرياً على سياسة أبيه حفاظاً على استقلال الجزائر، إلا أن أخوته رفضوا ذلك ووقفوا من الموحدين موقفاً عدائياً فانتهى الامر باقصاء محمد عن عرش الجزائر وتنصيب أخيه على مكانه ثم قاموا بالقبض على رسول الموحدين وسجنه(١)، والاستعداد لغزو الموحدين في عقر دارهم.

مظاهر الحضارة لدولة الموحدين قبل عهد المنصور الموحدي :

١- نظم الحكم :-

تمت مبايعة عبد المؤمن بن علي كحاكم للموحدين عقب وفاة ابن تومرت سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م ولم يلبث ان ساهم صهره أبو حفص عمر كبير هنتاته أعظم قبائل المصامده في تدعيمه، ثم اختار عبد المؤمن ابنه محمد خلفاً له ، ولكن عندما ظهر له عدم صلاحيته لتولي امور الدولة عهد بذلك لابنه ابي يعقوب من بعده (٢). وقد تعود الخلفاء الموحدون عند مغادرتهم للعاصمة على ترك نواب لهم فيها وانحصر ذلك المنصب في أقاربهم وابنائهم مثلما فعل عبد المؤمن إذ جعل أبا حفص نائباً عنه حينما توجه لفتح بجايه (٣)، وعهد أبويعقوب بهذا المنصب لاخوته في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م وسنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م (٤).

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٤٨.

(٢) حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية ، ص ٦٨- ٧٣- ٧٤، ٧٦-٧٨ - ، وعن تلقبهم بألقاب الخلافة أنظر ايضا ص ٧٨-٨١ ، وعن تدريب ولي العهد لشئون الحكم أنظر ايضا ، ص ٨٨-٩٢ .

(٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٩٢.

(٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين، ص ١٣٧- ابن خلدون : العبر، م ٦ ، ص ٢٤٠

وقد استعان الخلفاء الموحدون بالوزراء للنهوض معهم بأعباء الحكم وتنوعت شخصياتهم، إذ كان بعضهم من أسر الخلافة، وبعضهم من اسر ذات شأن في الدولة، وبعضهم من قبائل معينه وغيرهم. وتنوعت إختصاصات الوزراء تبعاً للحالة التي تجتازها الدولة الى جانب خبرة الوزير بالفنون العسكرية ليكون عوناً للخليفة، وأحياناً القيام بوظيفة الحاجب وتعني رئاسة الوزراء، وجمع بعض الوزراء بين الكتابة والوزارة، كما أشرف بعضهم على شئون البناء والتعمير حسب اوامر الخليفة، ولكن تعرض بعض الوزراء لغضب الموحدين ونكبوا نتيجة إستبدادهم أو تعدي عمالهم على الرعية (١).

وحظي عهد الخلفاء الموحدين بكتاب اظهرت كتاباتهم مدى ما هم عليه من براعة في هذا الفن، الى جانب تنوع جنسياتهم من المغرب أو الاندلس، مثل أبو الحسن عبد الملك بن عياش من الاندلس في عهد عبد المؤمن ثم عهد ابي يعقوب(٢)وايضا أبوالفضل بن محشوة من أهل بجايه(٣)،وتولى الحجابة لعبدالمؤمن ثم لابنه الخليفة ابي يعقوب السيد أبو الحفص بن عبدالمؤمن(٤).

واما ما يتعلق بالمدن واقاليم الدولة فقد حظيت بعناية الخلفاء حيث عينوا عليها ابناءهم واقاربهم الى جانب الطلبه والحفاظ مع مراقبة هؤلاء

---

١) عن وزراء ابن تومرت ثم عبد المؤمن ثم ابنه ابي يعقوب انظر حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية ص ٩٣ - ١١٢.

٢) أبو الحسن عبد الملك بن عياش كتب لابي يعقوب وكانت وفاته سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م وكتب للسيد ابي حفص ولم يزل معه في تلمسان حتى إستدعاه الموحدون وأتخذو ه كاتباً لهم. أنظرابن عذارى: البيان المغرب، ص ٨٠، ١٦٦-١٦٧.

٣) هو الفقيه والكاتب البارع ابو الفضل بن طاهر من أهل بجاية ومن ذوي العلم والفضل والتقى برع في الكتابة والبلاغه . أنظر ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص ٢٠٦-٢٠٧ وعن ثقافة الكتاب واختصاصاتهم أنظر حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية ص ١١٧-١٢١ .

٤) ابن ابي زرع:الانيس المطرب،ص ٢٠٦- لمزيد من التفاصيل راجع حسن علي حسن:الحضارة الإسلامية ص ١٢٢ -١٢٤.

الولاة ومحاسبتهم عند الحاقهم الظلم بالرعية (١). واهتم الخلفاء الموحدون بانشاء الدواوين المختلفة لخدمة احتياجات الدولة مثل ديوان الانشاء (٢)، وديوان الجيش (٣)، والبريد والشرطه (٤).

وقام الخلفاء بتنظيم النواحي المالية للدولة واستخدموا مشرفين لذلك، فهناك مثلا عبد الله بن خيار الجياني في فاس في عهد عبد المؤمن(٥)، وفي عهد ابي يعقوب أبوزكريا بن حيون وابنه علي في تلمسان (٦)، الى جانب وجود مشرفين لاموال الخلفاء ومتولي المجابي الذي يقوم بجمع الضرائب والجزية وله عمال في مختلف المدن (٧). وقد تنوعت مصادر الدخل المالي للدولة أيام عبد المؤمن وابنه ابي يعقوب مثل الخراج والزكاة والجزيه والغنائم، والمصادرات - الاموال المصادرة من محاسبة العمال والولاة - (٨).

وأما النفقات المالية فكانت للجيش، والمرتبات، والبناء والتعمير، والمنح،والهدايا (٩). وفي النظام القضائي تولى الخليفة بنفسه اختيار القضاة وتعيينهم حرصاً على تحقيق العدالة. وكان يتم اختيارهم على أساس

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٠٩ - ولمزيد من التفاصيل عن الولاة وحدود اختصاصاتهم ومؤهلاتهم وطرق تعيينهم أنظر حسن علي حسن : الحضارة الاسلاميه ص ١٢٨ -١٤٥ .

(٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ٦٢١-٦٢٢.

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ٦٣٨.

(٤) حسن علي حسن : الحضارة الاسلاميه ص ١٤٩-١٥٤.

(٥) أنظر ترجمته في : ابن الآبار : الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢٣٥ -٢٣٦، رقم ١٤٧.

(٦) هو شيخ كومية وابنه علي مشرف تلمسان وكان يخرج كل يوم وهو مقيد للحساب على عمله، ثم اخرج ابن حيون منفياً الى بطليوس بينما بقى ابنه في السجن حتى مسير الخليفة لغزوة شنترين. أنظر ابن عذاري : البيان، ص ١٥٥ . وعن المشرفين الماليين أنظر حسن علي حسن : الحضارة الاسلاميه ص ١٨٥-١٨٨.

(٧) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ٦٢٣.

(٨) حسن علي حسن : الحضارة الاسلاميه ص ١٩٥-٢٠٩.

(٩) المرجع السابق، ص ٢١١ -٢٢٦.

الورع والدين والمعرفة بالاحكام الشرعية، ولبث القضاء في الدولة الموحدية في المغرب والاندلس محتفظاً باهميته في تنظيم أمور الناس وبرز في هذا المجال في عهد عبد المؤمن صهره القاضي أبو عمران موسى من تينملل (١)، واشتهرت في عهد أبي يعقوب اسرة عيسى التادلي التي تولى كثير من افرادها منصب القضاء (٢). وجلس الخلفاء الموحدون للمظالم وجعلوا لها اياماً معينه وقاموا بايقاع العقوبة على المتهمين (٣) .

وعملت الحسبة على تنفيذ القوانين المتعلقة بالمصالح والآداب العامة وقد قام ابن تومرت فيما سبق بدور المحتسب في الامر بإراقة الخمر وكسر آلات اللهو وغير ذلك (٤).

وأهتمت الدولة الموحدية بالجيش إذ هو عمادها في الجهاد كما نلاحظ في إستعراضنا السابق لنشاطها الحربي، وخاصة في عهد ابن تومرت والكفاح ضد المرابطين، ثم زاد ذلك الاهتمام في عهد عبد المؤمن بن علي لقيامه بتوطيد سلطانه في المغرب وطرد النصارى من المهدية، وفي عهده ساهم الجيش الموحدي في الجهاد ضد ثوار الاندلس والقضاء عليهم مثل ثورة ابن مردنيش ثم الجهاد ضد النصارى الاسبان . وحظي الاسطول الموحدي بعناية الخلفاء حيث نلاحظ مساندته لعبد المؤمن في إحتلال المهدية ثم مساهمته في عهد ابي يعقوب في نقل المجاهدين الى الاندلس ضد النصارى وخاصة البرتغاليين (٥) .

---

(١)ابن القطان: نظم الجمان، ص ١٧٥، حاشية رقم (٢).
(٢)ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ ج م ١ ، ص ٣٣٥ .

(٣) حسن علي حسن :الحضارة الإسلامية، ص ١٧٣.
(٤) ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٤٠-٤١.
(٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦٣٢-٦٣٨- أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب ، ص ٣٢٩ – ٣٥٥.

الحياة الاجتماعية :-

تنوعت عناصر المجتمع في عهد الدولة الموحدية اذ ضمت العديد من الفئات مثل البربر حيث قامت على اكتاف بربر المصامدة واصبحت قبائلهم لها الصدارة في الوظائف والمناصب (١)، ثم العنصر العربي الموجود في المغرب منذ الفتح الاسلامي وطوال فترات الحكم الاسلامي وفي خلال القرن الخامس الهجري وكثرتهم عقب الغزوة الهلالية والتي تسببت في ازعاج الدولة الموحدية وعمل وابنه أبويعقوب على الاستفادة منهم في الجهاد ضد النصارى من ناحية وللتخلص من شغبهم ومساعدتهم للثوار في المدن البعيدة عن مركز الدولة(٢). ومن أهم آثار العرب في تلك الفترات الاسراع بتعريب المغرب، سواء من حيث الاختلاط بالبربر أو نشر الثقافة العربية(٣).

والى جانب العرب والبربر هناك الغز في عهد أبي يعقوب والذين كانوا عنصر شغب في المغرب (٤)، بالاضافة الى وجود عناصر أخرى اقلية في المغرب مثل السودانيين حيث كثر استخدامهم كخدم في المنازل والجيش وجواري للخلفاء (٥). كما وجد ايضا الروم والصقالبه في جيش عبد المؤمن بن علي وابنه ابي يعقوب (٦). وعاش في المجتمع الموحدي جاليات كبيرة من اليهود والنصارى، فبينما تعاملت الدولة المرابطيه معهم بالشدة والحذر

---

(١) عن دور البربر في الدولة المرابطية والموحدية . أنظر حسن علي حسن : الحضارة الإسلاميه،ص ٢٩٢-٣٠٦.

(٢) أنظر ماسبق ذكره عن ذلك ـ ٤٤ ـ ٤٦

(٣) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، م ١ ، ص ٢٨٣.

(٤) راجع ماسبق ذكره عنهم . ص ٤٦

(٥) ابن القطان : نظم الجمان ، ص ١٠٩ .

(٦) حسن علي حسن : الحضارة الإسلاميه ص ٣٢٣ – ٣٢٤.

واتخذت اجراءات صارمة إزاءهم في بعض الاحيان (١)، نجد ان عبد المؤمن بن علي خيرهم بين الموت أو الاسلام، وطبقاً لذلك فر الكثير منهم حفاظاً على حياته، وأما من بقي منهم في المغرب فعوملوا بشيء من القسوة والاضطهاد لعدم ثقة الدولة بهم (٢). ولكن ذلك لا يعني خُلو المغرب منهم أذ أن هناك دلائل تشير الى وجودهم فيه مثل العناصر التي خدمت ضمن الجيوش المرابطيه ثم الموحديه (٣).

وأما عن توزيع طبقات المجتمع فهناك الطبقة الحاكمة ممثلة في عبد المؤمن وخلفائه (٤)، وطبقة الطلبه (٥)، الذين شكلوا هيئة الدعاة في الدولة الموحديه وأهتمت بهم الدولة وصرفت لهم المرتبات، وطبقة العلماء والفقهاء (٦)، واصحاب الحرف والصنائع حيث نلاحظ أهتمام عبد المؤمن

---

١) عن معاملة المرابطين لليهود نلاحظ تمتعهم بقدر كبير من الثراء ايام يوسف بن تاشفين اذ دفعوا جزية بلغت مئة الف دينار ، كما قام بتغريب بعضهم لتعاونهم مع أعداء المسلمين ، وحرم عليهم علي بن يوسف المبيت في مراكش ليلاً والاقتصار على ممارسة أعمالهم بها نهاراً مما نتج عنه وصف حياتهم في ظل المرابطين ببعض الاضطهاد وفقدان الحرية ، وفي الحقيقة ان أمراء المرابطين كانت لهم دوافعهم لهذه المواقف احتياطاً من اليهود وخيانتهم والى جانب ذلك هناك من الشواهد ما ينافي ما وصفت به الدولة المرابطيه بالنسبة لموقفها من اليهود ومثال ذلك ما كانوا يقومون به من اعمال تجارية وغيرها تدل على تمتعهم بالحرية كغيرهم من الطبقات واما فيما يتعلق بالاجراءات الصارمة لم تأته من فراغ بل لها من الحوادث ما استدعى وجودها. وعن ذلك أنظر : حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص ٣٦٤– ٣٦٨.

٢) أنظر ، Hirschberg, H.Z : A History of the Jews in . north Africa , vol . I, p . 117 - 139.

٣) الصديق بن العربي : طوائف وشخصيات مسيحيه بالمغرب، مجلة تطوان، العدد ٦، ١٩٦١، ص ١٥٤

٤) حسن علي حسن : الحضارة الاسلاميه، ص ٣٢٩–٣٣١.

٥) اطلقت هذه الكلمة في عهد ابن تومرت على اصحابه وباقي الداخلين في دعوته سموا بالموحدين وقد قسم ابن تومرت اصحابه الى طبقات منها العشرة – أهل الجماعة – ثم أهل خمسين ، ثم أهل سبعين ، ثم الطلبة ، ثم الحفاظ وهم صغار الطلبة ، ثم اهل الدار ، ثم هرغة ، ثم اهل تينملل ، ثم جدميوه ، ثم جنفيسه ، ثم هنتاته ، ثم أهل القبائل ، ثم الجند ، ثم الغزاة او الغرات وهم الاحداث الصغار الاميون وقيل الحرس الخاص للامام واحتمال انها الغرات وتعني الصبي الصغير . أنظر ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٨.

٦) حسن علي حسن : الحضارة الاسلاميه ص ٣٢٩–٣٤١.

وابنه بهم (١)، ومنهم على سبيل المثال التجار (٢) والفلاحون وصانعوا الثياب، والبنائون وصانعوا الخبز (٣) وصانعوا السلاح (٤) بالاضافة الى حرف أخرى مختلفة مثل المنادي الذي يقوم بالاعلان عن اوامر الحاكم، والحمال والسقاء والبوابين (٥) والصيادين والحانوتي والحلاق، وغير ذلك من المهن المعروفة لتلك الفترة.

وفيما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع الموحدي فقد إختلف عما كانت عليه في المجتمع المرابطي، فبينما تمتعت المرأة بالحرية المطلقة في عهد المرابطين فإنها لم تحظ بهذه الحرية في عهد الموحدين مما يدل على إلتزام الدولة بتنفيذ أحكام الشريعة الاسلامية (٦). ولم تقتصر اهتمامات المرأة على شئون الاسرة والمنزل بل أسهمت بنصيب كبير في الحياة العلمية (٧).

وحفل العهد الموحدي بوجود المجالس العلمية التي حرص عليها الخلفاء انفسهم ثم الامراء وكبار رجالات الدولة، وما يهمنا هو كيفية نظام المجلس فقد كان الخليفة يتصدر المجلس، فخطيب الجماعة، ثم القاضي، فكبير الاطباء، ثم كبير علماء الحضرة، ثم باقي العلماء على حسب مراتبهم (٨) ومثال ذلك هناك المجلس الذي عقده عبدالمؤمن بن علي للتلقب بالقاب الخلافة (٩)، ومجلس الخليفة ابي يعقوب سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م (١٠)، وهناك

---

(١) ابن الاثير: الكامل . م ٨ ، ص ٣٠١.
(٢) حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية ص ٣٤٣- ٣٤٦.
(٣) التادلي: التشوف الى رجال التصوف، ص ١٧٨-١٨١ .
(٤) ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢٠١.
(٥) التادلي: التشوف، ص ٣٠٦.
(٦) حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية ص ٣٥٢- ٣٥٦.
(٧) راجع في الفصل الرابع عند حديثي عن الناحية العلمية .
(٨) ابن ابي اصيبعه: طبقات الاطباء ، ص ٥٢٩ .
(٩) ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص ١٨٤.
(١٠) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٤٧.

أيضا مجالس عبد المؤمن ثم ابنه ابي يعقوب لاستقبال القادمين للسلام عليهم أو المهنئين وفق نظام خاص (١). بالاضافة الى إحتفالات الدولة بتولي الخليفة مقاليد الحكم (٢)، والاحتفال بالمناسبات الدينية كشهر رمضان وعيد الاضحى، ونحر الذبائح فيها وتوزيعها (٣)، ومراسيم تشييع الجنائز وخروج الناس للمشاركة فيها(٤).

وفيما يتعلق بوسائل التسلية فقد عمد الموحدون الى قضاء أوقات فراغهم بوسائل كثيرة ترويحاً عن النفس، ومثال ذلك التنزه في الحدائق كما كان يفعل عبد المومن بن علي وهناك أيضا السباحة في البرك (٥) . وجميعها من وسائل اللهو البرىء المحبب الى النفس بخلاف الغناء والموسيقى الذي حاربته الدولة الموحدية (٦) .

وقد تفنن الموحدون في صنع الاطعمة والاشربه التي حفلت بها موائدهم حيث نلاحظ في عهد ابن تومرت وعبد المؤمن وابي يعقوب وجود طعام يسمى آسماس يصنع في المناسبات السعيدة (٧)، وأمّا الاشربة فنعرف هناك شراب الرب (٨) الذي حاربته الدولة الموحدية .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ١١٥، ٤٤٧ ، ٤٦١ – ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٨٥.

(٢) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢٢٩، ٣٥٤-٣٧١.

(٣) حسن علي حسن :الحضارة الاسلامية ص ٤١٨-٤٢٠.

(٤) عن ذلك في عهد عبد المؤمن ثم ابنه ابي يعقوب. أنظر ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج١، ص ١٥١ – ١٥٢ – حسن علي حسن: المرجع السابق، ص ٤٢٠ (نقلا عن ابن الموقت: السعادة الابدية، ج ١، ص ١٢٨).

(٥) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٩ ، ١٤١.

(٦) حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية ص ٤٣٠-٤٣١.

(٧) البيذق : أخبار المهدي ، ص ٧٣ ، ٩٤ ، ١٢٠ .

(٨) من بين المسكرات التي شاعت في عصر الموحدين شراب الرب إلا انه عندما عرف ان مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر أصدر الخلفاء الأمر بمنعه . وعن ذلك أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ١٧١ ، هامش رقم (١) .

وفي الزي نرى حرص ابن تومرت على إرتداء الملابس البسيطة الخشنة زاهداً فيما سواها (١)، وتبعه عبد المؤمن في ذلك على نفس النهج، وكان رداؤه عبارة عن ثياب صوفيه مكونة من قميص وسروال وجبه (٢). وفي عهد ابي يعقوب أقبل الشعب على إرتداء الملابس الحريرية، وأما الجيش فملابس الجنود كانت توزع عليهم من قبل الخلافة مثلما حدث سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م، وأيضا وزع على رجال الموحدين ملابس سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م، والغالب في لون الملابس هو البياض (٣).

الحياة الاقتصادية :-

على الرغم من الاحداث السياسية التي شهدتها الدولة فقد وجهت إهتمامها للنواحي الاقتصادية، ففي مجال الزراعة عمل عبد المؤمن على توفير المياه اللازمه لذلك في مراكش وسلا والرباط (٤)، وقام أبو يعقوب أيضا بتوفير المياه لإشبيليه وفاس وسبته (٥) والرباط، وبناء صهاريج للمياه في مراكش (٦)، الى جانب منح الاراضي وتشجيع الزراعة فتنوعت المحاصيل الزراعية من حيث جودتها وكثرتها مثل القمح والشعير والذره والقطن وقصب السكر والزيتون والكتان والحناء والكروايه والكمون والفواكه (٧) .

---

(١) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٢٢٩.

(٢) ابن القطان : نظم الجمان ، ص ١٣٢.

(٣) عن تلك التفاصيل أنظر حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية ص ٤٣٧ – ٤٤٢.

(٤) الرباط : تقع على الضفة الجنوبية لوادي ابي الرقراق عند مصبه (أنظر دائرة المعارف الاسلامية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، م ١٠ ، مادة رباط الفتح ، ص ٢٥.

(٥) سبته : مدينة تقابل الجزيرة الخضراء ، طولها من المشرق الى المغرب نحو ميل ، وهي ضاربه في البحر داخله كدخول كف على زند وهي ذات أخياف وخمس ثنايا مستقبلة الشمال وبحر الزقاق ومن جنوبيها بحر ينعطف اليها من بحر الزقاق وبينها وبين فاس عشرة أيام . أنظر الادريسي: المغرب وأرض السودان، ص ١٦٧ – ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(٦) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٣٧، ١٤٠، ١٨٠، ٢٠٩ – ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ١٩٢ – ٢١١.

(٧) أنظر تفاصيل ذلك في حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية ص ٢٣٩-٢٤٩.

وفي مجال الثروة الحيوانيه نلاحظ الاهتمام بالخيل اذ هي المعتمد عليها في التنقل والحروب، وامدت بعض مناطق المغرب الجيش الموحدي منها باعداد كبيرة مثل تلمسان (١)، الى جانب وجود المواشي والبقر والغنم والابل والدواجن والفنك واللمط، والحيوانات المتوحشة مثل الاسود (٢) .

وزخرت البحار والانهار بالثروة السمكية الجيدة واشتهر نهر فاس بأنواع كثيرة من الاسماك، وهناك مصايد الاسماك في سبته (٣)، كما توفرت الاسماك بكميات كبيرة في وادي سبو وغيره (٤) .

ولعبت الصناعة دوراً كبيراً في الاقتصاد المغربي وهناك العديد منها مثل صناعة السفن وصناعة الزجاج والنسيج والادوات النحاسيه وغيرها، كما قام الخلفاء باستقدام الصناع المهرة من المغرب والاندلس والاستفادة من خبراتهم، وتعددت مراكز الصناعة مثل فاس ومراكش وسبته وطنجه (٥) وقصر مصموده (٦) ومنطقة السوس وايجلي (٧) .

واسهمت التجارة في تقدم الاقتصاد المغربي والاندلسي وحرص الخلفاءعلى توفير الوسائل الكفيلة بازدهارها مثل استتباب الامن والهدوء،

(١) ابن عذارى: البيان ، ص ١٦، ١١٦ ، ١٧٢.

(٢) حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية ص ٢٤٩-٢٥٣.

(٣) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٦٨.

(٤) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٨٤.

(٥) طنجه : بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراد ، وهي خصبه بينها وبين سبته مسيرة يوم واحد . ياقوت الحموي : معجم البلدان . م ٤ ، ٤٣.

(٦) قصر مصموده بينها وبين سبته إثنا عشر ميلاً ميل وهو حصن كبير على ضفة البحر وتصنع فيه السفن ، وهي على رأس المجاز الاقرب الى ديار الاندلس ، وبينها وبين طنجه غرباً عشرين ميلاً. أنظر الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٦٨.

(٧) منطقة السوس مدن كثيرة وبلاد واسعة يسقيها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماسة وجريه من القبلة الى البحر كجري نيل مصر . أما مدينة أيجلي فهي مدينة عظيمة كبيرة قديمة أزلية في سهل من الارض على النهر الكبير (وادي ماسة) وتميزت بكثرة بساتينها . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢١١ -٢١٢ - ولمزيد من التفاصيل عن الصناعة أنظر حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية ص ٢٥٧ - ٢٦٥.

وترتب على توفر الحاصلات الزراعية والصناعية رواجاً تجارياً بين المدن بالاضافة الى وجود شبكات الطرق والتي سهلت عملية التنقل، سواء عن طريق البحر أو بواسطة القوافل التجارية مع عناية ولاة الامر بحراسة تلك الطرق،وعلى سبيل المثال هناك وصف لطرق استخدمت في الوصول الى إشبيليه والى تعدد المراكز التجاريه (١).

وكانت التجارة الخارجية مع بلاد السودان والمشرق ومع أوربا والاندلس تعيش مرحلة نشطة، كما تعددت المراكز التجارية للمغرب والاندلس وتنوعت الصادرات والواردات (٢).

السكة : ساهمت السكة في اظهار الاوضاع الاقتصادية للبلاد وقد قامت العملة المغربية على اساس المعدنين الدينار الذهبي والدرهم الفضي، ولم يقم الصنهاجيون والمرابطون بتوحيد العملة وظلت هناك أنواع متعددة من العملة وتضرب الدراهم في عصر الموحدين مختلفة الاوزان في الولايات، وفي عصر ابي يعقوب كثر ضرب الدراهم الفضية الى جانب وجود دراهم ودنانير مزورة، وتحكّم الصرافون في الاسواق مما أدى الى تعقد التعامل التجـاري وقد كان المغـاربه يحملون عملتـهم الى دار سـكة البلد التي

---

(١) وفي هذا الصدد ما يلي: " ومن الجزيرة الخضراء الى مدينة إشبيليه طريقان طريق في الماء وطريق في البر فاما طريق الماء فمن الجزيرة الخضراء الى الرمال في البحر الى موقع نهر يرباط ثمانية وعشرون ميلا ثم الى القناطر وهي تقابل جزيرة قادس اثنا عشر ميلاً وبينهما مجاز سعته ستة اميال ومن القناطر تصعد في النهر الى رابطة روطة ثمانية اميال ثم الى المساجد ستة أميال ثم الى مرسى طربشانه الى العطوف الى قبتور الى قبطال - وهما قريتان في وسط النهر - ثم الى جزيرة ينشتاله ثم الى حصن الزاهر الى مدينة إشبيليه فذلك من إشبيليه الى البحر ستون ميلا . وأما طريق البر فالطريق من الجزيرة الى الرتبة ثم الى نهر يرباط الى قرية فيسانه وبها المنزل وهي قرية كبيرة ذات سوق عامرة وخلق كثير ومنها مدينة ابن السليم الى جبل منت ثم الى قرية عسلوكة وبها المنزل ثم منها الى الحدائق الى ذيرد الحبالة وبها المنزل ثم الى إشبيليه مرحلة ....." أنظر الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٧ -١٧٨ - وأنظر ايضا حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية، ص ٢٧٠-٢٧٥.

(٢) عن ذلك أنظر حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص ٢٧٦-٢٩٠.

يتاجرون فيها ويسكونها لتعادل عملة البلد التي يتاجرون معها . ومن المعروف ان الدينار المؤمني أقل من الدينار المرابطي وخاصة بسبب إخفاقهم في إستخراج الذهب من الاراضي المغربية (١)، ولم يصدر المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين عملة نقدية نظراً لعدم سيطرته التامة على البلاد، والراجح هو إصدار عبد المؤمن للعملة المعروفة بالمؤمنية، وهناك عملة فضية مربعة الشكل ترجع الى سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، وهناك العملة اليوسفية منسوبة الى ابي يعقوب يوسف.(٢)

<u>الحياة العلمية</u> : -

شهد المغرب والاندلس قبل عهد المنصور الموحدي حركة علمية واسعة ونهضة شاملة فلم تمنع الاحداث السياسية المسيرة الحضارية بكافة ألونها حيث شجع ولاة الامر على ذلك بما قدموا من رعاية وتكريم للعلم والعلماء، وأقبل الجميع من أفراد الشعب على التزود بمختلف أنواع العلوم وتعددت المراكز العلمية لذلك العهد مثل فاس ومراكش وسبته وسلا ومكناس، وطنجه، وإشبيليه وغرناطه وغيرها (٣) .

وأما في مجال العلوم والمؤلفات فيها فنرى عناية الموحدين بعلم القراءات وقد برز فيه علي بن محمد بن الحسن الحضرمي، أبو الحسن المعروف بابن المرادي (٤) وايضا أحمد بن عبدالله بن أحمد بن هشام بن الحطيئة

---

(١) عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي ، ص ٢٩٨-٣٠٤

(٢) حسن علي حسن :الحضارة الإسلامية،ص ٢٢٥-٢٢٩.

(٣) لمزيد من الايضاحات عن الحياة الفكرية قبل عهد المنصور الموحدي . أنظر : حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص ٤٤٣-٤٨٣.

(٤) أصله من القيروان وسكن غرناطه وبرع في القراءات. أنظر ابن الابار: المعجم في اصحاب القاضي الامام ابي على الصدفي، ،ص ٢٩٥، ترجمة رقم ٢٦٥ .

اللخمي، الفاسي، ابو العباس (١). وقد اتبع المفسرون في المغرب والاندلس منهج النبي محمد (ص) والسلف الصالح ومن علمائه عبد الحق بن غالب بن عطيه المحاربي أبو محمد فقيه محدث مشهور (٢)، وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة المرسي وكان مشاركاً في علم القرآن وتفسيره (٣)، ونال الحديث عناية وأهتماماً من الموحدين ومن علمائه المشهورين عياض بن موسى بن عياض اليحصبي من أهل سبته ويكنى ابا الفضل (٤)، وأبو القاسم خلف ابن بشكوال الحافظ محدث الاندلس ومؤرخها (٥)، واشتهر في علم الفقه الفقيه القرطبي عبدالملك بن إياس الذي تولى الرد على عبد المؤمن بن علي،والطعن في فقه الموحدين (٦)، والفقيه أبو عبد الله بن الصقر (٧)، وحظي علم الكلام باهتمام ابن تومرت وخلفائه وممن اشتهر في هذا المجال أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي امام أهل المغرب في علم

---

(١) كان متفوقاً في القراءات السبع ونسخ بخطه كثيراً من كتب الادب وغيرها وكان جيد الخط حسن الضبط، والكتب المنسوخة بخطه مرغوب فيها لدقتها، وتوفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م. أنظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ، ترجمة رقم ٦٨.

(٢) اديب ونحوي وشاعر بليغ له مؤلف في التفسير ووفاته سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م في مدينة لورقه. انظر الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٨٩ ، ترجمة رقم ١١٠٣.

(٣) له رحلة الى المشرق لطلب العلم، عارفاً بالسنن والاثار، حافظاً للفروع، بصيراً باللغة، اديباً بليغاً وخطيباً فصيحاً، خطب بجامع مرسيه، تولى القضاء بشاطبة، وحدث بالمريه وغيرها ومولفاته موصوفة بالاتقان والجودة ووفاته سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م. أنظر المقري: نفح الطيب، م ٢، ص ١٥٨-١٦٠، رقم ١١٠.

(٤) قدم الاندلس وتلقى العلم في قرطبة، وجمع الحديث وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل اليقظة والفهم، وتوفى في مراكش سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م. أنظر ترجمته في ابن بشكوال: كتاب الصلة، ق ٢، ص ٤٥٣-٤٥٤، ترجمه رقم ٩٧٤.

(٥) له عناية كبيرة بالحديث وله العديد من المؤلفات منها كتاب الصلة ، وتاريخ صغير في أحوال الاندلس ، كتاب الغوامض والمبهمات ، وغير ذلك . أنظر ترجمته في ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٣ - ١٤ ، ترجمة رقم ٢٠٤.

(٦) ألف ابن تومرت موطأ المهدي وضم فيه الاحاديث التي وردت في موطأ مالك بعد حذفه لجميع الاسانيد . أنظر هشام ابو رميله : علاقات الموحدين، ص ٣٦-٣٧.

(٧) من جلساء الخليفة ابي يعقوب يوسف ولي قضاء إشبيليه ثم نقله الخليفة الى حضرته فولاه الخزائن وبيوت الأموال . أنظر ابن أبي زرع. الانيس المطرب ، ص ٢٠٧- ٢٠٨ .

الاعتقاد استوطن فاس وفاته سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م (١). وهو تلميذ ابي الحسن علي بن محمد بن خليد الاندلسي الأشبيلي شارح عقيدة ابن تومرت بجامع القرو يين (٢). ونالت العلـوم اللسانيه إهتمام ولاة الامر في دولة الموحدين حيث نجد أن ابن تومرت من المهتمين بها، وكذلك عبد المؤمن وأبا يعقوب وأيضا برز من علمائها محمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي(٣). ومن نحاة تلك الفترة أيضا أبو الحسن على بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن خروف النحوي (٤)، وفي مجال الادب فابن تومرت كان عالماً واديباً وتخرج على يديه طائفة كبيرة من العلماء ومنهم عبد المؤمن بن علي وغيره، وجعل ابن تومرت من الخطابة وسيلة لنشر الدعوة، بينما برز في عهد عبد المؤمن كتابة الرسائل والتي تعبر عن إزدهار الحركة الادبية لتلك الفترة وممن برز فيها أبو جعفر بن عطيه وأخوه عقيل بن عطيه وأبو الحسن بن عياش (٥) .

وأما عن التوقيعات فقد برع فيها ولاة الامر وتركوا لنا عدة توقيعات تنم عن أدبٍ بليغ. فمن توقيعات عبد المؤمن بن على لكاتبه ابن عطيه على القصيدة والتي استعطفه بها: "آلان وقد عصيت قبل وكنت من

---

(١) التادلي : التشوف ، ص ١٧٨-١٨١ ، ترجمة رقم ٦٩.

(٢) عبد الله علي علام : الدولة الموحدية، ص ٣٠٥.

(٣) صاحب كتاب الفصول والجمل في اللغة ثم كتاب لحن العامة ، ثم شرح كتاب الفصيح لثعلب . أنظر عبد الله علي علام : المرجع السابق ، ص ٣١٧.

(٤) كان فاضلا في علم العربية وله العديد من المؤلفات التي تشهد بعلمه وفضله في كتاب سيبويه وكتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي ، توفى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م . ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ترجمة رقم ٤٢٤.

(٥) ابو جعفر بن عطيه من أهل مراكش وكتب لعبد المؤمن الذي اسند اليه وزارته فكانت زيناً للوقت وكمالاً للدولة وعن نكبته مع أخيه وأحواله أنظر المقري : نفح الطيب ، م ٥ ، ص ١٨٣ - ١٨٦. وأبو الحسن بن عياش كتب لابي يعقوب وهو من أهل الاندلس ووفاته سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م . أنظر ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ١٦٦-١٦٧.

المفسدين"(١).

كما اشتهر خلفاء دولة الموحدين بقول الشعر ونقده ومن شعراء تلك الفترة، أبو عبد الله بن حبوس (٢). واشتهرت من الشاعرات أسماء العامريه التي اتصلت بعبدالمؤمن بن علي ومدحته (٣). وقد تنوعت الاغراض الشعرية لتلك الفترة مما يدل على التقدم الفكري الذي شهدته دولة الموحدين (٤). وفي مجال الدراسات الانسانية نرى إزدهار علم الفلسفة بتشجيع الخلفاء فكان أبوبكر بن طفيل من المشهورين في هذا العلم ومقرباً للخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥).

وفي النواحي الطبية وفر الموحدون لرعاياهم العناية الصحية، كما حفل عهدهم بعدد من اعلام الاطباء ومنهم أبو مروان بن ابي العلاء بن زهر (٦)، وأبو جعفر بن هارون الترجالي الذي خدم الخليفة أبا يعقوب (٧)، وفي

---

(١) القرآن الكريم: سورة يونس، آية ٩١ .

(٢) ابو عبد الله محمد بن حسين بن حبوس تلقى علومه على مشاهير علماء القرويين ثم إرتحل الى تلمسان ثم مراكش ولازم بني عبد المؤمن وكانت وفاته سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م . أنظر عبد الله علي علام: الدولة الموحدية، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٣) كانت في إشبيليه ولم يعرف من شعرها إلا القليل واما سبب اتصالها بعبدالمؤمن طلبها رفع ماوقع على أموالها من إعتقال . أنظر المقري: نفح الطيب ، م ٤ ، ص ٢٩٢.

(٤) عن ذلك أنظر مصطفى الشكعه : الادب الاندلسي ، ص ٢٤٧-٥٤٨.

(٥) أصل ابن طفيل من وادي آش إحدى مدن غرناطه درس الحديث والفقه واللغة والطب ومن أساتذته ابن باجة أعظم فلاسفة الاندلس وخدم الموحدين وهو من جلساء الخليفة ابي يعقوب. أنظر محمد عبد الله عنان: تراجم إسلاميه، ص ٣١٥-٣٢٧.

(٦) كان طبيب عبد المومن بن علي وحظى لديه بمكانة عاليه واعتمد عليه في الطب وله العديد من المؤلفات فيه مثل كتاب التيسير في المداواة والتدبير، وكتاب الاغذيه ألفّه لعبد المؤمن، ومقالة في علل الكلى، ورسالة الى بعض اطباء إشبيليه في علتي البرص والبهق. أنظر ابن ابي اصيبيعه: طبقات الاطباء، ص ٥١٩-٥٢١.

(٧) من أعيان إشبيليه وفاضلا في صناعة الطب وله المام بصناعة الكحل ، وكان يقوم بعلاج الناس ، توفى في إشبيليه . أنظر ابن ابي اصبيعه : المصدر السابق ، ص ٥٣٠.

الصيدلة وتركيب الادوية إشتهرأبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي القرطبي الذي جمع بين البراعة في الطب ومعرفة خصائص النبات (١)، ومن أعظم من برع في ذلك ايضاً العشاب والنباتي المعروف بابن الرومية(٢).

وفي مجال الهندسة إحتاج عبد المؤمن الى العديد من المهندسين لمسح اراضي المغرب لتحديد ما يجعل عليها من مال، وايضا هناك المهندسون الذين قاموا بتشييد المنشآت العامة ومنهم يعيش المالقي وابن باسه (٣)، وبرز في العلوم الرياضية عبد الله بن محمد بن سهل الغرناطي (٤)، وحفل العصر الموحدي بالمجالس العلمية والتي جرت فيها مناقشة المسائل العلمية بين مختلف العلماء وبحضور الخليفة عبد المؤمن بن علي وابنه ابي يعقوب(٥).

ونستطيع من خلال ماسبق ان نلم بما كانت عليه الحالة العلمية للدولة وما قدمه الخلفاء من عناية واهتمام للنهوض بالمستوى الثقافي لأبناء الشعب عامة.

---

(١) وقد تجول في أنحاء المغرب والاندلس بحثاً عن صنوف النباتات الطبيعية وصنفها باسمائها العربية والبربرية واللاتينيه ، ويعتبر كتابه الادوية المفردة من أهم ما كتب في هذا المجال وكانت وفاته سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م . أنظر عبد الله علي علام : الدولة الموحدية، ص ٣٦٣.

(٢) هو ابو العباس أحمد بن محمد بن مفرج من أهل إشبيليه برز في معرفة علم النبات وخصائصه ومنافعه وله فيها مؤلفات منها تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ، ومقالة في تركيب الادوية ، أنظر ابن ابي اصبيعه : طبقات الاطباء ، ص ٥٣٨.

(٣) الحاج يعيش المالقي المع وأشهر المهندسين في العصر الموحدي ويرجع اليه الفضل في بناء العديد من المنشآت في عهد عبد المؤمن بن علي، أنظر مولف مجهول: الحلل الموشيه، ص ١٤٤ - ١٤٥، ص ١٥٥. ويعتبر ابن باسه ممن اعتمد الموحدون عليه في إنجاز المشاريع الكبرى وله مساهمة في بناء المسجد الجامع بإشبيليه، وما تزال هذه الاسرة معروفة الى الآن بالمغرب واليها تنتسب اسرة باسه المعروفة بالقيادة في ناحية تادكة ويوجد منها الى الآن بمدينة فاس بعض البنائين المهرة ممن يعتمدهم القصر الملكي في مبانيه. أنظر ابن صاحب الصلاة: المن بالامامة، ص ١٣١، هامش رقم(٣).

(٤) برع في العلوم الرياضية وقام بالتدريس في بلنسيه وتوفى في مرسية سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م . أنظر عبد الله علي علام :الدولة الموحدية ص ٣٧٠. (نقلا عن صلة الصله ص ٢٣٨)

(٥) عن ذلك انظر حسن علي حسن :الحضارة الاسلامية ص ٤١٤-٤١٨.

العمارة والفنون : -

اشتهر العصر الموحدي بالعديد من المنشآت المعمارية فكانت أهم منشآت عبد المؤمن مدينة تازا التي جعلها رباطاً لجيشه، وأقام عليها سوراً سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م (١) . وايضاً مدينة الرباط سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م والتي رغب عبد المؤمن ان تكون معسكراً لتجمع جيوشه الذاهبة الى الاندلس، وبحيث يستطيع ايضا تزويدهم منها بالنجدات، واستمر في العناية بها من حيث مدها بالماء وتسويرها، وأُذن للناس بتشييد الدور والمساكن بها، وجدد سقايتها ابنه أبو يعقوب سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م بالاضافة الى صهريج للماء، واقام جسراً بين سلا والرباط بجانب الجسر الذي شيده أبوه وواصل إكمال الاسوار والتي لم يقدر لها ان تتم في عهده (٢) . واهتم عبد المؤمن بن علي بمدينة سلا وبعمارتها وزودها بالماء سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م.

ويبدو فيها آثار جامع قديم وهذا الجامع لم يبق منه سوى المنار، وأما السقف فتهدم واحتمى الغرباء في بنائه سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م، وأمر أبو يعقوب ببناء مدينة متصلة بالقصبة، وفي القصبة جامع وقصور وصهاريج الماء، وفي هذه المدينة قيسارية عظيمة وحمامات وفنادق ودور كثيرة وسقايات (٣).

---

١) تازه (Taza) تبعد عن فاس حوالي ١١٩ كم وتتمتع بموقع جغرافي هام مما أدى الى اتخاذها قاعدة حربية على مر العصور وخاصة في عهد عبد المؤمن. وصفها ابن الخطيب قائلا: فتازا: بلد إمتناع وكشف قناع، ومحل ريع وإيناع، ووطن طاب ماوه (وصح) هواؤه، وبان شرافه وإعتلاؤه، وجلت فيه مواهب الله وآلاؤه، عصير مثل وأمر الخصب به ممتثل وفواكهة لا تحصى يماربها البلد الاقصى وحبوبه تدوم على الخزن... إلا أن ريحه عاصفه، وبرده لا يصفه واصف، وأهله في وبال، من معرة اهل الجبال، وليوثه مفترسه، واخلاق اهله شرسه. انظر معيار الاختبار، ص ٨٢، ١٠٣- عبدالله علي علام: الدولة الموحدية ص ٢٧٩.

٢) عبد الله علي علام: المرجع السابق، ص ٢٨١.

٣) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٤٠ - ١٤١

وأما مدينة مراكش (١) فقد اهتم عبد المومن بها وزدها بالمياه من أودية درن وزرع بها البساتين ، وشيد فيها صهاريج للماء ، كما واصل ابنه ابو يعقوب العناية بها واكثر من البساتين فيها (٢). وفي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م أمر ابو يعقوب بتوسعتها وهدم سورها الأول وأقام لها سوراً آخر لإستيعاب الساكنين بها (٣) . ومن أهم أعمال عبد المؤمن بن علي المعمارية مدينة جبل طارق أو مدينة الفتح سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م (٤) ، فبعث الى ولده السيد أبي سعيد والي غرناطه بالبدء في بناء هذه المدينة لتكون منزلاً للعساكر القادمة الى الاندلس ، فجمع العمال والبنائين والمهندسين لذلك وتم للخليفة ما أراد (٥) .

وفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م أمر ببناء مدينة البطحاء(٦) وتجديد ابنية

---

(١) أسسها يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٩/١٠٦٦م ، وأول ما بنى فيها دار الأمة وهي الآن معلومة بها، ثم اختط سورها ابنه علي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م. أنظر حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية، ص ٢٧٨-٢٨١.

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠٨ -٢١٠.

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٤) جبل طارق Gibraltar ويعرف قديماً بجبل كالبي (MonsCalpe) ويسمى مع جبل أيتلا المقابل لها في الساحل الافريقي بأعمدة هرقل . وقد لعب جبل طارق في تاريخ الاندلس دوراً عظيماً ، كان معبراً للجيوش الاسلامية من المغرب الى الاندلس ويعتبر مفتاحها من الجنوب . أنظر محمد عبد الله عنان : الآثار الاندلسية ، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ١٢٩ - ١٣٦.

(٦) البطحاء : مدينة بالمغرب بنواحي شلف في الشمال الشرقي من غليزان وتعرف في الجزائر باسم السدره . وسبب بنائها انه لما طالت بالموحدين الاقامة بالمشرق والتغرب عن أولادهم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المؤمن ...فاتى شيخ ...الى عبد المؤمن فاخبره الخبر وقال له : دعني أبت الليلة في موضعك ...فإن فعلوا ما اتفقوا عليه ...فديتك بنفسي ...وان كانت السلامة فمن الله تعالى ...فبات على فراشه فاستشهد فلما اصبح وصلى عبدالمؤمن الصبح إفتقده فوجده مقتولاً ...وحمله ...على ناقته فسارت الناقة تمر يميناً وشمالاً حتى بركت وحدها فامر عبدالمؤمن بالشيخ فانزل عنها وأخذ بزمامها وأزيلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبه ، وبنى بازاء القبة جامعاً ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد . أنظر ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٩٩-٢٠٠- الميلي : تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، ص ٢٦٦.

تاجره مسقط راسه (١) ، وكانت عناية أبي يعقوب بإشبيليه وتحصينها وتزويدها بالمنشآت الفخمة ، والقصور المعروفة بالبحيرة وبالمياه سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م (٢) ، واهتمامه بتعمير باجه سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م (٣) . وهدم عبد المؤمن اسوار فاس سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م (٤) ، وشيد ابو يعقوب اسوار رباط الفتح من جهتي الجنوب والغرب سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م (٥) . وحظيت المساجد باهتمام كبير من الخلفاء الموحدين فهناك جامع تازا في رباط تازا والذي يرجع الفضل في تأسيسه لعبد المؤمن بن علي (٦) وجامع تينملل والتي انطلقت منها فتوحات الموحدين ويتجلى فيه مدى التقدم الفني لدولة الموحدين (٧)، وجامع الكتبيبه في مراكش وسمى بذلك نسبة الى وجود باعة الكتب بجواره (٨)، ومن أعظم منشآت أبي يعقوب يوسف الجامع الكبير في إشبيليه سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م (٩).

---

(١) تاجره : بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين من سواحل تلمسان . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٥.

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٤٩٨-٥٠٥.

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٣٢-١٣٤.

(٤) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٨٩.

(٥) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦٦

(٦) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ، ٧٥٢ - ٧٥٣.

(٧) نفس المؤلف والمرجع السابق ، ص ٧٥٤ - ٧٥٧ وأنظر أيضاً :

- Basset, H, Terrasse, H :Sanctuaires et fortere sses Almohades, p. 17-83.

وأنظر صورة رقم (١)

(٨) عن تفاصيل هذا الجامع وتشييده أنظر السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٥٧-٧٦١.

(٩) راجع تفاصيل ذلك في كتاب ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ، ص ٥٠٩ - ٥١٧.

وقد إختط ابو يعقوب باب الرواح بمدينة رباط الفتح (١)، وهناك في الاندلس من اشهر الابراج في عهده ابراج قصبة قاصرش الخمسة والتي ترتفع عن ممشى سور المدينة ومتصلة به عن طريق فورجات وهو برج بوخاكو (Bujaco)وهو اسم يحتمل انه محرف من ابي يعقوب خليفة الموحدين والبرج المشطوف والبرج المدور وبرج الفرن وبرج سانتا آنه (٢).

ومن أهم منشآت ابي يعقوب يوسف قنطرة طريانه (٣) وتصل ما بين إشبيليه وطريق طريانه ضاحيتها الغربية وحضر الخليفة الحفل الذي اقيم يوم الانتهاء من تشييدها (٤) .

وفي مجال الفنون والزخرفة نجد ان زخارف الموحدين اتسمت بالبساطة مع تجريد التوريقات من عناصرها الحية وطبعها بطابع الورع، كما يلاحظ تأثر الزخرفة لدى الموحدين بالزخرفة الاندلسية مما يدل على مدى توثق الصلات الفنية بين البلدين (٥) . ومن أهم فنون تلك الفترة زخرفة المصحف العثماني حيث جمع عبد المؤمن له المتخصصين في ذلك الفن وانفق لاجله اموالاً كثيرة مستعملاً في تزيينه الذهب والياقوت الاحمر والزمرد (٦) .

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٧٦.

٢) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها، مجلة علام الفكر، وزارة الاعلام، الكويت ، ١٩٨٤م ، ص ٤٠١.

٣) طريانة حاضرة من حواضر إشبيليه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٤ .

٤) راجع تفاصيل ذلك في ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٤٩٦ – ٤٩٧ .

٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٤٦.

٦) مؤلف مجهول : الحلل الموشيه ، ص ١٥٢ -١٥٣.

وبعد العرض السابق لأهم المعالم الرئيسية والهامة لهذه الدولة سياسياً وحضارياً والتي استطاعت بجهودها جمع شمل المغرب والاندلس في وحدة واحدة، وتزعمت لواء الجهاد ضد النصارى حفاظاً على تلك الوحدة، ممهدة بذلك الطريق للعصر الذهبي،والذي شهدته الدولة بكافة جوانبها في ظل المنصور الموحدي، كما يظهر لنا مدى ما كانت عليه من ازدهار وتقدم اسهم فيه عبد المؤمن وأبنه أبو يعقوب.

الفَصْلُ الأَوَّل

الأحوال الداخلية للمغرب والأندلس في عهد المنصور الموحدي

١ - ثورة بني غانية في المغرب ...

٢ - الأتراك الغز في المغرب ...

٣ - العرب الهلالية ..

٤ - خروج بعض أفراد البيت الموحدي عن طاعة المنصور سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م

٥ - ثورة أبي زيا الفارسي في الزاب سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م

٦ - فتنة الجزيري سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م

٧ - ثورة الأشل في بلاد الزاب سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م

٨ - ثورة ابن عبد الكريم الرجراجي في المهدية سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م

ثورة بني غانيه في المغرب

كما سبق وأشرنا تعود جذور هذه الثورة الى ماقبل عهد المنصور الموحدي، نظراً لإهتمام الموحدين بالسيطرة على الجزائر الشرقية -مقر نفوذ بني غانيه- وذلك لأهمية موقعها البحري والتجاري، في حين إهتم حكامها بالحفاظ على إستقلالها ضد أي غزو، وبرفض زعمائها الدخول في طاعة الموحدين تحتم عليهم حمايتها من الوقوع تحت السيطرة الموحديه، فرأى علي بن غانيه والذي تولى مقاليد السلطة فيها بعد إقصاء محمد بن اسحاق عن العرش، أن خير وسيلة للدفاع عن بلاده هي الهجوم وهذا يعني غزو عدوه في عقر داره لأشغاله عنهم.

إتجه علي بن غانيه ببصره نحو المغرب تنفيذاً لمخططه، ووقع إختياره على مدينة بجايه لقربها من الجزائر الشرقية، وضماناً لسهولة وصول الامدادات إليه، وفي نفس الوقت بعدها عن مركز الدولة الموحديه في مراكش. ذلك البعد الذي جعل من هذه المنطقة مصدر قلاقل وإزعاج للدولة نفسها. وقد أحسن أبن غانيه إستغلال تلك الفرصة والاعتماد على خصوم الدولة مثل بقايا بني حماد واصحاب بجايه السابقين (١)، وبعض طوائف العرب الهلالية، وبني جامع (٢)، وبني الرند في قفصه (٣)، وبني مطروح في طرابلس (٤)، والغز. ويضيف المراكشي عاملاً آخر مشجعاً لخروج علي بن غانيه الى بجايه قائلا: " ... وخرج باسطول ميرقة الى العدوة وقصد

---

١) عن هذه الدولة وحضارتها: أنظر عبد الحليم عويس: دولة بني حماد . ص ٤٧-٢٨١.

٢) بنو جامع من العرب الهلاليه وكانوا أمراء قابس. أنظر ابن خلدون: العبر،م٦، ص ١٦٦-١٦٧.

٣) أنظر ما سبق ذكره عنهم في التمهيد.

٤) عن بني مطروح في طرابلس أنظر ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس، ص ٤٨-٥٢ .

مدينة بجايه حين راسله جماعة من اعيانها ...يدعونه الى ان يملكوه ولو لا ذلك لم يجسر على الخروج ..." (١)

أعد علي بـن غانيه أسطوله المكون من إثنتين وثلاثين سفينه (٢)، وقيل عشرين قطعة (٣)، وعلى متنها مائتا فارس وأربعة آلاف راجل بقيادة رشيد النصراني، متوجهاً الى بجايه سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (٤)، وقيل سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م (٥). وعندما بلغها بعث قائده رشيد للتحري عن أحوال المدينة فلما تحققوا من غياب واليها، تقدموا الى جهة معينه من الاسوار جرى الاتفاق عليها مع المتآمرين لاقتحام المدينة منها ونجحوا في ذلك، وفي هذا الصدد تشير الرواية قائلة: " ... وجنحوا الى أحد الجهات، بأسرار تقدمت قبل من المكاتبات، فتدلى لهم قوم من السوقة والفساق وأسروا اليهم بعورات البلد وغفلة أهله وقلة المقاتلة من أهل النجدة به فقويت بذلك آمالهم وأمتدت أطماعهم، وهبط لمحاربتهم أخلاط من الناس من غير قائد يجمعهم، كُشُف من العدة، كسالى من الضعف والوحدة،وقد

---

١) المراكشي: المعجب، ص ٢٧٠.

٢) ابن خلدون: العبر، م ٦، ص ١٩٠ – الزركشي: تاريخ الدولتين، ص ١٥

٣) ابن الاثير: الكامل ، م ٩، ص ١٦٦.

٤) العيني: عقد الجمان، ورقه ١٥ – المراكشي: المعجب، ص ٢٦٦ –٢٦٧ – النويري: نهاية الارب، ج ٢٤، ص ٣٢٨.

٥) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٧٥– الزركشي: المصدر السابق، ص ١٥.

كان في البلد من أرباب الأمر مالوشاء الله لمنعوهم من الإستيلاء، ولا مدافعة مع محتوم القضاء. وعند ما إجتمعت تلك المقاتلة في البر ورأت القطع كالمضربة عنهم، والمبدية النهب منهم، ثم أوجفت اليهم إيجافاً، وتساوت في إحتماء المقاذف والإسراع نحوهم ثقالاً وخفافاً - وأرسلوا عليهم سحاباً من القسيّ العاقرة - وحراباً كالمنايا الماطرة، فشقتهم عن آخرهم وتفرقوا كالفراش المبثوث لا ينظر أولهم الى آخرهم، فمد الأعداء مطالع الطرائد وولايتها، وخرج الفرسان مستلئمين كأن اللجة كانت طريقها، وحين تكاملت أعداد خيلهم ورجلهم، وارتفع ما أوجسوا في نفوسهم من خيفتهم ووجلهم طلعوا الى ثلم السور قاصدين، بتجسيس تقدم من أولئك الفاسقين فسهلوا بالحديد توعرهم، ورأوا في الحين تيسرهم، فأستولوا على البلد بأسره، وقبضوا على السيد أبي موسى وذويه وأهله، وثقف من يتعين من الخدمة والموحدين، وصيروا في ديار مراقبين " (١).

هذا وقد أشارت رواية أخرى الى طريقة دخول علي بن اسحاق لمدينة بجايه تفيد أن ابن غانيه إقتحم المدينة أثناء أداء الناس لصلاة الجمعة حيث لم تكن المدينة تغلق أبوابها وقت أداء الفريضة ثم حاصر الجامع فمن بايعه أخلى سبيله ومن رفض قام بقتله، وقد أدى ذلك الحادث الى إغلاق أبواب المدن وقت صلاة الجمعة (٢).

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٧٦.

٢)ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢٦٩.

وقام علي بن غانيه بتنظيم شئون بجايه وصلى بها الجمعة، ودعى لبني العباس وللخليفة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله (١)، وكان خطيبه الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الاشبيلي صاحب كتاب الاحكام وغيره (٢).

علم والي بجايه السيد أبو الربيع سليمان بذلك (٣)، وقرر العودة لإستعادة المدينة، وكان معه ثلاثمائة فارس بالاضافة الى ألف آخرين جمعهم أثناء عودته الى المدينة، في حين ترك ابن غانيه المدينة في رعاية أخيه يحيى وغادرها لمطاردة السيد أبي الربيع (٤). فالتقى الاثنان بموضع يعرف بيلميلول فانحازت العرب اثناء المعركة الى جانب ابن غانيه مما نتج عنه هزيمة والي بجايه ومقتل عدد كبير من رجاله، واستولى ابن

١) شهدت الدولة العباسية في ايام الناصر لدين الله العباسي استقراراً وراحة من ذي قبل، وقام بتعمير المساجد والاربطة والمدارس وجمع كتاباً في الاحاديث النبوية وسماه روح العارفين، وملك بلاد خوزستان بجيوشه وقلعه تكريت وله فتوح كثيرة مثل همذان وغيرهما، وقتل طغرل السلجوقي، وفي عهده استعاد صلاح الدين الايوبي بيت المقدس من أيدي الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وتوفى سنة إثنتين وعشرين وستماية وكانت خلافته ستاً واربعين سنه وأحد عشر شهراً ... وعن هذا الخليفة وعصره أنظر: ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص ٢٤٢-٢٤٧ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٨-٤٤٩- ابن الطقطقي: الفخري في الاداب السلطانيه والدول الاسلامية، ص ٢٨٧-٢٩٣.

٢) من أشهر علماء الحديث وهو صاحب الاحكام الكبرى والصغرى وغيرها من المصنفات وكانت وفاته سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م . أنظر ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج١، ص٥١٨، ترجمة رقم ٢٠٤.

٣) هو ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي وكان شاعراً مشهوراً ومن الأسرة الموحديه ومن مفاخر بني عبد المؤمن أنظر المقري: نفح الطيب، م٣، ص ١٠٥، ١٠٧.

٤) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١٦٦.

غانيه على أموال السيد وأهله وسيرهم الى بجايه، في حين فر أبو الربيع الى تلمسان وعمل مع واليها السيد أبي الحسن بن ابي حفص بن عبد المؤمن على تحصينها (١).

قام ابن غانيه بمطاردة والي بجايه فاستولى في طريقه على الجزائر(٢) وترك عليها يحيى بن أخيه طلحة، ثم على مليانة (٣) وولى عليها يدر بن عائشة، ولم يلبث ان عاد الى بجايه مرة أخرى حيث أخذ الناس في مبايعته (٤).

وزع علي بن غانيه الاموال والثياب على جنده ورجاله وجموع العرب التي انضمت اليه، وعقب إطمئنانه على بجايه، سار الى قسنطينه(٥) التي فشل في الاستيلاء عليها فظل محاصراً لها (٦).

كانت هذه الاحداث مصدر إزعاج وقلق للخليفة أبي يوسف المنصور، فقررالقضاء عليها بشكل حاسم وسريع خصوصاً لما رآه من جذبها للعناصر الناقمة والحاقدة على الدولة الموحدية. فأعد جيشاً قوامه عشرون ألف

---

١) السيد ابو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن وهو والي تلمسان كان من أهل الأدب والشعر وقد ولي بجايه مدة ثم عزل عنها لإهماله وإغفاله وإنهماكه في ملاذته. أنظر المقري: نفح الطيب، م٣، ص ١٠٨-١٠٩ - وأنظر أيضا: Miranda , A.H: Historia Almohade ., I , p . 323-324.

٢) الجزائر: مدينة على ضفة البحر بين افريقية والمغرب، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٢، ص ١٣٢.

٣) مدينة مليانه: تقع بالقرب من أشير وهي من أخصب بلاد افريقية وأرخصها أسعاراً. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٧١.

٤) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٧٧.

٥) قسنطينه: مدينة حصينه في نهاية المنعة والحصانة لا يعرف بافريقية أمنع منها، وتقع على جبل عظيم من حجر صلد وبه خندق يدور بالمدينة من ثلاث جوانب. وهي شديدة البرد والثلج لإرتفاعها. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٦٥-١٦٦.

٦) رسائل موحديه:

، رسالة رقم ٢٩، ص ١٧٢-١٧٣.

مقاتل(١)، وأسند قيادته لابن عمه السيد ابي زيد بن ابي حفص (٢)، كما أصدر أمره بمسير الاسطول من سبته بقيادة أبي محمد بن إسحاق بن جامع وأبي محمد بن عطوش الكومي وأبي العباس الصقلي، فسارت القوتان معا وفق خطة حربية معينه(٣). وقد أوضح المنصور في رسالته التي وجهها لأهل إشبيليه في أمر بني غانيه سياسته في مواجهة هذه الثورة وأنصارها، وذلك في النصائح التي زود بها قواده عندما سيرهم للقضاء على هذه الثورة. ومما قاله لقائد هذه الحملة: " ... ووصيناه بتقوى الله تعالى في قليل أمره وكثيره، وأمرناه بالوقوف عند مراسيم السنّة وحدودها والإنتهاء الى روابطها المحكمة وعهودها والتقيد باحكام السُنّة المصلحة وقيودها وأن يبذلوا الامان لأهل تلكم الجهات حاضرهم وباديهم ويقدموا الانذار والاعذار بين أيديهم ويشيدوا بها إشادة يتساوى في العلم بها قاصيهم ودانيهم إقامة للحجة عليهم وأخذاً بالعدل والرفق فيهم ..." (٤).

سار الجيش الموحدي حتى وصل فاس حيث توقف فيها بعض الوقت، ثم واصل سيره الى تلمسان والتي تحصن فيها السيد أبو الربيع والي بجايه إنتظاراً لقدوم القوات الموحديه، وتقدمت الجيوش من تلمسان شرقاً، في حين بعث الخليفة برسائله الى المدن التي سيطر عليها ابن غانيه واعداً إياهم بالصفح والأمان مقابل مساعدة الجيش في القضاء على الثوار، وقد

---

١) العيني: عقد الجمان، ورقه ١٥.

٢) هو قائد الجيش المتوجه الى ابن غانيه، وولاه المنصور على مدينة تونس وعلى يديه دخل قراقوش في طاعة الموحدين: أنظر التجاني: رحلة التجاني، ص ١٠٤.

٣) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٧٧.

٤) رسائل موحديه، رساله رقم ٢٩، ص ١٧٤-١٧٥م.

استطاع الاسطول الموحدي الاستيلاء على مدينة الجزائر وأسر يحيى بن طلحة ابن عم علي بن غانيه (١). ثم استولى الموحدون على مليانه وطارد أهلها يدر بن عائشة الذي فر إلى قرية أم العلو (٢)، وتمكنوا من القبض عليه وقتله (٣).

تقدم القائد أبو العباس الصقلي نحو بجايه لتخليصها من ابن غانيه وفي هذا الصدد تشير الرواية قائلة:"... فلما قرب الاسطول ...تقدم من طلبته ...الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي إسحاق ... فخاطب أهل البلد ... بما بسط نفوسهم ومكن تأسيسهم وعرّفهم بالغرض الجميل فيهم وما كان من بذل الامان لجميعهم ورسم لهم ان يدخلوا ديارهم ويظهروا في الطاعة آثارهم فثابت إليهم بصائرهم واستحكمت على التقوى نياتهم ... وألقوا بيد المستسلم المبادر ونابذوا الاشقياء الميورقيين ...فبرز الغزاة ... وناشبوهم القتال أشد منا شبة ودافعوهم بأتم المدافعة والمحاربة ... فوالى الفسقة عليهم الدفعات وواتروا عليهم الحملات الصادقة والشدّات فكان اولياء الله صُبَراءُ أنجاداً كراماً عند اللقاء مجاداً فصدقوهم المكافحة ... فنصر الله ناصره ... وانهزم الاشقياء ... لا يلوون على من تأخر ولايأوون لمن تعذر ولا يرثون لمن عجز عن سيرهم ... يرومون اللحاق بغويهم ويأملون الاجتماع بشقيهم وكان في هذه الجملة ... أخوا الفاسق المذكوران (٤)، ففرا فيمن فر من أغويائهم ... وبادر الغزاة ... الى البلد فدخلوه واحتووا على من بقي فيه من الكفرة وتملّكوه ... وسارعوا الى الطلبة ... والموحدين الذين كانوا معهم ... فالفوهم بحمد الله على

---

١) رسائل موحديه: رسالة رقم ٢٩، ص ١٧٦-١٧٧.
٢) أم العلو: إحتمال انها في المغرب الاوسط.
٣) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٧٨.
٤) هما يحيى وعبد الله وأولاد اسحاق بن محمد.

أحسن احوال السلامة ... وحصل بايدي الموحدين ... ببجايه ...المسمّى رشيداً عظيم الأشقياء ومدبر أمرهم ...وألفو أسطول الخائن بجملته ...بجميع ما كان تأهب له من أهبة وعدّته فنفله الله أولياءه ..." (١).

وهكذا تم إستعادة بجاية من علي بن غانيه سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م (٢)، وقام الجيش الموحدي بقيادة السيد ابي زيد بملاحقة ابن غانيه الذي ترك حصار قسنطينه فاراً الى الصحراء، وأثناء ذلك إستولى على قلعة ابن حماد (٣) ثم بلره والتي لم يلبث أن تركها امام مطاردة الجيش الموحدي له(٤). أستقر السيد أبوزيد ببجايه وقد عمت الفوضى والإضطراب أرجاء المدينة نتيجة الأحداث السابقة، وخربت الدور وفر الناس الى المناطق المجاوره لها، وقلت المؤن والاقوات وأرتفعت الاسعار، وانتشر الوباء، فأصدر الخليفة المنصور أمره الى السيد أبي زيد بسرعة إصلاح أحوال المدينة والعمل على إستقرارها وعودة الحياة فيها الى الهدوء والسكينه(٥).

قام الموحدون بعقاب كل من شارك، في مساعدة ابن غانيه على دخول بجايه، فقتل رشيد النصراني قائد جند ابن غانيه، ونزار الزميلي

---

١) رسائل موحديه: رسالة رقم ٢٩، ص ١٧٧ - ١٧٩.

٢) ابن الاثير: الكامل، م ٩، ص ١٦٦ - ابن عذارى: البيان المغرب، ص ١٧٥- وانظر ايضا:
Le Tourneau , R : The Almohades movement, p. 72.

٣) قلعة ابن حماد: مدينة متوسطة بين اكم وأقران ولها قلعة عظيمة وهي قرب أشير من أرض المغرب الادنى . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤، ص ٣٩٠.

٤) محمد بن تقي الدين: مضمار الحقائق، ص ٢٢٩.

٥) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ١٥٣-١٥٤.

الحكيم(١)، وحمل بقية بني القائد على بيع أملاكهم ونفاهم الى سلا (٢).

أما علي بن غانيه واخواه فواصلا الفرار في الصحراء، وجمعا حولهما العديد من طوائف العرب الناقمين على الموحدين (٣)، ثم أرسل علي بن غانيه بقائده غزي الصنهاجي الى أشير (٤) فاستولى عليها وقتل حاكمها الموحدي، فسار اليه أبو حفص عمر ومعه أبو الظفر بن صردنيش(٥)، فهزموه وقتلوه واستولوا على عتاده، فسارع عبد الله الصنهاجي شقيق غزي الى مواصلة الثورة مكان أخيه ولكن تمكن الموحدون من القبض عليه في بجايه (٦).

وكانت الظروف والاحوال التي صادفت علي بن غانيه بعد فقده لبجايه قد فرضت عليه القيام بشيئين هامين:

أولهما: إيجاد مركز له ليكون حصنا يلجأ إليه وقت الازمات ويحتمى به، خصوصاً بعد معاناته في المرة الاولى إثر إنهزامه امام الموحدين وإضطراره للتخلص من معداته وفراره الى الصحراء.

---

١) ويقال الرميلي فقط. ولعل ذلك نسبة الى الرميله وهي حاضرة من ارباض مالقه، وكان قد خدم على بن غانيه الميورقي، وصلب في بجايه بسبب قوله:

أنتم صباحُ الدِّين يجْلوُ غَيْهبَ ال　　　　إلحاد والدنيا بكمْ ستَنْيرُ

أنظر ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٤٣٦، ترجمة رقم ٣١٥.

٢) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٨١.

٣) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ١٥٣.

٤) أشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجايه في البر، أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

٥) أبو الظفر بن مردنيش من أسرة بني مردنيش الذين دخلوا في طاعة الموحدين وقدموا العديد من الخدمات للدولة في عهد ابي يعقوب وابنه المنصور.

٦) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص١٨١.

وثانيهما: إيجاد ميناء على الساحل يضمن له الاتصال ببلاده لطلب المدد وقت الحاجه، وكانت بجايه تؤمن له إحتياجاته تلك، ولهذا وقع الاختيار عليها في البداية فتوجه اليها (١). ولكن بعد فشله تحتم عليه إعادة تنظيم خططه من جديد ضماناً لاستمرار ثورته ضد أعدائه، فقرر الإستيلاء على قفصه لعلمه بسخط المدينه على الموحدين وإستعدادها للخروج عليهم، وتميزت مدينة قفصه بالحصانه والمنعه وسبق لها أن خرجت على طاعة الموحدين فالمرة الاولى في عهد الخليفة ابي يعقوب، اذ قامت فيها ثورة بني الرند بزعامة علي بن المعز وقضى عليها سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م (٢). ثم خالفت مدينة قفصه للمرة الثانيه على الموحدين بانضمامها سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م الى علي بن غانيه حيث ترك فيها حامية من رجاله (٣). وسار للاستيلاء على توزر (٤) فحاصرها فترة من الوقت ثم لم يلبث ان استولى عليها إثرمداخلته لبعض أهلها فسهلوا له أمر دخولها، وعندما أصبحت في قبضته عفى عمن ناصره في دخولها وصادرأموال الآخرين بل وفرض عليهم أموالاً أخرى لأفتداء أنفسهم فمن إستطاع دفعها ترك ومن عجز عنها قتله ورمى به في بئر سميت ببئر الشهداء(٥).

واصل علي بن غانيه إحراز انتصاراته ضد الموحدين، فعاث في معظم مدن إفريقيه فساداً وتخريباً ما عدا مدينتي تونس والمهدية (٦) ثم قصد

---

١) محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدي، ص١٠٧.

٢) راجع ماسبق ذكره عن هذه الثورة في التمهيد ص٤٤

٣) ابن الاثير: الكامل، م ٩، ص ١٧١ – ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢١٨.

٤) توزر: مدينه في أقصى إفريقيه من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد ... وأرضها سبخة وبها نخل كثير . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٢، ص ٥٧ – ٥٨.

٥) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٦٢ – وأنظر أيضا:

Aban Nasr , J.M :History, p . 115.

٦) عبد اللطيف البرغوثي:تاريخ ليبيا ، ص ٣٧٨ – أندريه جوليان: تاريخ إفريقيا الشماليه، ج ٢، ص ١٤٩.

جزيرة باشّو (١) فنازلها فطلب أهلها الأمان منه فبذله لهم، وعندما دخلها قام جنده بنهبها وسلبوا الناس أمتعتهم، واستولوا على الغلال والدواب، وأمتدت ايديهم الى النساء والصبيان وتركوهم هلكا وفر الكثير منهم الى تونس. ولما حل الشتاء هلك منهم ما يقدر باثني عشر الفاً (٢)، وقد دفعت هذه الاعمال والاضطرابات والي تونس عبد الواحد بن عبد الله الهنتاتي (٣) الى الأستغاثة بالخليفة المنصور لتخليص الناس مما لحقها من شر ابن غانيه وأعوانه.

وعندما علم المنصور بذلك أدرك مبلغ خطورة الأمر على دولته، وجهز جيشاً قوامه عشرون الف مقاتل، وقصد قلة عدد الجند نظراً لقلة المؤن بأفريقية نتيجة ما حل بها من الخراب ولسرعة التنقل وخصوصاً أنه يدرك مدى قوة عدوه وخفة حركته.

---

١) باشّو من أعمال تونس وهي أحسن الاعمال يكون فيها الف ضيعه وثلاث جهات منها غيط بها البحر ووجهة واحدة منها الى الجبل وما رأى الناس أحسن منها عملاً. انظر محمد بن تقي الدين: مضمار الحقائق، ص ٢٠٣.

٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٤.

٣) ولي تونس وكان شهماً صارماً ... نكب بعد محاصرة قفصه وسقوطها في يد المنصور في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وتوفى بنواحي بجايه في طريقه الى المغرب مسخوطاً عليه وينسب اليه انه قال في محبسه:

نَصحتُ فلم أفلحْ، وخانوا فافلحـوا ... فانــزَلني نُصــحي بدار هــوانِ

فإن عشتُ لم أنصحْ وإن متُّ فالعنوا ... ذوي النصح من بعدي بكلِّ لسانِ

وعن هذا الوالي أنظر ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج ٢، ص ٢٧٦، ترجمة رقم ١٥٨.

سار الخليفة المنصور على رأس هذا الجيش سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م وبرفقته بعض أشياخ رياح من بني زيان وأستخلف على مراكش السيد أبا الحسن لتسيير أمور الدولة (١). وعندما وصل المنصور رباط الفتح زود وفود الاندلس بتوجيهاته، وتابع سيره الى افريقيه وكان قد عهد الى رجاله بتمهيد الطرق ونصب الجسور وإعداد المؤن وكافة متطلبات هذه الحملة (٢).

وفي أفريقيا حشد ابن غانيه قواته على مقربة من القيروان (٣)، ووصل المنصور الى تونس ومنها وجه بسته آلاف من جنده بقيادة السيد أبي يوسف بن أبي حفص، وعمر بن أبي زيد من أشياخ الموحدين، والقائد أبي الحسن بن الربرتير لقتال ابن غانيه،فالتقى الفريقان على مقربة من قفصه في موقعة عمره (Umra) سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م (٤)، ظهر فيها مدى إفتقار الحملة للتخطيط والتنظيم الحربي، حيث إندفع ابن الربرتير بجنده ناحية الميورقيين الذين تلقوه بسهامهم فسقط معظم

---

١) هو السيد أبو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن وتميز بالخصال الطيبه والعلم بامور الري والمباني وتركه المنصور نائباً عنه في مراكش حين خروجه لحرب بني غانيه . ولمزيد من التفاصيل أنظر ابن سعيد: الغصون اليانعه، ج ٢، ص ١٥٠-١٥٤.

٢) ابن عذاري:البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٨٦.

٣) القيروان: مدينة عظيمة بافريقية . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

٤) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٣٦-ابن عذارى: البيان المغرب،الخاص بالموحدين، ص ١٨٨-١٨٩، وأنظر أيضا: Miranda , A.H : Historia Almohad, I, p . 333-334.

ونستطيع تعريف المكان الذي جرت فيه هذه الموقعة حسب ما أشارت اليه رواية عربية قائلة: " ...عمره ...هي فحص باحواز قفصه .." أنظر الحميري:الروض المعطار، ص ٤١٤.

رجاله ما بين قتيل وجريح، ووقع ابن الربرتير نفسه أسيراً في يد ابن غانيه، فتقدم أبو علي بن يومور بحشود العرب فخذلوه وتمكن ابن غانيه من أسره. وهكذا انتهت هذه المعركة بهزيمة شديدة للجيش الموحدي وفقد وقتل عدد كبير من رجاله، في حين نجا أبو يوسف بن أبي حفص من هول المعركة، وقضى ابن غانيه على الجرحى في مدينة قفصه بالاضافة الى قتله لابن يومور وابن الربرتير ايضاً. وتركت هذه الوقعة أثراً سيئاً في نفس المنصور، كما دفعت ببعض الحاقدين عليه الى إنتهاز الفرصة للخروج عليه مثل أخيه عمر وغيره (١). وفضلا عن ذلك فقد وجهت أنظار المنصور الى قوة بني غانيه في المغرب الادنى والبعيد عن مركز الخلافة في مراكش، ومدى ما يقدمه أهله من المساعدات للخارجين على الدولة.

أعد المنصور جيشه وخرج من تونس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م (٢) وتوجه صوب القيروان للقاء ابن غانيه ورجاله، وعندما وصلها بعث الى ابن غانيه رسولاً طالباً منه الدخول في طاعة الموحدين، وفي هذا الصدد تشير الرواية قائلة: " ...ولما وصل الموحدون ... الى القيروان ...رأوا أن يقدموا الانذار اليهم ويقيموا الحجة عليهم ويسلكوا على سنن الشرع في تقرير الدعوة الى الله تعالى والى رسوله وبما جاء به لديهم، فكفروا نعمة الرفق بهم وغمطوها وازدروا المنة بذلك ...فلم يتلقوها بالقبول ويرتبطوها واعتقلوا الرسول جرياً على عادة كفرهم وإستمراراً على معهود

---

١) محمد الرشيد ملين: عصر المنصور، ص ١١٦.

٢) رسائل موحديه: رسالة رقم ٣٠، ص ١٨٤-١٨٦ - وأنظر أيضا:

Miranda , A.H : Historia Almohad, I, p . 335.

خيانتهم وغدرهم ..." (١) وعندما علم المنصور بموقف ابن غانيه من رسوله ورفضه الدخول في طاعة الموحدين، قرر قيادة الجيش بنفسه في هذه المعركة، وعندها أدرك أبن غانيه أنه أمام قوة كبيرة قد لا يستطيع مواجهتها فآثر الانسحاب على أن يكون لقاؤه بالموحدين قرب قفصه حصنه الحصين، ولكن المنصور قطع عليه الطريق من حيث لا يشعر، فاضطر ابن غانيه الى الانسحاب بجموعه ناحية قابس وعسكر عند حمة مطماطه (٢)، وجمع حوله الكثير من القبائل. وفي هذا المكان كانت الوقعة بين المنصور وابن غانيه واعوانه. وتصف الرواية هذه المعركة قائلة: " ... فنزل الناس على فرسخين من الحمة والعدو بأكنافها لم يروع له سرب ولا هاله من النزول قرب، فانخفر الناس تلك الليلة في الاجتماع والوصول، وضرب الفساطيط والابنيه موصولاً بموصول، وأمر المنصور من الغد بالاقلاع والنداء والتوكل على الله والاستعانة به ... واجتمع اشياخ ملكته، ونصحاء خدمته وارباب دولته، وعرضوا عليه فداءه بنفوسهم وصونه عن مشاهدة الحرب، ببذل مهجهم وأن يقيم بالمحلة سنداً وراء ظهورهم يلجأون اليه ويأوون لديه فكل من أخذ معه في ذلك زجره وسفه رأيه وضعف نظره، وقدم على القبائل أشياخ قرابته وأشداء عشيرته،

---

١) رسائل موحديه: رقم ٣٠، ١٨٥-١٨٦.

٢) حمة مطماطه مدينة قديمة مسورة...وسكانها من البربر يعرفون بمطماطه وهي كثيرة التمر والزيتون والفواكه. وفي المدينة عين كبيرة شديدة الحرارة فاذا استقى منها الماء برد لحينه ومنها يشربون ويسقون غابتهم.أنظر مؤلف مجهول:الاستبصار،ص ١٥٠-وأيضا راجع في هذا الصدد:

Ibn Fadl Allah Al-Omari:Masãlik El Absãr, L'Afrique, moins L'Egypte,

p.106-107.

وتجلى بين يدي جيشه ومشى المزاوره المتقدمون ومشى أثرهم على ما أحكم من النظام ...ولما ... تراءت بحور الجيوش ...نفخ في وجوه الاعداء طمعهم، واكذبتهم ظنونهم ورموا أثقالهم وأسلحتهم وصفقوا للفرار أجنحتهم، ...فأستأصلوهم في معرك واحد عن آخرهم وسيق من قبض في المعترك من أعيانهم فقتل بين يدي أمير المؤمنين المنصور، وأفلت قراقش الغزي وابن غانيه...وقبض بساقته على إعلاج من حاشيته وخاصة خدمته والمنصور على أثرهم من غير عجل...وأذن مؤذن الظهر والناس على سروجهم، لم يبرحوا من حين خروجهم، وصلى الناس متممين غير مقصرين ونصبت القبة الحمراء مدة الصلاة فدخلها المنصور وخرج بثياب السلم وشعار الأمن فهنئ بالفتح وما تيسر من النجح...)(١)

أما عن مصير ابن غانيه عقب هذه الموقعة فيشير النص السابق الى فراره برفقة حليفه قراقوش الى الصحراء، في حين توجه المنصور الموحدي للإستيلاء على قابس حيث دخلها واخرج منها بقايا الغز بعد إستصفاء أموالهم وإسترقاق نسائهم وأبنائهم (٢). كما قام الخليفة بالإستيلاء على نفزاوه (٣) وقسطيله (٤) وتوزر وتقيوس (٥) ونفطه (٦)،

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٩١.

٢) العيني: عقد الجمان، ورقة ٥٠ – رسائل موحديه، رسالة رقم ٣٠، ص ١٨٩ –١٩٠.

٣) نفزاوه من بلاد الجريد، فيه مدن وقصور وعمائر كثيرة متصلة أهلة، ومن مدنها طرة وبشري وأيتملين. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٥٧–١٥٨.

٤) قسطيلة: وهي قطر كبير وقاعدتها مدينة توزر، ومن مدنها نفطه وتقيوس وحامة بني بهلول وغيرها. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٥٥–١٥٧.

٥) تقيوس: وهي أربع مدن متقاربه عليها أسوار، ولها غابات كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه، وفيها العيون الكثيرة والمياه السائحة . أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٥٦.

٦) نفطه: بينها وبين توزر عشرين ميلا، وهي مدينة كبيرة عليها سور ولها غابة كثيرة النخل والبساتين . أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٥٦.

ولعب أهل هذه المدن دوراً كبيراً في مناصرة الموحدين ضد بني غانيه، الذين ما إن علم رجالهم في توزر بقدوم الخليفة المنصور حتى لاذوا بالفرار الى الصحراء (١).

كان هدف الخليفة المنصور من الإستيلاء على بلاد الجريد قبل فتح قفصه مركز علي بن غانيه، قطع الإمدادات عن هذه المدينة تمهيداً لإحكام سيطرة الموحدين عليها، فما ان تمت له السيطرة الفعلية على بلاد الجريد حتى توجه بالجيش الى قفصه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م (٢) وحاصرها، ونصب آلات الحرب لتحطيم أسوارها مصمماً الاستيلاء عليها، إذ كان تحصن ابن غانيه فيها يعد من أهم العوامل المساعدة له في ثورته ببلاد الجريد، كما يعتبر فشل المنصور في الاستيلاء عليها أن ابن غانيه ورجاله سيجعلون منها مركزاً للقلاقل والاضطرابات في هذه المنطقة .شدد المنصور حصاره لمدينة قفصه وضرب أسوارها بالمنجنيق، وصنعت للخليفة مرقبة من الخشب قام منها بالاشراف على سير القتال ومراقبة تطوراته وتصف الرواية إقتحام المدينة وهدم أسوارها قائلة: " ...حتى أعادته هباءً منبثاً...وأقيم برج على سبع طباق مزاحماً بذروته مراقي السبع الطباق، فشحن بالرماة والآلات رجال بصفوف الاسلحة والريات ... ونفخ بداخله البوقات وصكت الطبول، وقام بأقطار المحلة التكبير والتهليل، ودنا من السور حتى أطل على ... المدينة أطلال الاهرام وتحكم من أهلها بسوء الإنتقام، وكمل ردم الحفير المقابل لثلم السور حتى ساوى وجه الارض وصار مهيعاً للبلد بحيث لايمنع فارساً ولاراجلاً ولاخارجاً ولاداخلاً

---

١) رسائل موحديه: رسالة رقم ٣١، ص ١٩٥-١٩٦.

٢) في الاستيلاء على مدينة قفصه راجع ايضا:

Miranda , A .H : Hirtoria Almohade , I , p . 336 - 338 -Arie. R : Historia de España, III, p .127.

... أخذ الموحدون أسلحتهم ...وصعدوا على الردم قاصدين الى الثلم وكان المسلك صعب المرتقى لما تراكم في صدره من ردم الاسوار وسحيق ما قذفت به المجانيق من جميع الأحجار، فزلت فيه الاقدام، ولم يتمكن بوحله عليهم الاقتحام، وكمن لهم رجالة الأشقياء مع معارج الردوم، ودرقوا ببقايا السور وأستكنّوا للوثوب والهجوم، فهبّوا عليهم من مكامن الاحجار، واستغاثوا بما كان من ارتفاعهم من ذلك الانحدار فوافقهم بعظم النهار وأنصرف الموحدون ليجددوا لهم من الغد عزمة تذهب بمواقفهم وتكب اولاهم على آخرهم " (١). واستقر عزم الموحدين على إقتحام المدينة في اليوم التالي، وأما أهل البلد فايقنوا بوقوعها في يد الخليفة، فاحتالوا لنجاتهم، وفي الليل توجه أعيان قفصة للمنصور طالبين الامان لأهل المدينة على أرواحهم وممتلكاتهم بالاضافة الى الاغزاز الموجودين في المدينة، ووفى الخليفة لهم بذلك عقب دخوله المدينة وقبض على رجال بني غانيه وأمر بذبحهم، ثم قام بهدم أسوار المدينة (٢)، وتوجه المنصور عقب ذلك الى تونس للراحة وهناك عكف على تنظيم أمور إفريقيه وعقد للسيد ابي زيد عليها، ثم غادرها الى مراكش سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م (٣). واكثرت الشعراء في وصف هزيمة بني غانيه في الحمة وفتح قفصه فقال ابوبكر بن مجبر (٤) في ذلك:

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٩٤.

٢) رسائل موحديه: رسالة رقم ٣٢، ص ٢٠٦ -٢٠٧.

٣) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٩٦-١٩٧.

٤) ابوبكر بن مجبر شاعر المغرب اتصل بابي عبد الله بن سعد بن مردنيش ومدحه ثم مدح المنصور، أنظر المقري: نفح الطيب، م ٣، ص ٢٣٧-٢٣٨.

عدوكم بخطوب الدهر مقصود | وامركم باتصال النصر موعود
رأى الشقاء ابن إسحاق احق به | من السعادة والمحدود محدود
وكيف يحظى بدنيا أو بآخرة | مُحَلّاً عن طريق الحق مطرود
أما درى لادرى عقبى عداتكم | كل بحد حسام الحق محصود
القى السلاح وولى يبتغي امدا | ينجيه وهو مروع القلب مودود
مامر يوما بباب ظنّه سببا | الى التخلص إلا وهو مسدود
وهبه عاش اليس الموت أهون من | عيش يخالطه هم وتنكيد
أنحى الزمان على الاغزاز واجتهدت | في قطع دابرهم احداثه السّود (١)

وفي قفصه يقول أيضا:

ما غر قفصه إلاّ أنّها اجترمت | فلم يكن عند أهل الحلم تثريبُ
ما بالها زارأ من الله حوزتها | فلم يكن عندها أهل وترحيب
قد فضّ شملهم عنها وقد نصبت | بها من الحين غربان غرابيب
أما يردّ سليما ما يباشره | وفيه للنفس ترغيب وترهيب(٢)

على أثر عودة المنصور الى مراكش عاد علي بن غانيه لإثارة القلاقل والاضطرابات في بلاد الجريد (٣) حتى هلك على مدينة توزر وعن ذلك تشير الرواية قائلة: " توزر ... وهي المدينة السعيدة التي هلك عليها عدو الله شقي ميورقه . رشقه سهم في ترقوته فقضى نحبه ...ومات ... عقب سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م" (٤)

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٩٣.
٢) التجاني: رحلة التجاني ، ص ١٣٩.
٣) ابن خلدون: العبر، م ٦، ص ١٩٣.
٤) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٣١، ١٥٥، – الحميري: الروض المعطار، ص ٥٦٨.

بنو غانيه بعد وفاة علي بن اسحاق بن محمد بن غانيه:-

قام بأمر بني غانيه إثر وفاة علي بن اسحاق شقيقه يحيى، الذي اتبع نفس سياسة أخيه علي في معاداة الموحدين والقضاء على سلطانهم وإقامة دولة تمثل سلطان المرابطين معتمداً في ذلك على سائر العناصر الناقمة على الموحدين.

وأما أخبار يحيى بن غانيه وتحركاته في إفريقية ضد الموحدين في عهد المنصور، فإنه يسودها الاضطراب وعدم الوضوح، إذ تتضارب روايات المؤرخين في هذا الصدد، كما تفتقر الى التحديد الزمني الدقيق. ولكن فيما يخص الفترة الواقعة ما بين سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وحتى وفاة المنصور الموحدي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م، فإنه من خلال متابعة النصوص التي تشير الى علاقة يحيى بن غانيه وشرف الدين قراقوش في إفريقية(١)، نستطيع ان نلقي بعض الضوء على ماشابها من غموض.

يلاحظ خلال متابعة أخبار يحيى بن غانيه مع الموحدين عدم وجود ما يشير الى إلتقائه بالمنصور في معركة فاصلة، بل لم تكن لديه الشجاعة الكافية لذلك فما ان يعلم بتحرك الخليفة الى إفريقية إلا ونراه فاراً الى الصحراء (٢). كما حرص في نفس الوقت أثناء قيادته للثورة على التخلص من منافسيه مثل قضائه على شرف الدين قراقوش في ودان سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م (٣). وفي " سنة تسعين وخمسمايه ورد على المنصور

---

١)عن تحالف يحيى بن غانيه شرف الدين قراقوش أنظر ذلك عند حديثي عن الغز في عهدالمنصور

٢) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص١١٢- ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢١٩.

٣) ودان هي جزائر نخيل ومياه واولها حيث الطول إحدى واربعون درجة والعرض سبع وعشرون درجة وخمسون دقيقة. واليها يلتجىء المار في الطريق الطويلة المضنية ... حدودها تمتد شرقا حتى فزان وجنوبا حتى جبال طنطنا وغربا حتى مكان ماقرب حدود إفريقيه..." أنظر ابن سعيد: الجغرافيا، ص ١٢٧، ٢٤٢

مخاطبات الشيخ أبي سعيد بن ابي حفص(١) من إفريقيه بإستفحال العدو بها وإنبساط العرب معه وفسادها فانحفز في الحركة الى رباط الفتح مصمماً على قصد إفريقيه وقوى الرأى والتأهب الى العود إليها والقدوم عليها ..." (٢). قام الشخ أبو سعيد بن ابي حفص الموحدي والي تونس بارسال ابن تافراجين (٣) والياً من قبله الى قابس، وفي سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م سار اليها يحيى بن غانيه وعسكر في المكان المعروف بزريق (٤)، ثم وجه لهم كتابا (٥) ينذرهم فيه ومطالباً إياهم بالخضوع لسلطانه ومنحهم مهلة لتقرير ذلك. وعندما رفض أهل قابس الإستجابةلطلبه زحف نحو المدينة بجنده وحاصرها، وكانت مشهورة بكثرة نخيلها فعمد الى قطعه ما عدا نخلة واحدة، فلما رأى أهل المدينة ما حدث سارعوا الى الاستسلام مقابل إخلائه لسبيل واليهم ابن تافراجين ورحيله بأهله عن المدينة فغادرها بحراً، وعاقب يحيى بن غانيه أهل قابس بغرامة ماليه فادحة الزمهم بها مقدارها مئة ألف دينار، ثم خفضها لهم الى ستين الف دينار (٦).

---

١) الشيخ ابو سعيد بن ابي حفص والي تونس في عهد المنصور الموحدي : وقام بدوره بتولية أخيه ابي علي يونس علي المهدية والذي تسبب في إثارة المشاكل مع ابن عبد الكريم قائد الجند وأهانه في أواخر عهد المنصور ولم يتدخل الشيخ ابو سعيد بدوره لإنهاء تلك المشاكل مما جعل ابن عبد الكريم يقبض على ابي علي ويقوم بسجنه ولم يطلقه إلا بعد إفتداء ابي سعيد لاخيه . أنظر التجاني: رحلة التجاني، ص ٣٥١-٣٥٢.

٢) ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص٢١٧.

٣) ابن تافراجين هو أحد الحفاظ الموحدين، ولاه الشيخ ابو سعيد على مدينة قابس أثر هروب نائب قراقوش منها،وظل فيها حتى إستيلاء يحيى بن غانيه عليها.أنظر التجاني:رحلة التجاني،ص ١٠٥.

٤) وهو الموضع الذي أقام فيه يحيى بن غانيه منتظراً رد أهل قابس عند مكاتبته لهم بالدخول في طاعته، وعلى مقربة من زريق نخلات على عين ماء هنالك عذبه ...أنظر التجاني : رحلة التجاني، ص ١٨٠.

٥) أنظر نص الخطاب في الملاحق رقم ٢،١.

٦) التجاني : رحلة التجاني، ص ١٠٥-١٠٨- ويلاحظ ان هذه المدينة قد بقيت في حكم يحيى بن غانيه حتى استولى عليها الناصر بن المنصور سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م . هذا ويذكر التجاني من قبل في (ص ٥٧-٥٩) عن حروب يحيى بن غانيه في إفريقيه، محاولته الاستيلاء على حصن الاجم وقتاله لأهله وفشله في الاستيلاء عليه، ولكن دون أن يحدد تاريخاً لذلك، وهل كان هذا في عهد المنصور، أم في =

وايضا من أخبار يحيى بن غانيه في إفريقيه: " لما عبر أبو يوسف يعقوب صاحب المغرب والاندلس (١) ... وأقام مجاهداً ثلاث سنين إنقطعت أخباره عن إفريقيه فقوى طمع علي بن اسحاق (٢) الملثم الميورقي، وكان بالبريه مع العرب فعاود قصد إفريقيه فانبث جنوده في البلاد فخربوها وأكثروا الفساد فيها فمحيت آثار تلك البلاد وتغيرت وصارت خاليه من الأنيس خاويه على عروشها وأراد المسير الى بجايه ومحاصرتها لاشتغال يعقوب بالجهاد وأظهر أنه اذا استولى على بجايه سار الى المغرب فوصل الخبر الى يعقوب بذلك فصالح الفرنج (٣) ...وعاد الى مراكش عازماً على قصده وإخراجه من البلاد كما فعله سنة إحدى وثمانين وخمسمائه ..." (٤) ومما سبق عرضه من روايات نلاحظ قلة المادة العلميه عن علاقة يحيى بن غانيه والموحدين في عهد المنصور، ولكن نستطيع القول أن يحيى بن غانيه سار على نفس سياسة أخيه علي فتزعم قيادة الثورة

= عهد ابنه الناصر. وعن أهمية هذا الحصن قيل في وصفه: "...وهو المعروف بقصر الكاهنه، ... عجيب البنيان قد بنى وأحكم بحجارة طول الحجر منها ٢٥ شبراً، وارتفاع القصر في الهواء ٤٢ قامة وهو من داخله كله مدرج الى اعلاه وابوابه طاقات بعضها فوق بعض..." أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص١١٨.

١) كان عبور المنصور للجهاد ضد النصارى سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م وهذا هو العبور الثاني له اذ أن العبور الاول له الى الاندلس حدث سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م.

٢) علي بن اسحاق توفى كما أشرت سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وخلفه أخوه يحيى بن غانيه في قيادة الثورة ضد الموحدين.

٣) تم عقد الصلح بين الخليفة المنصور وملك قشتاله سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م.

٤) ابن الأثير : الكامل، م ٩، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ - الواقع ان علي بن اسحاق توفى سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، وخلفه أخوه يحيى في القيادة الثورة .

لتحقيق أهدافها وهي القضاء على الموحدين، وإحياء مجد الدولة المرابطيه، والإستفادة من إفريقيه في تنفيذ مخططاتهم لبعدها عن مركز الخلافة في مراكش، بالاضافة الى سهولة فرارهم منها الى الصحراء في حالة هزيمتهم امام الموحدين .

وهكذا فإن الروايات السابقة التي تحدثت عن يحيى بن إسحاق وحروبه في إفريقيه لا تشير الى تحركاته ضد الموحدين إلا إبتداءً من سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، وفي سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م كان إستيلاؤه على مدينة قابس، وفي أثناء إنشغال الخليفة المنصور بالجهاد ضد قشتاله سنة ٥٩١-٥٩٣هـ/١١٩٤-١١٩٦م، إشتدت غارات بني غانيه في إفريقيه بقيادة يحيى بن إسحاق ومحاولته الإستيلاء على بجايه تمهيداً للسير الى بقية مدن المغرب، الأمر الذي دفع بالمنصور الى الإستجابة لطلب قشتاله في مهادنة الموحدين، ثم أسرع عائداً الى المغرب لمواجهة تحركات بني غانيه، ولكن مع الاسف لا تشير المصادر الى سيره لأفريقيه عقب عودته من الاندلس، إذ مرض وظل في مراكش حتى وفاته سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م.

إستمرت ثورة بني غانيه في المغرب الادنى بعد وفاة المنصور، ولم يتهيأ للموحدين القضاء عليها إلابعد نجاح الناصر بن المنصور في الإستيلاء على الجزائر الشرقية مقر نفوذهم سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، ثم أتبعها بهزيمة يحيى بن غانيه في معركة تاجرا سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م (١)، غير أن هذه الهزيمة لم تضع نهاية لثورة بني غانيه في إفريقية إذ شغلت حروبهم ضد الموحدين معظم سنوات عهد الناصر بن المنصور الى أن كانت نهايتها بوفاة

---

١) رأس تاجرا جبل صغير على نحو خمسة عشر ميلاً من وادي مجسر " أنظر التجاني : رحلة التجاني، ص ١٢٠.

يحيى بن غانيه في سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م (١).

ومن خلال العرض السابق نرى أن هذه الثورة إستنفدت جهداً كبيراً من قبل الموحدين في سبيل القضاء عليها وخصوصاً في عهد الناصر الموحدي إذ كانت أعنف الثورات التي واجهتها الدولة الموحدية.ولعل قلة المادة العلمية عن هذه الثورة في عهد المنصور سببها راجع الى سكوت المصادر الهامة عن

---

١)إستمرت ثورة يحيى بن غانيه في زمن الناصر إذ نراه يوقع الهزيمة بجيش الموحدين سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م بظاهر قسنطينه، ثم استولى على المهدية وبسكره، ثم إتجه الى تبسه والقيروان رغبة منه في توحيد إفريقيه . وأعقب ذلك بالاستيلاء على تونس وقبض على واليها ودانت له طرابلس وصفاقس وقابس وبلاد الجريد، وأصبح بهذا مسيطراً على معظم إفريقيه . فرأى الناصر الموحدي قتال هذا الثائر والقضاء عليه حفاظاً على الدولة . فاعد جيشه وأسطوله وجعل على الاسطول عمه السيد أبا العلاء، وعلى القوات البريه الشيخ أبا سعيد عثمان بن ابي حفص . وقد أُدرك الناصر أنه حتى يتحقق له القضاء على بني غانيه في إفريقيه لابد من الاستيلاء على معقلهم ومقر نفوذهم – الجزائر الشرقيه – فتم له ذلك سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، وعين عليها عبد الله بن طاع الله الكومي، ثم خلفه عليها السيد ابوزيد ثم عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن، ثم أبو يحيى علي بن ابي عمران التينملي . وسار الناصر على رأس جيشه الى إفريقيه في حين جعل على الاسطول السائر الى إفريقيه أبا يحيى بن زكريا الهزرجي، فاستعاد الموحدون تونس وقفصه وصفاقس وقابس والتقوا بقيادة أبي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ببني غانيه بالقرب من قابس في موضع يقال له تاجرا حيث إستطاعوا هزيمة بني غانيه، واستولوا بعدها على المهدية من أعوان ابن غانيه ودخل واليها علي بن الغاني في طاعة الناصر بالاضافة الى دخول سير بن اسحاق شقيق يحيى ايضاً في طاعة الموحدين . وعاد الناصر الى مراكش تاركاً على إفريقيه الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص لمقاومة غارات ابن غانيه فيها . وعندما لم يصادف ابن غانيه نجاحاً في إفريقيه امام الشيخ ابي محمد قام بنقل نشاطه الى المغرب الاوسط، فاستولى على تاهرت، فارسل الناصر جيشاً لحفظ تلمسان وهنا اضطر ابن غانيه الى التراجع فكان والي افريقيه له بالمرصاد فاوقع به الهزيمة، ثم اتبعها بهزيمة اخرى في جبل نفوسه سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م فكانت هزيمة قاسية على ابن غانيه الزمته الهدوءحتى وفاة الشيخ أبي محمد عبد الواحد سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م فعاود ابن غانيه نشاطه في افريقيه، فقام واليها الجديد السيد ابو العلاء ادريس بمحاربة يحيى فاشتبك معه في معركة بظاهر تونس سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م وهزمه، فعاود ابن غانيه نقل نشاطه الى المغرب الاوسط مرة أخرى فهاجم قسنطينه سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م ثم استولى على بجايه سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م، وبعد وفاة والي إفريقيه السيد أبي العلاء خلفه ابنه على ولايتها لبعض الوقت ولم يلبث ان عزله الناصر عنها وولى عليها ابا محمد عبد الله بن عبد الواحد الذي جد في مطاردة ابن غانيه للقضاء عليه . وعلى أثر نشوب الخلاف بين والي افريقيه ابي محمد عبد الله واخيه ابي زكريا والي قابس والحمة، انتهز ابن غانيه الفرصة وعاود نشاطه مرة أخرى فاستولى على جهات وادي شلف، ولكن عاد والي قابس السيد أبو زكريا لمطاردته وأجبره على الفرار الى الصحراء . ورغم ذلك ظل ابن غانيه يقوم بشن غاراته على المدن بين الحين والحين حتى ادركته الوفاة سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م فقدر لهذه الثورة الانتهاء في إفريقيه . ولمزيد من التفاصيل أنظر هشام ابو رميله :علاقات الموحدين ، ص ١٧٤-١٧٩، ص ١٨٨-٢٠٣.

إمدادنا بالمعلومات عن يحى بن غانية والموحدين مثل المراكشي في المعجب والذي لا يطالعنا باي شيء عن بني غانيه عقب سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وحتى وفاة المنصور، وكذلك ابن الأثير في الكامل لايورد أية أحداث عنهم عقب سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، وابن عذارى الذي توقف في رواياته عنهم عقب سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ثم طالعنا بحادثة لهم في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م، وابن ابي زرع في الروض وتحدث عن خروج المنصور سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م الى إفريقيه لقتال يحيى بن غانيه اللاجيء الى الصحراء عند بلوغه خبر قدوم المنصور الى إفريقيه بالاضافة الى إشارة تفيد برجوع المنصور من إفريقيه سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م دون ذكر سبب وجوده فيها ولا زمن توجهه اليها، وأما التجاني في رحلته فأشار الى إستيلائه على قابس سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م، ثم قتاله لحصن الأجم دون تحديد تاريخ لتلك الحادثة .

علاقة بني غانيه بالعباسيين :-

قام علي بن اسحاق بن غانيه في ثورته ضد الموحدين في إفريقيه بالدعاء للعباسيين لاضفاء الصبغة الشرعية على أعماله وفتوحاته، وعاصر الخليفة العباسي أحمد الناصر لدين الله تطورات هذه الثورة التي هدفت الى التخلص من الموحدين، نظراً لما عرف من كراهية العباسيين لبني عبد المؤمن المتلقبين بألقاب الخلافة والتي إعتبرها العباسيون حقاً خاصاً لمن ملك الحرمين الشريفين (١)، فقد سارعوا بتأييد زعماء هذه الثورة كما نرى علي بن غانيه مرسلاً لهم طالباً الخلع والأعلام السود (٢).

---

١) عن موقف المرابطين من الخلافة العباسية أنظر حسن علي حسن :الحضارة الإسلامية ص ٥٣-٥٥. وأنظر فيما بعد تفاصيل موقف الموحدين من العباسيين في الفصل الثالث .

٢) ابن الأثير : الكامل، م ٩، ص ١٧١ - وأنظر أيضا : Aban Nasr , J.M : History, p . 116.

وعقب وفاة علي بن غانيه سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وقيام أخيه يحيى بن غانيه بقيادة الثورة ضد الموحدين، تطورت العلاقات بين العباسيين ويحيى بن غانيه مظهرة مدى إهتمام يحيى بتأييد العباسيين فتم تبادل السفارات بينهما فكان سفير يحيى بن غانيه الى بلاط العباسيين أبا محمد عبد البر بن فرسان بن ابراهيم بن عبد الرحمن الغساني (١) الوادي آشي (٢) الذي يروي قصة سفارته الى بغداد لابن يحيى بن غانيه قائلاً له: " ..أعلم أن أباك وجّهني رسولاً إلى دار الخلافة ببغداد بكتاب عن نفسه، فلما بلغت بغداد أنزلت في دار اكتريت لي بسبعة دراهم في الشهر، وأجري عليَّ سبعة دراهم في اليوم، وطوّلع بكتابي، وقيل من الميرقي الذي وجّهه؟ فقال بعض الحاضرين: هو رجل مغربي ثائر على أستاذه، فأقمت شهراً، ثم استدعيت فلما دخلت دار الخلافة وتكلمت مع من بها من الفضلاء، وأرباب المعارف والآداب إعتذروا إليّ وقالوا للخليفة: هذا رجل جُهل مقداره، فأعدت إلى محل اكتُري لي بسبعين درهماً، وأُجرى عليَّ مثلها في اليوم، ثم استُدعيت فودعت الخليفة واقتضيت ما تيسر من حوائجه وصدر لي شيء له حظ من صلته، وانصرفت إلى أبيك، فالمعاملة الأولى كانت على قدر أبيك عند من يعرف الأقدار، والثانية كانت على قدري ..." (٣).ونستطيع ان نقول ان

---

١) أبو محمد عبد البر هو كاتب يحيى بن اسحاق بن غانيه ودرس بمالقه على أبي القاسم السهيلي، وفي إفريقيه التحق بخدمة الامير أبي زكريا يحيى بن اسحاق الثائر على المنصور الموحدي وحضر معه معظم حروبه وهو من الأدباء والشعراء ذا براعة وشجاعة اصابته جراح في بعض الوقائع ادت الى وفاته في سنة ٦١١هـ/١٢١٤م . أنظر ابن الآبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص١٦٨-١٧٠

٢) وادى آشي مدينة لها أسوار محدقة، ومياه متدفقه ونهر صغير دائم الجري، وتتفرع منها عدة طرق . أنظر الادريسي : المغرب وارض السودان، ص ٢٠٢.

٣) المقري : نفح الطيب، م ٢، ص ٦١٣-٦١٤.

سفارة يحيى بن غانيه حظيت بترحيب وتأييد العباسيين، إذ نلاحظ ردهم ليحيى بسفارة مماثلة وكان السفير العباسي لابن غانيه الشاعر الفقيه أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز بن أبي بكر بن عبدالمؤمن ...القرشي، العبدري، المعروف بابن النطروني الاسكندري (١). وقد أحسن الرسول اداء سفارته لدى بني غانيه ثم عاد الى بغداد محملاً بعشرة آلاف دينار فرقها على معارفه ومع الأسف لم تتوفر لدينا أية معلومات عن مهمة السفير ولا النتائج التي حققها في سفارته هذه (٢) .

محاولات المنصور الإستيلاء على الجزائر الشرقية والقضاء على نفوذ بني غانيه بها:-

نتطرق في هذه النقطة للحديث عن وضع الجزائر الشرقيه من حيث خروجها على بني غانيه وطاعتها للمنصور، ثم استرجاع بني غانيه لها مرة أخرى، وما أعقب ذلك من محاولات الموحدين لاستردادها في زمن المنصور ومدى نجاح تلك المحاولات .

سبق ان قام بنو غانيه بالقبض على أبي الحسن علي بن الربرتير رسول الموحدين اليهم وسجنه، وتبع ذلك خروج علي بن غانيه بجيشه الى بجايه وغزوها. وبعد خروجه الى المغرب خلد الجو لابن الربرتير سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م فانتهز الفرصة للخلاص من سجنه. وكان معظم حرس بني

---

١) أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز بن النطروني الاسكندري، قدم بغداد وأقام بها ومدح الخليفة الناصر بعدة قصائد، كان أديباً وحسن السيرة ورتب شيخاً برباط العميد بالجانب الغربي، ثم انفذ رسولاً من الديوان الى يحيى بن غانيه الميورقي فأقام مدة طويلة، وولده عبد العزيز ينوب عنه، ثم عاد وقد حصل له مال طائل، وجعل ناظر البيمارستان العضدي، وتوفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م. أنظر ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٣-٣٤، ترجمة رقم ٢٦٢.

٢) ابن سعيد : الغصون اليانعة، ص ٩٠

غانيه من النصارى الراغبين في العودة الى بلادهم، فأخذ ابن الربرتير في إستمالتهم لإطلاق سراحه ومساعدته في الإستلاء على الجزائر مقابل إعادتهم الى أوطانهم. ولما استوثق من إستجابتهم لرغبته حدد معهم زمن تنفيذ خطته تلك،فلما كان يوم الجمعه وأثناء إنشغال الناس بأداء الصلاة، قام الحرس بإخراجه من سجنه وتحصنوا في داخل القصبة، وتمكن إبن الربرتير من مخازن السلاح فأستولى على كميات كبيرة منه ووزعها على الجند الذين تمكنوا من القضاء على عدد كبير من رجال بني غانيه .

قام أهل ميورقه بحصار القصبة وقذفوها بالمنجنيق من كل الجهات، فما كان من ابن الربرتير إلا ان اظهر أهل علي بن غانيه وأمه أمام المهاجمين لإيقاف قصفهم للقصبة والتفاوض معه بشأن طاعة الجزائر للمنصور الموحدي. وكان أبو عبد الله محمد بن إسحاق قد سجنه إخوته بسبب ميله الى مهادنة الموحدين والاستجابة لطلبهم والدخول في طاعتهم حفاظاً على بلاده. فاتفق ابن الربرتير مع أهل الجزيرة على إطلاق سراحه، ثم قـام محمد بالتنازل عن مقاليد السلطة لأبي الحسن الذي جمع ذخائر بني غانيه وأموالهم،وسرح الجند النصارى الى بلادهم حسب وعده لهم، ثم سار أبو الحسن وبرفقته أبو عبد الله محمد بن اسحاق وغادرا الى العاصمة الموحديه، حيث حظي محمد بن غانيه بكل إحترام ومودة لدى الموحدين . وأصبحت بذلك الخطبة في الجزائر الشرقية باسم المنصور الموحدي انتظاراً لمن سوف يوجهه والياً عليها . (١)

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٨٣-١٨٤.

وأثناء ذلك يبدو ان فشل على في بجايه قد شجع عبد الله بن غانيه على العودة الى الجزائر فسار الى صقليه (١) وأعانه حاكمها (٢) بسفينه توجه بها الى ميورقه ونجح في إستمالة بعض أهل الجزيرة فأعانوه بالدواب والرجال وتمكن بالحيلة من الإستيلاء على مقاليد السلطة في البلاد(٣)

وأستقر عبد الله في حكم الجزائر الشرقية وسار فيها على نفس سياسة ابيه في العناية بالبلاد والحفاظ على إنتعاشها وإزدهارها (٤).

ولم يرق للموحدين بطبيعة الحال أمر عودة الجزائر الشرقية الى طاعة بني غانيه مرة أخرى، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في نظرهم، فقاموا بمحاولات عديدة لإستعادتها من بني غانيه وتشير رواية الى إحدى هذه المحاولات والتي إستهدفت جزيرة يابسه قائلة : "...وفي هذه السنه وهي

---

١) صقليه من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقيه وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام ... وبين الجزيرة وبر إفريقية مائة واربعون ميلاً الى أقرب مواضع إفريقية وهو الموضع المسّمى إقليبية وهو يومان بالريح الطيبة أو أقل ..وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والامصار . أنظر ياقوت الحموي معجم البلدان، م ٣، ص ٤١٦ - ٤١٧.

٢) هو وليام الثاني (٥٦٢-٥٨٥هـ/١١٦٦-١١٨٩م).

٣) ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٨٥، ص ٢٤٠.

٤) يلاحظ ان سياسة عبد الله في الجزائر الشرقية قامت على مسالمة الدول النصرانية مثل جنوه وبيزاوعقد المعاهدات الودية التي ساعدت على نمو وازدهار العلاقات التجارية مثل معاهدته مع جنوة سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م، وفي نفس الوقت استفادت تلك الدول من هذه المعاهدات في عدم هجوم حكام الجزائر الشرقية على شواطئهم. في حين إكتفى عبد الله بالاغارة على شواطيء الدول التي لاتربطه بها معاهدات مثل فرنسا وغيرها واستمر عبد الله حاكماً للجزائر حتى وفاته سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، ثم إستولى عليها الموحدون سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، في عهد الخليفة محمد الناصر بن المنصور. عن ذلك أنظر محمد عبد الله عنان:دولة الاسلام،العصر الثالث،القسم الثاني، ص ٢٥٧-٢٥٨.

سنة ثلاث وثمانين ...كانت حركة القائد أبي العباس الصقلي بالأساطيل المنصورة وهجموا على يابسة ودخلوها واستولوا عليها وقبضوا على ابن نجاح القائد المايورقي الذي هرب عن ابن غانيه للموحدين ثم نكث عليهم وقد كان خدع أهل يابسه ودخلها ..." (١).

أما عن وضع ميورقه فقد فشل الأسطول الموحدي في الإستيلاء عليها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م اذ سير المنصور اليها حملة بقيادة ابي العلاء بن جامع. ثم أخرى بقيادة يحيى بن الشيخ ابراهيم الهزرجي (٢). في حين استطاع اسطول المنصور الاستيلاء على جزيرة منورقة في نفس ذلك العام(٣).

ومن هنا نلاحظ أن محاولات الموحدين في السيطرة على ميورقه خلال عهد المنصور قد باءت بالفشل في حين تمكنت قواته من السيطرة على يابسه ومنورقه، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هنا لماذا لم تقم قوات المنصور بالاستفادة من وجودها في جزيرتي يابسه ومنورقه للإستيلاء على ميورقه؟ وفي إعتقادي أن المنصور لم يرغب في إثارة نصارى مملكة أرغونة لأهمية ميورقه لديها بإستيلائه عليها الأمر الذي قد يؤدي الى إتحاد أرغونه مع غيرها من النصارى الاسبان ضد المنصور الموحدي، وخاصة ان مخططه في الجهاد ضدهم هو الانفراد بكل واحدة منهم على حدة، مع إستخدام سياسة فرق تسد، هذا بالاضافة الى إطمئنانه بأن تحركات عبدالله بن غانيه في ميورقه خاضعة لرقابة قواته في يابسه ومنورقة، فيحتمل أنه لذلك

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٩٧.

٢) ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ٢٤٧.

٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص ١٥٨.

أجل إستيلاءه عليها لحين سيطرته التامه على النصارى الاسبان، ثم ان تحركات بني غانيه في إفريقيه في عهده لم تكن بالخطورة التي أصبحت عليها فيما بعد في عهد ابنه الناصر نظراً لكثرة المشاكل التي صادفت يحيى بن غانيه مع الغز وغيرهم. ولم يتم للموحدين السيطرة على ميورقه إلا في عهد الناصر سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣ (١).

---

١) عقب وفاة المنصور حاول عبد الله بن غانيه الإستيلاء على يابسه فلم يلقه إستجابة من أهلها وقد إستطاع ابن ميمون قائد الموحدين الظفر بسفينتين له وحرقها، فانسحب عبد الله عائداً الى ميورقه ثم لم يلبث أن قام بمهاجمة منورقه التي سقطت في يده بعد طول حصار وولى عليها ابن نجاح سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، وما ان إنقضى فصل الشتاء حتى سار اليه السيد ابو العلاء باسطول سبته وتمكن من دخولها وإعادتها لطاعة الموحدين وقبض على ابن نجاح وبعثه الى مراكش حيث أعدم نيها . وعن ذلك أنظر ابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ٢٤٠.

الأتراك الغز

الغز في المغرب :-

لعب الغز دوراً كبيراً في تاريخ إفريقيه في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين، ومن الغز الداخلين الى المغرب :-

شرف الدين قراقوش مملوك تقي الدين ابن أخ صلاح الدين، وشخص يسمى شعبان قيل أنه من أمراء الغز، ومن أجناد المصريين القاضي عماد الدين (١)، ومنهم بوزابه وهو من مماليك تقي الدين (٢)، وابراهيم بن قراتكين المعظمي (٣) نسبة الى الملك المعظم شمس الدولة أخ صلاح الدين(٤)، وقد أُجرى الخليفة المنصور عليهم الرواتب الشهرية لمعيشتهم، في حين ان رجال الدولة الموحدية كانت تصرف لهم هذه الرواتب ثلاث مرات في السنة لوجود موارد أخرى لديهم مثل الاراضي وغيرها تعود عليهم بالاموال الكافية . هذا بالاضافة الى قيام المنصور بمنح بعض أعيان الغز مثل أحمد الحاجب من أهل أربل إقطاعاً كبيراً (٥). وأما شعبان بن كوجبا وهو من غز الموصل وفد على المنصور ومدحه بقصائد عظيمةفحظى بإكرامه وولاه

---

١) المراكشي : المعجب، ص ٢٨٩.
٢) ابو شامه : كتاب الروضتين، ج ٢، ص ٧٠ .
٣) التجاني : رحلة التجاني، ص ١١٢.
٤) الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شادي بن مروان، الملقب فخر الدين، شقيق صلاح الدين، وكان صلاح الدين يحبه ويقدره وأستخلفه بدمشق مدة ثم إنتقل الى مصر، وقد أرسله صلاح الدين على رأس الحملة التي أعدها لفتح اليمن سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ففتح الله على يديه وملك معظمها وتوفى سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م . أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧٣-٢٧٦، ترجمة رقم ١٢٤.
٥) المراكشي : المعجب، ص ٢٨٩

الخليفة إمارة بسطه (١) في الاندلس (٢) . وقد عرف شعبان بشغفه وحبه للأدب، كما منحه الخليفة بعض قرى الاندلس والتي بلغ إيرادها في السنه نحو تسعة آلاف دينار (٣). ومن الغز الداخلين أيضا شجاع الدين بن شكل(٤).

الاتراك الغز والمنصور :

وفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م واصل شرف الدين قراقوش حروبه في إفريقيه (٥)، فاستولى على الحامة القريبة من قابس وخافه أهلها، فخرج اليه أحد مشايخ المدينة ويدعى علي بن عيسى بن شكاب للتفاوض معه، فأرتاب الموحدون في أمره، وخاصة ان العامه في قابس قد قامت بقتل أحد الفقهاء بتهمة مكاتبه شرف الدين قراقوش (٦) . كما قام زين الدين يوزبا في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م بغزو بلاد إفريقيه ولكن لم يلبث أن وقع أسيراً في يد الخليفة الذي أعجب بشجاعته فسيره ضمن الجيوش الموحديه المجاهدة في الاندلس (٧).

في أثناء حصار المنصور لمدينة قفصه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م بعث شرف الدين قراقوش برسولٍ الى الخليفة راغباً الدخول في طاعة الموحدين

---

١) بسطه : مدينة بالاندلس من أعمال جيان . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، م ١، ص ٤٢٢.

٢) المقري : نفح الطيب، م ٣، ص ١٣٣.

٣) المراكشي : المعجب، ص ٢٨٩-٢٩١.

٤) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق ، ص ١٦٧-١٦٨.

٥) راجع حروبه قبل عهد المنصور وتحركاته في التمهيد .

٦) يلاحظ ان قابس هنا في حوزة الموحدين بدليل خوف أهلها من قراقوش الذي قام بالاستيلاء على الحامه القريبة من المدينة (ولعلها حمة مطماطه) ويلاحظ ان قراقوش فشل في دخولها في سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م . أنظر محمد تقي الدين : المصدر السابق، ص ١٦٤، ٢٠٤.

٧) ابوشامه : كتاب الروضتين، ج ٢، ص ٧٠.

ومؤكداً استعداده للمثول بين يدي الخليفة في حالة قبول طلبه (١)، ويحتمل ان الدافع لذلك وقوع أهل شرف الدين في يد المنصور وقت إستيلائه على قابس (٢) كما بعث أبوزيان الغزي أيضاً الى المنصور معلناً دخوله في طاعة الموحدين ومقيماً الدعاء لهم في مدينة طرابلس، ويعد أبوزيان من كبار الغز ذوي الجاه والسلطان وهو في ذلك لا يقل عن شرف الدين قراقوش، وكان أبوزيان مستقلاً باموره عن شرف الدين فأستبد بمدينة طرابلس الى أن أعلن دخوله في طاعة الموحدين (٣).

وأما عن موقف المنصور من الغز بصفة عامة عقب سقوط قفصه في يده ففي رواية عن ذلك مايلي : " ..فأرسل اليه الترك الذين فيها (٤) يطلبون الأمان لأنفسهم ..فأجابهم الى ذلك، وخرج الأتراك سالمين، وسير الاتراك الى الثغور لما رأى من شجاعتهم ونكايتهم في العدو.." (٥) .

وعن موقف المنصور من ابراهيم بن قراتكين أحد زعماء الغز وزميل شرف الدين قراقوش تشير الرواية في هذا الصدد قائلة : " ..سار بجمعه ووقع في خاطره المهاجرة الى بني عبد المؤمن والركوب عندهم فصده أشياخ العرب المخالفون عليهم عن ذلك وحملوه على الانفراد وطلب

---

١) رسائل موحديه : رسالة رقم ٣١، ص ١٩٧-١٩٨.

٢) محمد الرشيد ملين : المنصور ، ص ١٢٤.

٣) رسائل موحديه : رقم ٣١، ص ١٩٧-١٩٨ - الواقع ان المصدر لم يمدنا بمعلومات أكثر تفصيلا عن ابي زيان غير التي اشرنا اليها، بالاضافة الى عدم تحديده لتاريخ إستبداده بطرابلس، ولا عن طريقة دخوله اليها . أنظر أيضا : Miranda, A.H : Historia Almohade, I , p. 336.

٤) المقصود الموجدين في مدينة قفصه .

٥) إبن الأثير : الكامل، م ٣، ص ١٧١-١٧٢.

الرئاسة، وساروا معه الى قفصه، فأستولى على جميع منازلها وأرسل الى بني الرند رؤساء قفصه فمكنوه من البلاد لإنحرافهم عن بني عبد المؤمن وحبهم في الخطبة العباسية التي ألفوها، فدخلها ابراهيم فخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصلاح الدين، وقدّر ان كان قتل ابراهيم المذكور وجملة من أجناده بعد ذلك على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في قفصه .." (١).

وللرد على ذلك تشير رواية معاصرة لهذه الاحداث وخاصة ما هو متعلق منها بالاتراك الغز، ان رغبة ابراهيم بن قراتكين (الدخول) في طاعة بني عبد المؤمن كانت على إثر عودة الخلاف بينه وبين شرف الدين قراقوش في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، وفي هذا الصدد تقول : " ...فما قدر ابراهيم ان يقيم وطلب الأمان وخرج حاجبه جمال الدين وطلب أمانا لإبراهيم فشرط عليه ان يتوجه الى طرابلس ينزل منها في مركب الى الديار المصرية، فتوقف شرف الدين عليه في الأمان وقال : " ما آخذه إلا أسيراً هذا الغادر الماكر فلم يزل الأتراك يسألونه فيه الى أن أعطاه يده وحلف له... أنه لا يضره فخرج في ليلته، ولم يجتمع به وسيره مع ستين فارساً الى مدينة طرابلس فوصلها ودخلها. وكان صاحبها ابن مطروح (عبد المجيد) مطيعاً لإبن عبد المؤمن صاحب المغرب، فلما إجتمع به ابراهيم حسّن له التوجه الى ابن عبد المؤمن وسفرّه في مركب الى تونس وكان فيها والٍ يقال له عبدالواحد فتلقاه ملقى حسناً وأعطاه مالاً كثيراً وجهزه وسّيره الى مراكش ..." (٢)

---

١) التجاني : رحلة التجاني، ص ١١٤.

٢)محمد بن تقي الدين: مضمار الحقائق، ص ٧١-٧٢.

وأما عن العرب الذين ساهموا في منعه من الدخول في طاعة الموحدين فلا نعرف أي شيئ عنهم، إذ لم تحدد الرواية قبائلهم، وما نعرفه عن القبائل المسانده لإبراهيم في حروبه في إفريقيه هي قبيلة زغب حسب ما ذكرته الرواية المعاصره للأحداث (١) .

ونستطيع ان نقول بتوجه إبراهيم للدخول في طاعة بني عبد المؤمن ومسيره الى مراكش، ولكن لا نعلم هل وصلها فعلا وانخرط في خدمة الدولة الموحديه أم لا؟ حيث اننا لم نعثر على أي شيء من اخباره بعد ذلك. او أنه عدل عن رأيه في الدخول في طاعة بني عبد المؤمن أثناء مسيره اليهم وعاد الى مواصلة حروبه في إفريقيه، وهذا أيضا لا نعلم عنه شيئا.وأما توجهه الى قفصه فلم نجد ما يؤيد رواية التجاني . ويحتمل أنه عدل عن الذهاب الى مراكش لتقديم الطاعة للخليفة أبي يعقوب ثم سار الى قفصه وأستولى على منازلها، ولكن لا نوافق التجاني على قوله باتصال إبراهيم ببني الرند لانه لم يرد في أخبار الغز أية معلومات عن إتصالهم ببني الرند، ولا عن إستقبالهم لإبراهيم في قفصه نظراً لقيام بني الرند على الموحدين لحسابهم الشخصي، وقد قضى أبو يعقوب على هذه الثورة سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م وعلى ذلك نستطيع القول بعدم صحة ما أورده التجاني عن اتصال إبراهيم بن قراتكين ببني الرند، وهناك احتمال بأن يكون إبراهيم قد دخل قفصه خلال سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م عندما خرجت عن طاعة الموحدين، وجعلها بنو غانيه حصناً ومركزاً لهم حيث نلاحظ أن هذه المدينة ظلت في طاعة الموحدين منذ قضى أبو يعقوب على ثورة بني الرند فيها سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م حتى خرجت عن طاعتهم بدخول بني غانيه وأتباعهم اليها.

---

١)نفس المؤلف والمصدر السابق، ص ٣٥- ابن خلدون: العبر،م٦، ص ٧٢.

وأما فيما يتعلق بقضية قتل إبراهيم بن قراتكين على يد المنصور فأمر غير صحيح، لأن المنصور عقب إستيلائه على قفصه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م لم يقم بقتل الاغزاز أبداً بل أمنهم على أنفسهم، وتشير الرواية الى ذلك قائلة : " ...واندرج هذا التأمين على الاغزاز واتباعهم وجميعهم وجميع أهل قفصه وكافتهم وعامة من كان معهم من قبائلهم وأهل باديتهم ..." (١).

ولكل ماسبق فنحن لا نستطيع قبول ما أورده التجاني عن إبراهيم بن قراتكين وموقف المنصور منه لعدم صحة ماذكره، وذلك راجع الى وجود مصادر معاصره لهذه الاحداث أمدتنا بتفاصيل أدق عن تلك الفترة (٢)، بالاضافة الى ان المنصور إن كان قد قتل إبراهيم على حسب قول التجاني، فلماذا لم يقم بقتل شرف الدين أيضاً عقاباً له على إثارته القلاقل والاضطرابات في إفريقيه منذ دخول الغز اليها، ثم ما أعقب ذلك من إتحاده مع بني غانيه ضد المنصور، وأما عن إقامة إبراهيم بن قراتكين الخطبة للعباسيين فليس لدينا من النصوص التاريخية ما يثبت ذلك، وإن كانت إقامته الخطبة لصلاح الدين أمراً محتملاً.

---

١) رسائل موحديه : رسالة رقم ٣٢، ص ٢٠٧ - وأنظر أيضا النويري : نهاية الأرب، ج ٢٤، ص ٣٣٠.

٢) أشارت هذه المصادر الى أن الخليفة استفاد من شجاعتهم في الجهاد ضد النصارى . أنظر إبن الأثير : الكامل، م ٩، ص١٧١-١٧٢ - أبوشامه : كتاب الروضتين، ج ٢، ص ٧٠.

علاقة شرف الدين قراقوش ببني غانيه :

أولا : في عهد علي بن غانيه :

في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م علم بنو غانيه بوجود شرف الدين على الحامه، فبعثوا اليه برسول قائلين له : " إننا قوم من بني العباس ونريد دولتهم ونحن نريد أن نكون وإياك مجتمعين "(١) فأرسل اليهم شرف الدين قراقوش برسوله بهاء الدين ساروج ومعه ستون فارساً فلقيهم على حامة البهاليل (٢) يحاصرونها، وقد فشلوا في الإستيلاء على توزر ونفطه وكدكين. فلما قدم الاتراك اليهم استطاعوا الاستيلاء على الحامه المذكورة ونهبوا وقتلوا الفاً وسبعمائة رجل فيها، ثم أُنعقد الصلح مع قراقوش على إقتسام البلاد مناصفة بينهما، فيكون لقراقوش الجزء الواقع شرق بونة(٣)، وأما غربيها فمن نصيب بني غانيه، ومايكون من فتوحات بعد ذلك هي مناصفة بين الإثنين. وأخذرافي الانتقال من موضع الى موضع وأعوان قراقوش في إزدياد نتيجة مايصله من معونه ومدد من جبل نفوسه (٤) ومطماطه (٥) وبلاد نغزاوه وغيرها (٦). وفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م كانت

---

١) المقصود انهم ينتمون لبني العباس وهدفهم إحياء الدولة المرابطيه والدعاء للعباسيين . أنظر محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق، ص ٢٢٩.

٢) هي من بلاد قسطيلية تعرف بحامة بني بهلول، وهم من سادات بلاد قسطيلية بل أغنى من فيها، وهم من بقايا الروم الذين اسلموا على أموالهم واشتهروا بكرم الضيافة. ولهذه المدينة حصن يسمونه القصر وهو مختص ببني بهلول وحاشيتهم. لها أرباض واسعه يسكنها الناس وتميزت بكثرة التمر والزيتون وجميع الفواكه ... أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١٥٧.

٣) بونة : مدينة بافريقية بين مرس الخرز وجزيرة بني مزغناي، وتميزت بالحصانة وكثرة الفواكه والبساتين، وبها معدن الحديد وهي على البحر...أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،م ١، ص ٥١٢.

٤) جبل نفوسه : طوله من المشرق الى المغرب ستة أيام ويقع على بعد ستة أيام من القيروان وفيه مدن كثيرة ... أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١٤٤.

ويلاحظ ان موطن قبائل نفوسه بجهات طرابلس وما اليها وهناك الجبل المعروف بهم وهم على ثلاثة مراحل من قبله طرابلس يسكنه اليوم بقاياهم ... ابن خلدون : العبر، م٦، ص ١١٤.

٥) ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ١٢٣.

٦) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق، ص ٢٢٩-٢٣٠.

هزيمة بني غانيه وأحلافهم من الغز في حمة مطماطة وفر علي بن غانيه وقراقوش من المعركة، بينما تحصن بقية جنده وأصحابه في مدينة قابس والتي إستولى المنصور عليها فيما بعد، واخرج من فيها من الغز (١) ثم اتبع ذلك بالاستيلاء على بلاد الجريد وقفصه وتخلصه من رجال بني غانيه وتأمينه للغز (٢). وفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م وأصل على بن غانيه وقراقوش الإغارة على بلاد الجريد (٣)، وفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م علم المنصور بنبأ تحركات على بن غانيه وحليفه قراقوش (٤)، وعلى إثر وفاة على بن غانيه سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م (٥)، دخل شرف الدين قراقوش في طاعة الموحدين حيث نزل ضيفاً خلال سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م على السيد أبي زيد بن أبي حفص حاكم تونس (٦).

---

١) رسائل موحديه : رقم ٣٠، ص ١٨٩-١٩٠.

٢) رسائل موحديه : رقم ٣٠، ص ١٩٥-١٩٦، ورسالة رقم ٣٢، ص ٢٠٦ -٢٠٧ .

٣) ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ١٩٣.

٤) ابن ابي زرع : الانيس المطرب، ص ٢١٨-٢١٩- الواقع انه ما بين سنة ٥٨٣-٥٨٥هـ/١١٨٧-١١٨٩م هناك نقص شديد او حلقة مفقوده في المعلومات التاريخية الخاصة بقراقوش والموحدين وعلاقته ببني غانيه في إفريقيه في هذه الفترة ٥) مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١١١- إتوري روسّي : ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م، ص ٩٣.

٦) التجاني : رحلة التجاني، ص ١٠٤ - ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ١٩٣.

شرف الدين قراقوش ويحيى بن غانيه :

وعقب تسلم يحيى بن غانيه قيادة الثورة ضد الموحدين طرأت بعض التغيرات على علاقة قراقوش ويحيى بن غانيه، إذ أدرك شرف الدين مطامع يحيى بن غانيه ورغبته في الإنفراد بملك إفريقيه وعدم قبوله وجود منافسين له في هذا الميدان، فكان ذلك دافعاً لقراقوش في الالتحاق بخدمة الموحدين خوفاً من غدر يحيى بن غانيه ولعله يصل الى تحقيق شيء من أهدافه ومطامعه بواسطتهم فحرص كثيراً على كسب ود الخليفة المنصور بتقديم ما يستطيع من خدمات ومنها على سبيل المثال مطاردته ليحيى بن غانيه خلال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م(١) .

بعد خروج شرف الدين قراقوش على طاعة الموحدين وإستيلائه على طرابلس وقابس ومعظم بلاد الجريد، كان من الطبيعي ان يقع النزاع بينه وبين يحيى بن غانيه لمنافسة كل منهما للآخر في الإنفراد بالملك والسلطان في المغرب (٢)، فقامت الحرب بين الإثنين، فسار يحيى بن غانيه لمحاربة شرف الدين قراقوش الذي ترك على طرابلس نائبه ياقوت الافتخار وتوجه للقاء يحيى، حيث التقى الاثنان بموضع يعرف بمحسن وهو وادي الهَيْرة (٣)، فحلت الهزيمة بقراقوش ففر هارباً الى الجبال ثم الى الصحراء حتى انتهى

---

١) مؤلف مجهول : الاستبصار، ص ١١٢.

٢) ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ١٩٣.

٣) الهَيْرة: بفتح الهاء وسكون الياء الأرض السهلة، ومن هذا المعنى أخذ اسم وادي الهَيْرة لأنه يفيض في أرض سهلة منبسطه، وعلى هذا فيقرأ بفتح الهاء وسكون الياء المثناه من تحت، من أراضي ورشفانة غربي العزيزيه وشماليها ...أنظر الطاهر أحمد الزاوي: ولاة طرابلس، ص١٠٥.

حاشيه رقم (٣).

به المطاف أخيرا في ودان (١).

وقد ذكر هذه الموقعة عبد البر بن فرسان كاتب الميورقي فقال :

ألا لا سقى الرحمن محسن قطرة   ولا زال مغبّر الجوانب محسنُ

وخيب قطيساً من الغيث كلّه   ولا ابتلَّ فيه للركائب فرسنُ(٢)

وقد طارد يحيى بن غانيه شرف الدين قراقوش محاولاً الامساك به، ولكنه فشل في ذلك وعاد الى طرابلس للإستيلاء عليها فحاصرها، وأحسن ياقوت الإفتخار (٣) الدفاع عنها والصمود في وجه يحيى بن غانيه مما أضطر يحيى الى الإستنجاد بأخيه عبد الله حاكم ميورقه لمساعدته في ذلك،فأرسل اليه عبد الله قطعتين من الأسطول حاصرت المدينه بحراً وضيق عليها ابن غانيه براً حتى وقعت في يده وقبض على ياقوت الافتخار وسيره الى ميورقه اسيراً والتي مكث فيها حتى استيلاء الموحدين عليها سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، فرحل الى مراكش حيث توفى هناك (٤).

قام يحيى بن غانيه بتنظيم أمور طرابلس وجعل عليها ابن عمه تاشفين الغاني (٥).وكان شرف الدين قراقوش قد إستولى على أم أدوت (٦) بإستسلام أهلها له بعد إنتهاء مالديهم من الماء،وظلت في يده حتى وقعت

---

١) ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ١٩٣- إتوري روسّي : تاريخ ليبيا ، ص ٩٣.

٢) التجاني : رحلة التجاني، ص ٢٤٤.

٣) عن ياقوت أنظر الطاهر الزاوي : ولاة طرابلس، ص ١٠٦.

٤) التجاني : رحلة التجاني، ص ٢٤٤.

٥) تاشفين الغاني او تاشفين بن غازي وقد جعله يحيى نائبا عنه في طرابلس فظل بها مدة من الزمن ثم ثار عليه أهلها فأخرجوه منها وعادت المدينه الى طاعة الموحدين . أنظر التجاني : رحلة التجاني، ص ٢٤٥ - عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا ، ص ٣٨٠.

٦) أم أدوت قلعه في إفريقيه .

في يد الميورقي وفي هذا الصدد تشير الرواية قائلة : " ...ونزل على قلعه يقال لها أم أدوت ...فأخذ القلعه ومافيها ...وجعل بها نائباً، ولم تزل في يده الى أن أخذها من نائبه المايرقي ... وأخذها المايرقي بالعطش أيضاً إلا أن المايرقي مارتب فيها أحداً بل تركها لأهلها الأولين " (١).

ونستدل من النص السابق أن المقصود بالمايرقي الذي أخذ القلعه من نائب قراقوش هو يحيى بن غانيه لأنه هو الذي كان على خلاف مع شرف الدين، إذ أننا لم نعثر على مايشير الى وجود خلافات سابقة بين قراقوش وعلى بن غانيه .

ساريحيى بن غانيه للإستيلاء على قابس حيث فر منها نائب شرف الدين قراقوش، فعادت الى حوزة الموحدين، وكان والي تونس الشيخ أبو سعيد بن ابي حفص قد سير اليها والياً من قبله وهو ابن تافراجين (٢) . وبعد دخول قابس في طاعة يحيى عاد مرة أخرى لمطارة شرف الدين قراقوش، فتمكن بعد جهد طويل من حصاره في ودان وأسره مع إبنه، وقد إشترط قراقوش على يحيى قتله قبل ابنـــه فتم له ما أراد ثم صلبه يحيى بظاهر ودان سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م (٣).

<u>نظرة عامه على أحوال شرف الدين قراقوش في المغرب</u> :-

وبعد كل ما اوردته عن شرف الدين قراقوش ووجوده في المغرب، تظل هناك نقطة جديرة بالمناقشة، الهدف منها إبراز حقيقة علميه إختلفت فيها وجهات النظر بين كتاب المصادر والمراجع، وسنحاول من خلال النصوص

---

١) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق، ص ١٦٦.

٢) التجاني : رحلة التجاني، ص ١٠٥.

٣) التجاني : المصدر السابق، ص ١١٠- ابن خلدون : العبر، م ٦، ص ١٩٣.

المتوفرة لدينا تتبعها وإظهار ما يترتب عليها من وقائع تاريخية قد تكون مجرد إحتمال حسب تصورنا من خلال تلك النصوص، وقد تكون حقيقة مؤكدة، ولكن مع ذلك تظل مجرد إحتمالات حتى نعثر على ما يؤكدها ويدّعمها أو ينفيها من وثائق ومصادر منشورة.

والواقع يتبادر الى ذهني حول تلك الحقائق عدد من الأسئلة هي الآتي :

أولا: ماهي حقيقة موقف شرف الدين قراقوش من المنصور عقب موقعة حمة مطماطه؟ وهل دخل في طاعته فعلاً كما تشير الرسائل الموحدية الى ذلك؟ أم إكتفى فقط بمجرد طلب الدخول في طاعة الخليفة، ثم صرف نظره عن ذلك . وهل واصل مغامراته في إفريقيه مع علي بن غانيه؟.

ثانياً : متى كان دخول شرف الدين قراقوش فعلاً في طاعة المنصور؟ وهل إلتزم بالطاعة؟ وما هي الخدمات التي قدمها للموحدين في هذه الفترة؟

ثالثاً: متى كان خروج شرف الدين قراقوش على طاعة المنصور؟وما الدافع وراء تصرفه هذا؟ ثم ماهي قصة تحالفه مع يحيى بن غانيه؟ وما هو سر الخلاف بين الأثنين؟ ومتى كان ذلك؟

رابعاً: ماهي حقيقة موقف شرف الدين قراقوش مع مدينة طرابلس؟ وما هو التوقيت الصحيح لدخوله هذه لمدينة؟ وهل دخلها مرتين أو مرة واحدة؟ وما هو وضع مدينة قابس معه، ومتى كان موجوداً فيها أيضاً؟

خامساً: ما هو وقت وقوع طرابلس وقابس في يد يحيى بن غانيه، وإستيلاؤه عليها بالقوة من شرف الدين قراقوش؟ وما هي حقيقة الصراع بين الاثنين؟

للإجابة على كل ذلك هناك عدد من النصوص التاريخية نقوم بعرضها أولاً لنعرف من خلالها الإجابة على ما سبق وذكرناه من أسئلة.

يقول النص الاول عن شرف الدين قراقوش عقب حمة مطماطه سنة

٥٨٣هـ/١١٨٧م، وأثناء قيام المنصور الموحدي بحصار مدينة قفصه ما يلي: " ...وأستمر بالموحدين ...سيرهم ...الى قفصه ...وفي يوم الحلول به وصل خطاب قراقوش وأرساله راغباً في التوحيد خاضعاً مادا يد الإستكانه الى هذا الامر السعيد ضارعاً معلماً أنه إن قبلت توبته وأجيبت رغبته جاء الى الموحدين ...مطيعاً سامعاً" (١).

ويشير النص الثاني بعد ذلك في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م عن قراقوش وابن غانيه قائلا: " ...ورجع ابن غانيه وقراقش الى حالهما من الأجلاب على بلاد الجريد ...سنة أربع وثمانين ..." (٢)

ويذكر النص الثالث في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م قائلاً : " ...وفي سنة خمس وثمانين ...فتواترت له الأخبار أن الميورقي قد ظهر في إفريقيه مع قراقوش " (٣)

ويحدد النص الرابع وفاة علي بن غانيه قائلاً : " ...ومات ...برشقة سهم على توزر...عقب سنة ٥٨٤هـ/١١٨٩م" (٤).

ويشير النص الخامس عن قراقوش وابن غانيه قائلاً: "...الى أن هلك ...الميورقي وأناب قراقوش الى حزب التوحيد فغلب على طرابلس وأخرج منها المستولي عليها أبازبا الفارسي وهو ثائر الزاب ..." ثم يستمر بعد ذلك قائلاً: "...فأخرجه منها وبعثه مقيداً فحل بحضرة مراكش سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ..." (٥).

---

١) رسائل موحديه: رسالة رقم ٣١، ص ١٩٧-١٩٨. انظر خريطه رقم (٣)
٢) ابن خلدون: العبر، م ٦، ص ١٩٣.
٣) ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢١٨-٢١٩.
٤) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٣١.
٥) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١١١.

وأما عن وقت دخول شرف الدين قراقوش في طاعة المنصور يذكر النص السادس هذا الأمر قائلاً: "...ثم نزع قراقش الى طاعة الموحدين سنة سته وثمانين فهاجر اليهم بتونس وتقبله السيد أبوزيد بن ابي حفص بن عبد المؤمن ..." (١)

ويشيد النص السابع بهدوء أحوال إفريقيه وسكونها خلال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م بقوله: "...ونحن الآن في شهر رجب الفرد سنة ٥٨٧هـ...وكلمة التوحيد والهداية في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس الى مدينة غانه وكوكو..." (٢).

وأيضاً النص الثامن يشير الى أحوال إفريقيه خلال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م والى الخلاف بين يحيى بن غانيه وشرف الدين قراقوش وحروبهما قائلا: "...وبإفريقيه في هذا العام...من أبناء الامام الخليفة وحفدته السادات النجباء...ماتمهدت به اكنافها وعمرت لهم اوساطها وأطرافها ولكن الشقي يحيى بن اسحاق، صنو الشقي علي متوغل في صحاريها، وقراقش متصيد له متوثب عليه ..." (٣).

وأيضا في نفس العام ٥٨٧هـ/١١٩١م يشير النص التاسع الى رجوع المنصور من إفريقيه الى تلمسان قائلاً: "...في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائه...وفي هذا الشهر رجع المنصور من إفريقيه فدخل مدينة تلمسان فأقام بها الى آخر سنة سبع المذكورة ..." (٤).

---

١) ابن خلدون: العبر، م ٦، ص ١٩٣- ابن غلبون: التذكار، ص ٦٢.
٢) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١١١.
٣) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١١٢.
٤) ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢١٩.

وعن أمر تحالف شرف الدين قراقوش ويحيى بن غانيه يحدثنا النص العاشر قائلاً:"...قام بالامر أخوه يحيى بن إسحاق بن محمد بن غانيه وجرى في مظاهرة قراقش وموالاته على سنن أخيه علي..." (١).

ويحدثنا النص الحادي عشر عن الخلاف بين يحيى بن غانيه وقراقوش قائلاً : " ...ثم فسد ما بينه وبين يحيى بن غانيه، وسار اليه يحيى فانتهز قراقش ولحق بالجبال وتوغل فيها ثم فر الى الصحراء ونزل ودّان ..."(٢).

وفي النص الثاني عشر وحول وجود شرف الدين قراقوش في طرابلس يحدثنا في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م " ...وكان صاحبها ابن مطروح (عبد المجيد) مطيعاً لابن عبد المؤمن صاحب المغرب ..." (٣).

وعن شرف الدين قراقوش وطرابلس يشير النص الثالث عشر في هذا الصدد خلال سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م قائلاً: "...ان قراقوش ..قصد طرابلس أو [حاصرها] وضيق عليها وكان شيخها عبد المجيد بن مطروح قد راسل قراقوش وطلب منه الأمان وسأله أن ينفذ اليه قوماً يقرر معهم أمر التسليم فانفذ اليه وزيره وثلاثة من وجوه أصحابه فأخذهم عبد المجيد وأنزلهم في دار أخلاها لهم وأمرلهم بجميع ما يحتاجون اليه فلما خلا لهم الليل أخذوا المخاد وتصافعوا بها حتى قطعوها وقام بعضهم الى صهريج مملوء ماءً للشرب فأحدث فيه فأخبرت الرقباء عبد المجيد بما كان منهم فأحضر وجوه البلد وقص عليهم ما كان منهم وقال: إذا كان هؤلاء خيارهم فما ظنكم بشرارهم. وكان أهل البلد قد أشاروا على عبد المجيد فامتنعوا حينئذ. وحضر ابن

---

١) ابن خلدون: العبر، م ٦، ص ١٩٣.

٢) ابن خلدون : العبر ، م٦ ، ص ١٩٣ - ويلاحظ أن الطاهر أحمد الزاوي : تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ص ٢١٧ - قد أشار الى وقوع الخلاف بين الإثنين ولكن لم يحدد السنة التي حدث فيها ذلك.

٣) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق ، ص٧٢.

مطروح من الغد اليهم الى الدار ومعه وجوه البلد فقال لصاحب ضيافته: لم أحضرت لهؤلاء السادة مخاد مقطعه؟ فقال: ما أحضرت لهم إلا مخاد جدداً ولكن القوم أكلوا طعام الصوفيه الذي لا نعرفه في بلادنا فأستحى القوم وعلموا أنهم قد فطنوا بحالهم. ونزل رجل الى الصهريج فرأى العذرة على وجه الماء فقال: من فعل ؟ فلم يرد واحد منهم جواباً ، فقال ابن مطروح : ياقوم ما أدخلناكم إلينا إلا عازمين على تسليم البلد إليكم وأن نكون لكم رعايا وقد شاهدنا منكم أفعالاً ما نرضاها. فإن قلتم إن هذا الفعلة من غلماننا وعبيدنا فما أقبح هذه الأحدوثة عن خيار أصحاب هذا الرجل، وإن كان عنده من هو خير منكم فلم بعثكم إلينا. هذا طعن في عقله. ثم أمر بإخراجهم فأخرجوا من المدينة، فلما صاروا الى قراقوش وعلم القصة عظم عليه الأمر وأراد الفتك بهم، وعلم أنهم قد فتقوا عليهم فتقاً لا يمكنه رقعه ابداً وتيقن انه لا يملك البلد أبداً وأنفذ عبد المجيد الى قراقوش إنك لست بقادر على أخذ هذه البلد لأجل ما نفّر أصحابك أهله. فإن رأيت أن نجعل لك جعالة نحملها اليك في كل سنة وترحل عنا فعلنا، فأجاب الى ذلك ورحل عنهم بعد أن إحتوى عليهم .." (١).

ويحدثنا النص الرابع عشر عن هذه المدينة في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م بما يلي: إنه (أي التجاني) رأى بنفسه توقيع شرف الدين قراقوش على ظهير لبعض أهل طرابلس: "...وقفت على ظهير بتوسيع أملاك لبعض أهل طرابلس ..وتاريخ الظهير عام تسع وسبعين .." (٢).

---

(١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٨

(٢) التجاني : رحلة التجاني ، ص ١١٤.

أما النص الخامس عشر حول مدينة طرابلس في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م الآتي : " ...أبوزيان ...هو زعيم من زعماء الاغزاز يضاهي قراقوش في قدره ويقاسمه في أمره وكان قد إنتبذ عنه أنفة من مشاركته وعزماً على مصارمته ومتاركته وأستبد بطرابلس ...ونواحيها وأظهر دعوة التوحيد فيها وصارت ...هذه البلاد كلها الى معهودها من الطاعة ..." (١).

وفي هذا الصدد يشير النص السادس عشر قائلا : "...أبوزبا ...نكث وأستبد بطرابلس حتى أناب قراقوش وصح توحيده فأخرجه منها وبعثه مقيداً فحل بحضرة مراكش سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ونحن الآن في شهر رجب الفرد سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وكلمة التوحيد والهداية في بلاد الصحراء متصلة من طرابلس الى مدينة غانا وكوكو ..." (٢).

وبخصوص مدينة قابس يشير النص السابع عشر عنها قائلاً: "...وفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م ...سار شرف الدين من جبل نفوسه الى قابس ...وأعتقد أنه يقابض قابس أو يهجمها فلما وصلها لم يقدر على ذلك ..." (٣).

ويشير النص الثامن عشر بخصوص قابس وقراقوش سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م بما يلي: "...واضطرب أهل قابس بأخذ الحامه لأنها قريبة منها وخرج اليه علي بن عيسى بن شكاب وهو من كبار مشايخ قابس إتهمه الموحدون بأنه يكاتب قراقوش وكان بها فقيـه كبير يقال له "ابن نزار قتله

---

(١) رسائل موحديه : رسالة رقم ٣١ ، ص ١٩٧-١٩٨.
(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١١١.
(٣) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق ، ص ١٦٤.

أهل قابس لإعتقادهم أنه كاتب قراقوش فثارت به العوام وحصروه في داره وقتل بها ..." (١).

ويضيف النص التاسع عشر على ذلك : "...وتغلب على قابس بعد خلوصها للموحدين شرف الدين قراقوش ..." (٢).

وفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وبعد هزيمة حمة مطماطه وفرار شرف الدين قراقوش وعلي بن غانيه وسير المنصور الى قابس للإستيلاء عليها يشير النص العشرون الى ذلك قائلاً : "..خرج أهلها راغبين في الأمن والأمان معلنين بكلمة التوحيد والايمان متطلبين لعوائد هذا الامر العظيم في العفو والاحسان فشملهم من الرفق والامان ما أقر قرارهم وعمر بالسكون والهدوء ديارهم واستقبلوا في ظل الدعة والعدل أيامهم المستجدة وأعمارهم وكان بقابس بنو الشقي وأهله وجملة ما قمّشه انتهابه وضمه حيله ومعهم جماعة من أوباشه الذين يعتمد عليهم ولايثق بأهله وولده وماله إلا اليهم فتحصنوا بقصبة (٣) بها منيعة الجوانب سامية المراقب

---

(١) محمد بن تقي الدين : المصدر السابق ، ص ٢٠٤.

(٢) التجاني : رحلة التجاني ، ص١٠٣.

(٣) المقصود بها هنا إمتناع أهل شرف الدين بقصر العروسين، وبعدها استسلموا للمنصور حيث نقلهم الى مراكش. وهذا القصر موجود في قصبة قابس وهو من بناء بني جامع الهلاليين إذ شيده أحد حكامهم وهو رشيد بن مدافع بن جامع، وقد وجد نقش على أحد أبوابه يشير الى ان هذا الباب من بناء الامير رافع بن مكي بن كامل بن جامع سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م. وقيل عن بعض اهلها ان صنهاجه هي التي بدأت بناءه ثم اتمه بنو جامع الهلاليين. أنظر التجاني: رحلة التجاني ،ص٩٥، ١٠٣-١٠٤.

مستصعبة على المنازل لها والمحارب وأجمعوا على الاستماته فيها فاحدقت بهم اجناد الله من جميع جهاتها ونواحيها واستنزلوا فيها على الأمن في رقابهم واستصفاء كافة اموالهم وأسلابهم واسترقاق نسائهم وأبنائهم وعيال من شهد الوقيعة من مقتولهم وهرّابهم وحصل...بنوه وماله غنماً لاولياء الله ونفلاً وملكاً لطائفة الحق وخولا ..."(١).

ثم عن عودة هذه المدينة مرة أخرى الى طاعة شرف الدين حيث دخلها بعد خروجه على طاعة الموحدين فيحدثنا النص/الحادي والعشرون قائلا : "...ولحق قراقش ...بالمنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فأقام زماناً تحت كرامته ثم إنصرف عنها فاراً فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم ..." (٢).

بعد هذا العرض للنصوص السابقة والتي أشارت الى أوضاع شرف الدين قراقوش في إفريقيه نحاول إعطاء صورة موضحة لتلك الأحداث قدر المستطاع لكي نصل من خلالها الى إجابات لما سبق وطرحناه من أسئلة.

بعد هزيمة الخليفة المنصور لشرف الدين قراقوش وبني غانيه وأثناء حصاره لمدينة قفصه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م بعث قراقوش اليه راغباً الدخول في طاعة الموحدين، ولكن مع الاسف لا تمدنا المصادر بما يثبت ذلك أو ينفيه، والظاهر ان شرف الدين إكتفى بإظهار تلك الرغبة ولم يقم بتنفيذها فعلاً، ويحتمل ان خوفه من المنصور الذي تمكن بحزمه من السيطرة على الاوضاع في المدن الافريقية دفعه لمهادنة الخليفة بإظهار الطاعة ولو إسمياً ريثما

---

(١) رسائل موحدية : رسالة رقم ٣١ ، ص ١٨٨-١٩٠.

(٢) ابن غلبون: التذكار ، ص ٦٢.

تتوفر له القوة الكافية للعودة مرة أخرى الى مغامراته. بالإضافة الى فشل أحلافه من بني غانيه امام المنصور وهروبهم الى الصحراء. ومما يؤكد هذا الاحتمال عودته مرة أخرى مع أحلافه من بني غانيه سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م (١) الى إثارة القلاقل والاضطرابات في بلاد الجريد عقب عودة المنصور الى مراكش، كما أن استمرارهم على ذلك خلال سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ومتابعة الخليفة المنصور لأخبارهم مع عدم خروجه اليهم بجيش كبير كما حدث في المرة السابقة في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م دلالة على عدم خطورة قوتهم بالاضافة الى إستعداد الخليفة للعبور الى الاندلس مجاهداً ضد النصارى الاسبان.

ثم كانت الضربة التاليه لشرف الدين قراقوش ولبني غانيه بوفاة علي بن غانيه زعيم ثورتهم أثناء محاولته إثارة الاضطرابات في بلاد الجريد سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م فعاد الهدوء مرة أخرى الى المنطقة.

وكانت هذه الضربة لشرف الدين قراقوش ذات أثر كبير في تحول هام جعله في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م يقدم على الدخول في طاعة الموحدين مؤقتاً، ريثما تتهيأ له الظروف المناسبة لتحقيق أحلامه. فهزيمته مع أحلافه امام المنصور سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وتشديد الموحدين لسيطرتهم على إفريقيه ومعاقبة الخليفة للعناصر المواليه لشرف الدين وبني غانيه، وخوف أهل إفريقيه من عقاب المنصور فيما لو حاولوا مساندة هذين الثائرين قراقوش ويحيى بن غانيه. بالاضافة الى وقوع أهل قراقوش في قبضة المنصور (٢)، وخلافه مع يحيى بن غانيه إذ كان يخشى قوة يحيى

---

(١) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ١٩٣.

(٢) العيني : عقد الجمان ، ورقه ٥٠.

واستقطابه لقوى العرب والملثمين الذين فضلوا الانضواء تحت لوائه بإعتباره من نسل المرابطين وسعى يحيى للانفراد بملك إفريقيه (١)، فلهذا فقد أدى كل ذلك الى إنهيار أحلام شرف الدين في تشييد ملك له في إفريقيه. ومن ثم أصبح لزاماً عليه إتخاذ هذه الخطوة والإسراع في الدخول في طاعة الموحدين.

ولما استقر عزم شرف الدين على الدخول في طاعة الموحدين توجه الى تونس، حيث أقام عند واليها السيد أبوزيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن فأحسن اليه، والتزم شرف الدين الهدوء وحسن الطاعة للموحدين، في حين كان الخليفة المنصور مجاهداً ضد النصارى الأسبان في الاندلس. وإنتهز شرف الدين قراقوش هذه الفرصة بتقديم خدماته للدولة الموحديه ولتأكيد حسن ولائه للخليفة، قام بإخضاع أبي زبا الفارسي المستبد بطرابلس وسيره الى مراكش سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، وقد يكون الدافع لذلك ان تتحقق له فرصة سانحة - إذا ما وفق في القضاء على هذا الثائر - لكسب رضا الخليفة فيعهد اليه بحكم مدينة أو ثغر ينطلق منها لتحقيق أحلامه وأهدافه في إفريقيه.

وقد إستمرت الاحوال هادئة في المغرب الأدني خلال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م مما يدل على إلتزام قراقوش الفعلي بطاعة الموحدين وخدمتهم على الرغم من مواصلة يحيى بن غانيه قيادة الثورة ضد الموحدين في إفريقيه، ويلاحظ من خلال النصوص السابقة ان شرف الدين لم يكتف باخضاع ثائر الزاب لحساب الموحدين، بل وطارد يحيى بن غانيه أيضاً

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي: تاريخ ليبيا، ص ٣٧٩-٣٨٠.

والهارب الى الصحراء وهذه سياسة بني غانيه في الفرار من مواجهة الموحدين في حالة ضعفهم، أو عدم الرغبة في أية لقاءات حربية فاصلة مع المنصور حفاظاً على قواهم، الى أن تسمح لهم الفرصة بالعودة الى مباغتة المناطق التي في حوزة الموحدين والانقضاض عليها ، ثم الإسراع بالفرار الى الصحراء للإحتماء بها.

يضاف الى أسباب هروب يحيى بن غانيه الى الصحراء قدوم الخليفة المنصور الى إفريقيه لتفقد أحوالها، ولكنه لم يلبث أن غادرها عقب إطمئنانه عليها عائداً الى تلمسان حيث مكث بها الى آخر سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. ومعنى ذلك أن شرف الدين قراقوش دخل في طاعة الموحدين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م والتزم بها فعلاً حتى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وأخضع لهم ثائر الزاب وطارد يحيى بن غانيه أثناء ذلك. وعلى ضوء ماأشرت اليه نستبعد قبول فكرة خروج شرف الدين على طاعة الموحدين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م (١).

وأما فيما يتعلق بتحالفه مع بني غانيه فنلاحظ ان علي بن غانيه حاول في البداية توحيد جهوده مع كل الخارجين عن طاعة الموحدين في سبيل الوصول الى أهدافه والقضاء على الدولة الموحديه وإحياء الدولة المرابطية، ولذلك لم يرغب في وجود أي عداء بينه وبين شرف الدين قراقوش، فأستمرت العلاقة بين الاثنين حتى وفاة علي بن غانيه سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م.

---

(١) عبد اللطيف البرغوثي : تاريخ ليبيا ، ص ٣٧٩. (أشار المرجع المذكور الى دخول شرف الدين في طاعة الموحدين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وأنه لم يبق معهم سوى بضعة أيام ثم فر عنهم).

ويبدو ان أطماع يحيى بن غانيه كانت أكبر من أطماع أخيه علي، إذ لم يكتف بالقضاء على الموحدين وإحياء دولة المرابطين، بل طمع في الانفراد بالملك والسلطان في إفريقيه ودون أية منافسة من أحد ووصولاً لذلك عمل في البداية على التحالف مع شرف الدين قراقوش حتى اذا تم له ما أراد قام بالتخلص منه على أثر ذلك، ولكن شرف الدين كان يدرك أطماع يحيى بن غانيه وأهدافه وخصوصاً بعد تقرب العباسيين اليه وتجمع القبائل العربية المعادية للموحدين تحت لوائه، بالاضافة الى وجود أسرة شرف الدين في قبضة المنصور، مما جعله يفضل الدخول في طاعة الموحدين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ريثما تتهيأ له الفرصة المناسبة لتحقيق أحلامه، بل إن شرف الدين وهو في طاعة الموحدين لم ينس هدف يحيى بن غانيه ورغبته في التخلص منه بعد تحقيق أهدافه، ولهذا لم يدع قراقوش هذه الفرصة تفلت منه وانتهزها في النيل من خصمه ومطاردته خلال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، ومن ثم فنحن نستبعد فكرة حدوث الخلاف بين الاثنين بعد خروج شرف الدين على الموحدين(١). لأنه لو إتفق الخصمان في وجهات النظر والاهداف لما كان شرف الدين في حاجة الى ترك يحيى بن غانيه والدخول في طاعة الموحدين ثم إنتظاره الفرصة المناسبة للقضاء عليه بعد ذلك وبعد خروج شرف الدين قراقوش على طاعة الموحدين حاول الإستقلال بقابس وطرابلس لتحقيق حلمه في إقامة ملك له في إفريقيه ولكي يتحقق له ثانية الإنتقام من يحيى بن غانيه.

---

(١) إتوري رُوسّي: ليبيا ، ص ٩٣. (أشار الى حدوث العداء بين الإثنين عقب فرار شرف الدين من طاعة الموحدين)

وعلى ضوء ما سبق نستطيع ان نضع إحتمال خروج شرف الدين قراقوش على طاعة الموحدين عقب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ونقول بذلك الاحتمال نظراً لعدم عثورنا على أية نصوص تحدد لنا التوقيت الزمني الصحيح لخروج شرف الدين عن طاعة الموحدين، فكل ما تقف عنده النصوص المعاصرة للأحداث هو سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م عند صاحب الاستبصار، ثم ماذكر عن تحركات بني غانيه وإشتداد أمرهم في إفريقيه خلال سنة ٥٩٠هـ/١١٩٧م (١) مما دفع الخليفة المنصور الى التأهب للخروج إليهم. وعندما فشل شرف الدين في تحقيق أحلامه عن طريق الموحدين قرر العودة الى مغامراته والخروج عن طاعة الموحدين.

وأما عن وضع شرف الدين قراقوش ومدينة طرابلس، فمن خلال النصوص التاريخية التي سبق الإشارة إليها (٢)، فإن النص الذي نقلته عن محمد بن تقي الدين يظهر أن طرابلس كانت في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م في طاعة الموحدين (٣)، وحاكمها هو أحد أفراد أسرة بني مطروح ويدعى عبدالمجيد، وقد حاول شرف الدين الإستيلاء على طرابلس سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م غير أن جهوده في هذا الصدد فشلت بسبب سوء أفعال رجاله، مما أدى إلى ضياع فرصة سيطرته عليها في تلك السنة.

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ٢١٧.

(٢) راجع ذلك ص ١٢٦ – ١٣٨.

(٣) دخلت هذه المدينة في طاعة الموحدين على عهد عبدالمؤمن بن علي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م حيث وفد أهلها إليه مبايعين بعد طردهم للنورمانديين. انظر ابن غلبون: التذكار، ص ٥١ – ٥٢.

وكما سبق وأوردت نص التجاني الذي ذكر فيه أنه رأى بنفسه توقيع شرف الدين على صك بتوسيع أملاك بعض أهل طرابلس في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م. وتقف النصوص التاريخية عند ذلك في أخبار هذه المدينة حتى إذا ما وصلنا إلى سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م نجد الخليفة الموحدي يتسلم وهو على حصار مدينة قفصة رسالة من ابي زيان زعيم الغز وكان مستبداً بمدينة طرابلس، يظهر فيها دعوة التوحيد ويعلن دخوله في طاعة الموحدين.

وفي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م دخل شرف الدين قراقوش طرابلس محارباً لثائر الزاب الذي استبد بها وسيره إلى مراكش. ويستمر الهدوء في هذه المدينة أيضا خلال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، ثم تنقطع أخبارها عنا مرة ثانية حتى سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م حين سار إليها يحى بن غانية للإستيلاء عليها من يد قراقوش وطرده منها (١). وعلى ضوء ما سبق نستطيع القول بإحتمال وجود شرف الدين في طرابلس سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م حسب ما ذكره التجاني معتمداً على الصك الذي رآه بتوقيع شرف الدين لأحد أهل طرابلس، ولكن المصادر بعد ذلك لا تمدنا بشئ عن هذه المدينة، وهل ظل قراقوش فيها أم تركها وراء مغامراته؟

والراجح أن شرف الدين لم يقم فيها كثيراً، وربما يكون قد غادرها الى مغامراته في إفريقيه ، وبذلك تهيأت الفرصة لزعيم اخر من زعماء الغز وهو أبوزيان للاستبداد بها ما بين سنة ٥٨٠و٥٨٣هـ/١١٨٤و١١٨٧م. وأيضا فيما يختص بدخول أبي زيان طرابلس وإستبداده بها فالمصادر لا تمدنا

---

(١) الطاهر أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي، ص ٢١٧.

بشيء عن ذلك، ولكن من الواضح أن وجوده فيها كان لحسابه وليس كتابع لشرف الدين قراقوش.

وأما المرة الثانية التي دخل فيها شرف الدين طرابلس فكانت سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م حيث حارب أبازبا الفارسي وسيره الى مراكش. والواقع لا تظهر المصادر أية إشارة الى تاريخ إستبداد هذا الثائر بطرابلس وإخراجها عن طاعة الموحدين. والراجح أنه قد إستبد بها فيما بين سنتي ٥٨٣ و ٥٨٦هـ/ ١١٨٧ و ١١٩٠م وعادت لطاعة الموحدين.وعقب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م خرج شرف الدين قراقوش عن طاعة الموحدين، وقام بالسيطرة على طرابلس وأستبد بامورها الى أن حاربه يحيى بن غانيه سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م وأستولى عليها .

وبعد كل ما سبق نستطيع أن نقرر أن وجود شرف الدين قراقوش في طرابلس كان في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، ثم في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م أعادها لطاعة الموحدين بقضائه على ثورة أبي زبا الفارسي ، ثم فيما بين سنتي ٥٨٧هـ و ٥٩١هـ/١١٩١ و ١١٩٤م، وأنه في المرتين الأولى والثالثة كان مستبداً بها.

وأما عن وضع مدينة قابس فقد سبق أن أشرنا الى ماذكره محمد بن تقي الدين (١) عن فشل قراقوش في دخولها سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، وأستمرت في طاعة الموحدين في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (٢)، وعندما دخلها

---

(١) أنظر ص١٢٨-١٣٠ من هذا الجزء.

(٢) دخلت هذه المدينة في طاعة الموحدين في عهد عبد المؤمن بن علي. أنظر التجاني: رحلة التجاني، ص ١٠٠-١٠١.

الخليفة المنصور سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م عقب هزيمة بني غانيه والغز، ووجد فيها أهل قراقوش فسيرهم الى مراكش. ومن هذا يتضح أن شرف الدين قراقوش ربما يكون قد دخلها وأستبد بها فيما بين سنتي ٥٨١ و ٥٨٣هـ/١١٨٥و١١٨٧م. وهذا مجرد إستنتاج إذأن المصادر لا تمدنا بشيء عن تاريخ دخول شرف الدين قراقوش لهذه المدينه وإستبداده بها. وقد ظلت هذه المدينة في طاعة الموحدين حتى دخلها شرف الدين قراقوش مرة ثانية بعد خروجه عن طاعة الموحدين عقب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وظل مسيطراً عليها حتى فر عنها نائبه عقب هزيمة قراقوش في طرابلس سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م فسير اليها والي تونس الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص والياً من قبله يدعى ابن تافراجين فتحرك اليها يحيى بن غانيه في نفس ذلك العام ونجح في الاستيلاء عليها (١) .

وهكذا يتضح من خلال العرض السابق مدى ما عانته إفريقيه من ويلات بسبب الصراع بين شرف الدين قراقوش وبني غانيه وحرص كل منهما على الملك والسلطان .

---

١) التجاني : رحلة التجاني ، ص ١٠٥.

العرب الهلالية

موقفهم من المنصور الموحدي :

حرص الخلفاء الموحدون على الاستفادة من جهود العرب فيما يعود على الدولة بالصالح العام، وذلك لما لهم من أهمية كعنصر فعال في تاريخ الدول التي قامت في المغرب ، فعمل عبد المؤمن على كسب تأييدهم في جعل الملك وراثياً في أبنائه من بعده، ثم وصيته لإبنه أبي يعقوب من بعده في شغل العرب للتخلص من شغبهم والإستفادة من شجاعتهم في الجهاد ضد النصارى الاسبان. فنراهم ساهموا بأعداد كبيرة في غزوة وبذة ثم في شنترين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م (١). وبعد وفاة الخليفة ابي يعقوب وتولي المنصور شئون الدولة قام العرب مبايعين ومهنئين بذلك (٢)، حيث بايعه في قصر مصمودة أعيان زغبه (٣) ومن معهم من العرب (٤)، ولقيه في رباط الفتح ابو عبد الله بن واجاج في وفد كبير من العرب (٥)، وأنضمت زغبه للموحدين ضد بني غانيه وعملت على حماية المغرب الاوسط منهم(٦) وفي سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م عندما خرج المنصور غازياً لإفريقيه رافقه أشياخ

---

١) راجع ماسبق ذكره في التمهيد ، ص ٣٧-٣٨-٣٩ ، ٤٥-٤٦

٢) رسائل موحديه : رسالة رقم ٢٧ ، ص ١٦٠-١٦٣.

٣) زغبه إحدى قبائل بني هلال والتزمت بمساعدة الدولة الموحدية ضد الثوار في المغرب الادنى .

أنظر ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ١٥ ، ٤٠.

٤) ابن خلدون : العبر ، م٦ ، ص ٢٤٢ - السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج٢ ، ص ١٤٢

٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٧٢.

٦) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٤٠.

بني زيان (١)، وعقب موقعة حمة مطماطه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م تتبع المنصور العرب الخارجين عن طاعة الدولة فهزمهم وأستباح أموالهم فأتوه طائعين فنقلهم الى المغرب سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م (٢).

كما انضمت قبائل عوف والشريد من بني سُليم الى الموحدين (٣)، وقام الخليفة المنصور بنقل قبائل هلال بن عامر وجشم بن معاويه حيث نزلت قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامه المعروف بالقصر الكبير الى أزغار البسيط الأفيح الى ساحل البحر (المحيط الاطلسي). في حين انزل جشم بلاد تامسنا البسيط بين سلا ومراكش وهو اوسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها عن الثنايا المفضيه الى القفار لإحاطة جبل درن بها (٤). كما نقل المقدم والعاصم من بني هلال بن عامر والاثبج
الى تامسنا فهذه ليست من جشم ولكن لما انخرطوا فيهم وانتقلوا الى المغرب اطلق على الجميع جشم واما المقدم والعاصم منهم ابناء مشرف
منهم وقرة من هلال، والخلط من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن اثبج بن ابي ربيعه بن نهيك بن هلال، والخلط هم بطن من بني عقيل بالتصغير (٥). ولهذه القبائل فروع أشهرها سفيان الذين كانت لهم الرياسة على جشم ، ومن ضمن هذه القبائل المرحلة عدد قليل من بني معقل فنزلوا فيما بين ملويه وتافيلالت ثم السوس ومنهم ذوي حسان

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٨٦.

(٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢١٨ – ابن ابي دينار : المؤنس ، ص ١١٤ – انظر خريطه رقم (٤)

(٣) رسائل موحديه : رسالة رقم ٣٣، ص ٢١٦-٢١٨.

(٤) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥١ – إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، م ١ ، ص ٢٨٣ – وتعرف هذه المنطقة اليوم ببلاد الحوز.

(٥) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ص ١٥١ – ١٥٢ .

والشبانات (١). وعرف هذان البسيطان عند عامة أهل المغرب بالغرب والحوز، فالغرب عبارة عن بلاد الهبط وأزغار وما في حكمهما، والحوز عبارة عن بلاد تامسنا وما إتصل بها الى مراكش فكان لرياح بلاد الغرب، ولجشم بلاد الحوز (٢).

وقد إشتركت القبائل العربية مع المنصور في جهاده ضد مملكة البرتغال سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م (٣)، وعقب عودة الخليفة الى المغرب ووقوعه فريسة المرض فترة طويلة، كانت الفرصة سانحة لثورة عرب إفريقيه مرة أخرى (٤). وفي خلال سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م قدم وفد من عرب سليم ورياح للسلام على الخليفة بصحبة والي بجايه السيد ابي زيد وكانوا موضع حفاوة الخليفة وكرمه (٥). في حين شهد عام ٥٩٠هـ/١١٩٣م فرار مسعود بن زمام المعروف بالبلط - لشدته وقسوته - الى إفريقيه ، وعلى الرغم من ذلك ظل قومه من رياح في اماكنهم التي انزلهم بها الخليفة المنصور(٦).

وقد إشترك العرب بأعداد كبيرة مع المنصور في جهاده ضد مملكة قشتاله سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م في معركة الارك بالاضافة الى إسهامهم في المجلس الحربي الذي عقد قبل المعركة لوضع خطة محكمة في كيفية مواجهة

---

(١) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٥١.

(٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢١٩.

(٤) مصطفى ابو ضيف أحمد : اثر العرب ، ص ٩١.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٤.

(٦) ابن خلدون : العبر ، م٦ ، ص ٣٢ - الميلي :تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، ص ٢٦٠.

مواجهة النصارى وقتالهم ، واحتل العرب ميسرة الجيش الموحدي في هذا اللقاء مع العدو ، وجعل المنصور جرمون بن رياح اميراً عليهم ، حيث ساهم في حث المسلمين على الصبر والثبات أمام العدو، وعندما إنتهت المعركة لصالح الموحدين أسرع العرب الى الخليفة حاملين اليه بشرى النصر (١) ، وقد سجلت الرواية النصرانية اعترافها بمدى اصابات جيشها في الموقعة وخاصة من سهام العرب اذ وقعت أعداد كبيرة منهم ما بين قتيل وجريح (٢).

دور العرب في ثورة بني غانيه :

لعب العرب دوراً كبيراً في مناصرة ثورة بني غانيه ، إذ قام بعض أعيان بجايه بمراسلة علي ابن غانيه داعين إياه لتملك مدينتهم ، ويغلب على الظن أنهم ربما ينحدرون من نسل بعض العائلات العربية التي تنقلت في المغرب سعياً وراء العلم تارة ، والرزق تارة أخرى (٣). وقد قام الخليفة المنصور عقب إسترجاع بجايه من أيدي بني غانيه بتغريب بني حمدون الى سلا وإجبارهم على بيع ممتلكاتهم وكذلك بني القائد. كما ساهم العرب بعد سقوط بجايه في يد علي بن غانيه في هزيمة والي المدينه ابي الربيع الذي جمع جنده وكان فيه عدد كبير من العرب وحارب الميورقيين في بياميلول، فأدى إنحيازهم الى صف ابن غانيه لهزيمة الوالي وجنده وإضطراره للفرار الى تلمسان، وقام ابن غانيه بتوزيع الغنائم على حلفائه الجدد (٤).

---

(١) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٥-٢٢٧.

(٢) أنظر : Miranda , A .H : La campaña de Alarcos , revista del instituto egipcio de madrid, vol, II, 1954, p . 63.

(٣) المراكشي : المعجب ، ص ٢٧٠ – مصطفى ابو ضيف أحمد : اثر العرب ، ص ٧٤.

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، القاص بالموحدين ، ص ١٧٦-١٧٧، ١٨١.

كان ابن غانيه يعلم مدى حب العرب للشعر فعمل على إستثارة حميتهم في الإنضام اليه ببعض الأبيات الشعرية ومشيراً الى صلة العروبة بينه وبينهم ويعيرهم بإنقيادهم لقراقوش قائلاً :

يا أيها الراكب الساري لطّيته ... على عذافرة تشقى بها الأكَمُ
بلّغ سُليماً على بعد المزار لها ... بيني وبينكم الرحمٰن والرحُم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خمدت ... واستمسكوا بعرى الإيمان واعتصموا
يقــودهم أرمني لا خــلاق له ... كأنه فيهم من جــهلهم عَــلَمُ
الله يــعلم أني مادعــوتــكم ... دُعــاءُ ذي تره يوماً فينتقم
ولا لجات لأمر يستعان بــه ... من الأمــور وهــذا الحــق قد علموا
لكن لأمر رسول الله عن رحم ... ينمي اليه وترعــى تلكم الذمم
فإن أتيتم فحبل الوُدّ متّصل ... وإن أبيتم فعند السيف نحتكمُ (١)

لاشك ان ماورد في هذه الابيات من إدعاء ابن غانيه بعروبة الأصل ادعاء باطل ، لان بني غانيه من قبيلة مسوفه البربريه فمن أين أتى النسب العربي ؟ والى من ينتسبون من القبائل العربية؟.

وقد صفت نفس الخليفة المنصور على أهل بجايه بعد موت أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدي الإشبيلي خطيب بني غانيه فيها (٢)، وأستطاع ابو حفص عمر إسترداد مدينة أشير من غزي الصنهاجي قائد ابن غانيه وحلفائه العرب (٣)، كما نلاحظ أثناء فرار ابن غانيه من مطاردة الموحدين إنضمام العرب من جشم ورياح له عقب إستردادهم لبجايه (٤)، وكان لإنضمام العرب لابن غانيه في موقعة عمرة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م أثر

---

١)التجاني : رحلة التجاني ، ص ١١٤-١١٥.
٢) المراكشي: المعجب ، ص ٢٧٢.
٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٨١.
٤) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٥٣.

كبير في هزيمة الموحدين امامه في تلك المعركة (١).

موقف العرب من الاتراك الغز :

لم يكتف العرب بمناصرة بني غانيه الثائرين على الموحدين بل قاموا ايضاً بمناصرة شرف الدين قراقوش في حروبه في المغرب في عهد ابي يعقوب (٢)، أما في عهد المنصور ففي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م قام الغز بتحريض شجاع الدين بن شكل زميل قراقوش على الإستعانة بعرب عوف(٣) لمساعدته في تشييد ملك خاص به في المغرب ، وسارت عرب عوف للقاء شرف الدين قراقوش وهو على الحامة حيث قام أمراؤها ومشايخها بمحاولة إزالة الخلاف القائم بين شرف الدين وبين شجاع الدين ، كما قاموا أيضاً بمصالحة شرف الدين قراقوش وحميد بن جاريه وعرب ذباب ، فأجابهم الى ذلك وحالف بين حميد بن جاريه وزغب وعوف ، فكثرت بذلك اتباع شرف الدين من العرب (٤).

وبعد خروج شرف الدين عن طاعة الموحدين عقب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وإستيلائه على قابس قام بقتل بعض أحلافه من مشايخ ذباب وبلغ عدد القتلى سبعين شخصاً منهم محمود بن طوق بن بقية جد المحاميد ، وحميد بن جاريه وهو ابو الجواري (٥).

---

(١) ابن الأثير: الكامل، م٩، ص ١٧١ - ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) راجع ما سبق ذكره في التمهيد -ص ٤٨

(٣) عرب عوف إحدى قبائل بني سليم وموطنهم من وادي قابس الى أرض بونه. أنظر ابن خلدون: العبر، م ٦، ص ٧٣.

(٤) محمد بن تقي الدين : مضمار الحقائق ، ٢٠٢-٢٠٣.

(٥) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ١٩٣.

دور العرب في ثورة الأشل :

وفي أثناء قيام ثورة الأشل ضد الموحدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ساهمت القبائل العربية في حمايته ومقاومة والي بجايه ابي زكريا الذي قام بمطاردة هذا الثائر بأمر الخليفة المنصور حيث إستطاع القبض عليه وقتله والقضاء على ثورته (١)

أثر العرب الهلالية في المغرب :

ترك وجود العرب في المغرب أثراً واضحاً ومتعدد الجوانب سواء في الناحية السياسية أو الإقتصادية أو الاجتماعيه أو اللغوية وغيرها. فالعرب أصبحوا جزءً من شعب المغرب يتأثرون به ويؤثرون فيه، وهذه الآثار ليست محدودة بوقت أو زمن معين بل إستمرت على الدوام. ويكفينا ان نقول كلمة إنصاف في حقهم تكون فخراً لهم. صحيح أن الفاطميين أرادوا بالمغرب شراً نتيجة للصراع القائم والمستمر بين السنه والشيعه، ولكنهم بارسالهم لهذه القبائل أسهموا من حيث لا يشعرون في توطيد المذهب السني في نفوس أهله، فأدى ذلك الى عدم قدرة الإستعمار فيما بعد - على تثبيت نفوذه في هذه الاماكن - فيكفي أهل المغرب عامة صفحات النضال المشرقة والدالة على أصل سكانه وعروبة أهله.

وقد بالغ بعض الكتاب في وصف الآثار المدمرة للغزو الهلالي لبلاد المغرب (٢) ، والواقع ان هذه مبالغه واضحة لا يمكن إغفالها ، فعندما قدم العرب الى المغرب لم يجعلوا من أنفسهم شراً عليه وعنصر خراب وتدمير

(١) انظر فيما بعد حديثي عن هذه الثورة بالتفصيل ص ١٦٢

(٢) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، القسم الاول ، ص ١٥٥.

في كل مكان ، فنجد ان الإدريسي (١) في وصفه لبعض مدن إفريقيه -وهو معاصر للزحف الهلالي -مدى ما كانت عليه بعض مدنها من الرقي والإزدهار. كما أن تراجع الزيريين إمام الهلاليين ، وإقتصار وجودهم في شريط ضيق على ساحل البحر جعلهم يتجهون الى التجارة البحرية ، مما كان له الأثر الكبير في حدوث الاحتكاك بين الزيريين وأهل صقليه بسبب التنافس التجاري ، فقام النورمنديون بالاعتداء على المدن الافريقيه وأستولوا على المهدية سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، وقد ساهم العرب بدور كبير في مقاومة هذا الغزو ، وأستطاع عبد المؤمن بن علي إخراجهم منها في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م .

ولم يقم العرب في المغرب بتأسيس دول فيه بل إكتفوا بإقامة إمارات صغيرة (٢)، وظلوا على حالة الإنتقال والترحال، وكان للدول الحاكمة البربرية نفسها دوراً في جعل العرب عامل تقلب في البلاد بسبب سوء سياستها في التعامل معهم وإستعمالها لسياسة فرق تسد، ومساندة فريق ضد الآخر، بل وإستخدامهم لمساندتها هي الأخرى ضد أعدائها وفي تعزيز مركزها ونفوذها، ولكن نجدهم اذا مادعتهم المصلحة للاتحاد أمام خطر من الاخطار فإنهم لا يتورعون عن ذلك مثلما حدث في إتحادهم امام جيوش عبد المؤمن في معركة سطيف لادراكهم مدى خطره عليهم (٣).

---

(١) مصطفى ابو ضيف أحمد : اثر العرب ، ص ٦١-٦٢ (نقلا عن الإدريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، نشره وترجمه الى الفرنسيه دوزي ودي خويه ، ليدن ، ١٨٦٦م ، ص ٩٣-٩٤ ، ١٠٨-١٠٩، ١١٠-١١١).

(٢) ابن خلدون : العبر ، م٦ ، ص ١٧٠ - مصطفى ابوضيف أحمد : المرجع السابق ، ص ٥٩-٦٠.

(٣) مصطفى ابو ضيف أحمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٤.

قامت القبائل العربية بحماية الفارين من بجايه عقب استعادة الموحدين لها من علي بن غانيه في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م (١) . بالاضافة الى مساهمتهم في دفع البربر جنوباً مما أدى الى قيامهم بدور كبير في نشر الاسلام في السودان نتيجة لإحتكاكهم بشعوبه (٢).

أما الاثر الاقتصادى للعرب في بلاد المغرب فقد أجمع كثير من الكتاب على ما ألحقوه بالبلاد من خراب (٣) وهذا في الواقع راجع الى سياسة الدول الموجودة في المغرب مع العرب في الاستعانة ببعضهم ضد البعض الآخر ، والى الثورات التي قامت في المنطقة مثل ثورة بني غانيه ومغامرات الغز وما ألحقته بالمنطقة من خراب. والملاحظ ان هناك مبالغة شديدة في تحميل العرب وحدهم مسئولية الخراب الذي لحق ببلاد المغرب ، حيث أعطى هذا الفرصة للكتاب الأجانب في إلحاق كل نقيصة بالعرب على طول الازمان ، وبالتالي أدى الى إيجاد النظرة السيئة لديهم للعرب وأنهم قوم لا يحسنون سوى الخراب والدمار ، ومع الأسف إنساق وراءهم معظم الكتاب المحدثين دون نظرة فاحصة أو تدقيق فيما يذكرون .

فإذا أخذنا ما حدث في منطقة إفريقيه في عهد المنصور كمثال لما أصابها من خراب ، مثل قيامه بهدم أسوار مدينة قفصه نظراً لما تمتعت به

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، القاص بالموحدين ، ص ١٨١.

(٢) الامين عوض الله : العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان ، ص ٣٩ .

(٣) كمثال لذلك انظر ماذكره التجاني: رحلة التجاني، ص ٦٥-٦٨ -ابن بطوطه: مهذب رحلة ابن بطوطه ، ج ١، ص ١٠-١١ -ابن خلدون: العبر، م٦، ص ١٠-١١ ، ١٦، ١٩-٢٠ ، م٧ ، ص ٢٧٣.

هذه المدينة من حصانة دفعت ببني غانيه الى جعلها مقراً لهم ولثورتهم بعد فشلهم في بجايه، وبطبيعة الحال فإستمرار وجود أسوارها سيكون هدفاً ومطمعاً لكل ثائر على الدولة في التحصن بها، ولذا كان من الطبيعي تجربد المدينة من أسوارها، ومع كل ماعانته المنطقة فإننا نلاحظ رواج التجارة وإزدهار بعض المدن المغربية قبل مجيىء بني غانيه وغيرهم(١).

واذا نظرنا الى مدينة قابس وإزدهارها وما تمتعت به حيث وصفت بأنها جنة الدنيا وبها المبنى المشهور بالعروسين من بناء بني جامع الهلاليين دلالة على إسهامهم في العمران (٢)، بالاضافة الى ما قام به حميد بن جاريه أبو الجواري أيضاً من معمار في تاجورة (٣)، وأيضاً مساهمة العرب بخبرتهم في تربية الخيول بامداد الجيش الموحدي باعداد كبيرة منها، وقد أخذ البربر عنهم حب الخيل والعناية بها، مع ما عرف من دورهم التجاري مع بلاد السودان (٤).

وفي الناحية الاجتماعية إستطاع العرب تعريب بلاد المغرب تعريباً تاماً (٥) -حيث أن دورهم يعد مكملاً لما قام به المسلمون الاوائل-وجعلوه شعباً تجرى في عروقه الدماء العربية، ومكتسباً مع الوقت التقاليد العربية الأصيلة كالشجاعة والكرم وعزة النفس، وتطور البربر بمرور

---

١) التجاني : رحلة التجاني ، ص ١٤-١٥.

٢) التجاني : رحلة التجاني ، ص ٨٦_٨٨، ٩٥.

٣) تاجورة : قرية كبيرة عامره شرقي طرابلس بها قصر يشتمل على دور كثيرة وفي وسط هذا القصر حصن أقدم بناء منه يقال أن حميد بن جاريه إبتناه وشارك فيه في العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على إتمامه وهو الذي عُمر هذه القرية ونقل أهلها اليها ، وكان إبتداء عمارتها في عام خمسين وخمسمائه .أنظر التجاني : المصدر السابق ، ص ٣٠٧_٣٠٨.

٤) مصطفى ابو ضيف أحمد : أثر العرب ، ص ٢٩٤-٢٩٥، ٢١٠، ٣٠٨.

٥) حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب ، القسم الاول ، ص ١٥٥_١٥٦- دائرة المعارف الاسلامية : النص العربي ، م ٣ ، ص ٥٠٧، مادة بربر .

الوقت نتيجة الإمتزاج والتزاوج والإختلاط بالعرب ، حيث نلاحظ في بعض المناطق مثل برقه (١) صعوبة التمييز بين العرب والسكان الأصليين(٢)، وأيضاً في المنطقة ما بين تبسّه (٣) الى باجه (٤) وفي الجزائر أيضاً (٥)، ولم يبق على أصوله البربريه سوى سكان الاقاليم الجبلية والتي لم يتم إختلاط سكانها بالعرب ، فاحتفظ أهلها بعاداتهم وتقاليدهم. وفي المغرب الاقصى إختلط البربر بالعرب الذين جلبهم المنصور الى هذه المنطقة فكونوا جيلاً عربياً جديداً (٦).

ساهمت العرب الهلالية في استحكام عروبة الالسن عند البربر ونسيانهم للهجة البربر وإستبدالها بفصاحة عرب (٧)، نظراً لثراء اللغة العربية ودورها في مساعدة البربر في فهم القرآن الكريم والتعاليم الاسلامية ، واختفت الكثير من لهجات البربر (٨) ، وداخل بعضها الكثيرمن الكلمات التي يمكن تمييزها بسهولة وساهمت في تعريب المغرب الأقصى، وجعلته ملاذاً لكثير من العلماء ولعبت فيه فاس دوراً كبيراً (٩).

---

(١) برقه : اسم مدينة كبيرة أزلية قديمة ، فيهاآثار كثيرة للأوائل ، وهي في صحراء حمراء التربة، وتقع بين الاسكندرية وإفريقية . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٤٣- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : م ٣ ، ص ٥٥٦ ، مادة برقة.

(٣)تبسّه : بلد مشهور من أرض إفريقيه بينه وبين قفصه ست مراحل ...أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٣.

(٤) باجه : بلد بإفريقيه بينها وبين تنس يومان ومشهورة بباجة القمح لكثرة حنطتها . أنظر ياقوت الحموي : معجم البدان ، م ١ ، ص ٣١٤- ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ١٤١-١٤٢.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية : م ٦ ، ص ٣٨٠، ٣٩٢ ، مادة الجزائر.

(٦) دائرة المعارف الاسلامية ، م ١٣ ، ص ١٤٧-١٤٨، مادة الشاوية.

(٧) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ١٤٢ - عباس الجراري : الأمير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحدي ، ص ٥٧ — الامين عوض الله : العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان، ص ٢٩.

(٨) دائرة المعارف الاسلامية : م ٣ ، ص ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٧، مادة بربر .

(٩) الأمين عوض الله : العلاقات ، ص ٢٩.

وبالطبع لاننسى الشعر ومدى أهميته في حياة العرب وأثره العميق في نفوسهم حيث نلاحظ إستخدام ابن غانيه للشعر في دعوة العرب للانضمام اليه ، واشتهر في هذا المجال فائد بن جريز وهو من العرب المشهورين بإفريقيه وغيره (١)، ومادام في الهلالية شعراء كما يظهر فيعنى ذلك قيامهم بدور كبير في الشعر لتلك الفترة ، ولابد بالتالي ان يكون رؤوساء القبائل العربية مقصداً لكثير من الشعراء بالاضافة الى ما يعرف من حبهم للشعر ونظمه.

(١) ابن خلدون : العبر ، م٦ ، ص ٨٥.

خروج بعض أفراد البيت الموحدي عن طاعة المنصور سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م

حرص المنصور على توطيد أمور دولته وأقرار السلام في كافة أرجاء البلاد ، فلم يكن لديه أي مجال للتهاون في عقاب أي عابث بأمن الدولة حتى ولو كان من أهل بيته وقرابته . وعندما تولى مقاليد السلطة عقب وفاة والده تحتم عليه مواجهة المعارضين والطامعين فيه . فمن بعض ما واجهه الخليفة مع بعض قرابته الذين حاولوا النيل منه مثلما حدث له مع عمه السيد ابي إسحاق إبراهيم (١) الذي كان يسّفه آراء المنصور ويقلل من شأنه ، وفي أثناء عودة الخليفة المنصور من غزوه لإفريقيه سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م توقف في تلمسان لبعض الوقت ، فجاء السيد المذكور للسلام على الخليفة ، وجلس بين يديه وسأل المنصور عن حاله فرد الخليفة عليه بقوله :"حالنا على مايسر المسلمين ويسوء الحاسدين " .

ثم أمر بطرده وطرد دابته فعاد الى منزله ولم يلبث أن توفى بعد قليل (٢). ووجد بعض الحاقدين والحاسدين من هزيمة الموحدين في موقعة عمرة ، فرصة للنيل من الخليفة المنصور والتعريض به، ومن هؤلاء شقيقه

---

(١) كان واليا لإمارة مدينة قرطبة في عهد الخليفة ابي يعقوب ثم إستدعاه منها سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وظل في العاصمة حتى عاد اليها سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م وهو شقيق ابي يعقوب وابن الخليفة عبد المؤمن بن علي وقد توفى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م. انظرابن عذارى : البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٠٩.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٩٨- وانظر أيضا : : Miranda, A.H Historia Almohade, I,p.339.

السيد أبو حفص الملقب بالرشيد والي مرسيه . وكان قد وصل الى إفريقيه العامل بن اللحاف (١) أثناء غزو الخليفة المنصور لها ، وذكر عن الرشيد من الأفعال والأعمال المنافية للأخلاق الشئ الكثير ، بالاضافة الى أن هدف الرشيد من ذلك هو الثورة والخروج عن طاعة السلطان (٢)، مع إعتمادهعلى مؤازرة النصارى له خاصة إذفونش (الفونسو) الثامن ملك قشتاله(٣).

وقد قام الرشيد بالتعدي على حقوق الرعية وأخذ أموال التجار بالباطل وأذية الجيران ثم قبضه على ابن رجا (٤) ومحاولته التعدي على أموال الدولة وطلبه من ابن رجا جمع المزيد من أموال الخراج وتحميل الرعية مالا طاقة لهم به، فلما عجز ابن رجا عن القيام بذلك أمر الرشيد بجلده حتى الموت. ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تبع تلك الاحداث فرار بعض موظفي الدولة من ظلم الرشيد ومنهم على سبيل المثال كاتبه حكم ابن محمد والذي إستدرجه الرشيد بالعودة اليه وعهد الى أحد رجاله بقتله ودفنه سراً (٥). وكان من ضمن ضحايا ظلم الرشيد قاضي مرسيه حيث وكزه بسيفه وقضى عليه (٦).

---

(١) العامل بن اللحاف هو الذي وشى بالرشيد للخليفة ووصفته الرواية قائلة: منشيء الارجاف ومسعر الشتات والخلاف. أنظر ابن عذارى: البيان المغرب، ص ١٩٩.

(٢) المراكشي: المعجب، ص ٢٧٦-٢٧٨- السلاوي: الإستقصاء، ج ٢، ص ١٦١.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ١٩٩.

(٤) ابن رجا هو المشرف المالي لمدينة مرسيه والمسئول أمام الخليفة عن جباية الأموال فيها.

(٥) ابن عذارى: المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٦) المراكشي: المعجب ،، ص ٢٧٧.

أزعجت هذه الأنباء الخليفة المنصور حيث أسرع بالتوجه الى فاس وأصدر أمره بإستدعاء أخيه السيد عمر الرشيد ، فعبر البحر الى المغرب إستجابة لأمر المنصور وإلتقيا قرب مكناس فقبض الخليفة عليه وأرسله الى رباط الفتح (١).

وقد قال الشاعر أبو حريز محفوظ بن مرعي الشّريف في الرشيد :

وفد الرشيد فعز دين محمد وتقابلت فيه نجوم الأسعد
بقدومه فقد النصارى فنشهم وأذيل جاه بني الغراب الأسود
فترى زعيم القوم ينظر ذلة نظر السقيم الى وجوه العود

وقال أيضا :

وفد الرشيد لشرقنا فتهللا ورأى به الاسلام ما قد أملا
نقيت به تدمير من أخلاطها فكأنما شربت دواء مسهلا (٢)

طمع أيضا في الخروج عن طاعة المنصور عمه ابو الربيع سليمان في تادلا(٣) من بلاد صنهاجه الذي لم يكتف بما أعلنه من خروجه عن طاعة الخليفة، بل عمد الى دعوة القبائل المجاورة له لمساندته ومساعدته فلم يجبه أحد منهم، وسار اليه السيد أبو زكريا بجنوده وحاصره في تادلا وضيق عليه حتى أضطره الى الإستسلام وحمله الى المنصور حيث أصدر الخليفة أمره بإرساله الى رباط الفتح . وعقب عودة الخليفة الى مراكش إجتمع

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب ، ص ٢٠٠-وأنظر أيضا:

Miranda, A.H: Historia Almohade, I,p.339.

(٢) صفوان بن إدريس : زاد المسافر ، ص ٨١ .

(٣) تادلا : من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٢ ، ص ٥.

فيها بالسيد أبي الحسن نائبه عليها ـ أثناء غيابه في إفريقيه - ومن معه من الموحدين وتباحثوا جميعاً في أمر الرشيد وأبي الربيع ، وثبت لديهم من سوء أقوالهم وأفعالهم ما أوجب سفك دمائهم فأصدر الخليفة أمره لعثمان بن عبد العزيز الكومي (١) صاحب قصبة رباط الفتح بقتلهم جميعا (٢).

ومن بين بني عبد المؤمن الطامعين في السلطان شقيق الخليفة المنصور أبو يحيى (٣) والذي كان واليا على قرطبة ، فبعد عودة الخليفة من شلب مرض مرضاً شديداً خشى عليه منه كثيراً، مما جعل أخاه أبا يحيى يتلكأ في حضوره الى الخليفة منتظراً سماع خبر وفاته طمعاً في تولي عرش البلاد ، وكان الخليفة المنصور دائم السؤال عنه ، فلما بلغ أبو يحيى ذلك أسرع بالقدوم اليه وهو على يقين من سماعه لخبر وفاته ، وتبعاً لذلك فقد حاول إستمالة أشياخ الاندلس لإنتخابه حاكماً قائلاً لهم : " ما تركت أمير المؤمنين الإهامة اليوم أو غد وليس لها غيري ".

قام أشياخ الاندلس بإعلام الخليفة المنصور بتآمر أخيه عليه ، وكان

---

(١) عثمان بن عبد العزيز الكومي . كما يظهر من الاسم انه ينتمي لقبيلة كومية البربريه وهي قبيلة عبد المؤمن وكان والياً لقصبة رباط الفتح في عهد المنصور الموحدي .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) أبويحيى هو شقيق المنصور وكان أميراً لقرطبه فترة من الوقت وشيد فيها قصره المعروف باسمه وقيل له : كيف تانقت في بنيان هذا القصر مع إنحرافك عن أهل قرطبه ؟ فقال : علمت أنهم لا يذكرون والياً بعد عزله ولا له عندهم قدر ، لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية فاحببت ان يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمهم . أنظر المقري : نفح الطيب ، م ١ ، ص ١٥٥، ٤٧٠.

الأطباء قد أمروا بسفر المنصور الى قابس للراحة وهناك وصلته كتب أهل الاندلس بما رأوه من أعمال أخيه . فلما شفى المنصور من مرضه لقى أخاه أبا يحيى في سلا حيث جاء معتذراً اليه فما كان من الخليفة إلا أن قبض عليه وأصدر أمره بقتله بعد سماعه لشهادة أهل الأندلس فيه قائلاً له : " إنما أقتلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا بويع خليفتان بأرض فاقتلوا الآخر منهما" (١). وتولى قتله أخوه لأبيه عبد الرحمن بن يوسف(٢) .

والملاحظ في الامر هو إنفراد المراكشي بايراد هذه الرواية ولعل معاصرة المراكشي لتلك الفترة وتأليفه لكتابه بعيداً عن أرض الدولة الموحدية أتاح له ذكر الحادثة دون سواه من الكتاب . وقيل أن أبا يحى هو ابن الخليفة المنصور وليس بإخيه ولم يكن بين المتآمرين (٣)، والواقع لا يمكن قبول هذه الفكرة لعدم وجود أدلة أو روايات تؤيدها.

وبعد كل ما سبق نقول أن شدة الخليفة على هؤلاء الطامعين لها ما يبررها لحفظ مكانته بين قرابته وتأكيد هيبته في نفوس الناس، فالخليفة

---

(١) ورد حديث في ذلك المعنى ولكن روايته الصحيحة بالشكل الآتي :

((وحدثني وهب بن بقية الواسطي . حدثنا خالد بن عبد الله عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا)) . والواقع ان صحيح مسلم هو الذي إنفرد بذكر هذا الحديث . أنظر أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم ، ج ٣، ص ١٤٨٠ ، رقم الحديث ١٨٥٣.

(٢) المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٠ -٢٨١.

(٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٨٩.

العادل هو القادر على تطبيق الاحكام الشرعية على أهل بيته أولاً ثم على الرعية ثانياً ، ومتى تحقق له ذلك إستطاع قيادة رعيته بإطمئنان كامل ، وحظى بثقتهم وإحترامهم .

ثورة أبي زبا الفارسي في الزاب

إن النص الوحيد الذي وصلنا عن هذه الثورة هو الآتي :

" ...وأناب قراقوش الى حزب التوحيد ، فغلب على طرابلس وأخرج منها المستولي عليها أبازبا الفارسي وهو ثائر الزاب المذكور في الأراجيز. قال الضبي :

وثائر الزاب إن حلت عساكره   بأرض سوسه(١) ضاقت بالورى الحيل

فأدرك أهل الحدثان اسماً مركباً من الزاي والباء فقالوا ثائر الزاب لعلمهم بموضع ثورته وجهلهم باسمه حتى أبرز الأمر العزيز أبا زبا في الزاب، فلما توجه الخليفة...لفتح بلاد إفريقيه سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م خاطبه أبازبا ضارعاً في الصلح والقبول ، ثم نكث وأستبد بطرابلس حتى أناب قراقوش وصح توحيده ، فاخرجه منها وبعثه مقيداً ، فحل بحضرة مراكش سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م .." (٢)

وقد أغفلت بقية المصادر أمر هذا الثائر ولم ترد فيها معلومات عن حياته ولا عن ثورته، ويتضح من نص صاحب الأستبصار أن الثائر قام بثورته قبل سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م في بلاد الزاب، ولكن بعد رؤيته لقوة الخليفة المنصور وحزمه في سحق الثورات. آثر أن يركن الى الهدوء، فاتصل بالمنصور راغباً في الطاعة،فاجابه الخليفة الى ما طلب . ولكن يبدو انه بعد عودة المنصور الى عاصمته،وأنشغاله بالمتآمرين عليه من

---

(١) سوسه :مدينة صغيرة بنواحي إفريقيه بينها وبين سفاقس يومان . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١١١.

من قرابته ، وعودةبني غانيه الى نشاطهم في إفريقيه ضد الموحدين ، عاد أبو زبا مرة أخرى الى ثورته وأستبد بمدينة طرابلس ، وظل فيها حتى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م حيث تولى شرف الدين قراقوش إخراجه منها وسيره الى مراكش.

فتنة علي بن محمد بن رزين المعروف بالجزيري

وكان أول ظهوره في مدينة مراكش وهو على مذهب الخوارج الازارقه في تكفير جميع المسلمين وتبعه الجهلة عامة الناس ، وقد قام السيد أبو الحسن بن ابي حفص والي المدينة بمطاردته ففر هارباً منه ، ثم ظهر في مدينة فاس والتف حوله عدد كبير من الناس ، وبلغ أمره والي المدينة فأمر بالقبض عليه وعلى أتباعه ولكنه إستطاع الفرار للمرة الثانية وأختفت أخباره لبعض الوقت.

بلغ المنصور خبر هذا الثائر وهو في الأندلس سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، فأصدر أمره بالقبض على الثائر المذكور وخصوصاً بعد أن شاع بين الناس عنه أنه يتصور في هيئة الكلاب والحمير والسنانير وغير ذلك (١). فكان الناس إذا رأو سنوراً في منزل تخيلوا أنه الجزيري جاء طالباً الإختباء والحماية. وقد قيل أنه عثر على عدد كبير من أتباعه في سجن مالقه ومن ضمنهم شقيق الثائر، فأمر المنصور بإحضارهم الى إشبيليه في حين تمكن الثائر من الفرار للمرة الثالثة.

وقد أصدر المنصور حكمه بإعدام أتباع الشقي وعددهم تسعة وتسعون رجلاً ، واتهم بشر هذه الفتنة عدد كبير من الناس منهم شاكر بن محمد بن الحسن بن محمد كامل الحضرمي الاديب الشاعر (٢)، الذي حمل

---

(١) المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، ص ١٢٦ .

(٢) شاكر بن محمد كان أديباً شاعراً مجيداً حسن العشرة ذكياً ، كريم الطباع وكانت وفاته سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م . أنظر المراكشي : الذيل والتكملة ، بقية السفر الرابع ، ص ١٢٦.

الى إشبيلية مقبوضاً عليه ولم يلبث أن اطلق سراحه بعد ثبوت براءته. وبعد بحث طويل عن الجزيري مثير هذه الفتنة تم القبض عليه في إحدى قرى مرسيه،وأحضر أمام المنصور وطيف به على الحاضرين،وقد كذب جميع ما إدعاه ونسب اليه ، ثم أمر الخليفة بصلبه بعد ذلك (١).

وفي رواية أخرى عن الجزيري الذي خرج على المنصور وهو أبوعبد الله محمد بن عبد الله الجزيري العالم الذي أخذ بنصيب وافر في العلوم وطمع في إحياء سنة المهدي وبث دعوته بين الناس وعظم أمره وألتف الكثيرون حوله ثم قبض عليه في إحدى قرى بسطه في الاندلس وقتل سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م (٢).

وتظهر هذه الرواية الجزيري بصفته عالماً اندلسياً غير تلك الشخصية المشعوذة والتي كثرت حولها الإشاعات ...وبالرجوع الى المصدر الاساسي الذي نقلت عنه هذه الرواية وهو كتاب ابن سعيد المغرب في حلى المغرب ، نجد ان الجزيري العالم الاندلسي لم يقم بدعوته تلك في عهد المنصور الموحدي لعدم إشارة المصدر السابق الى ذلك (٣) ولكن محقق كتاب المغرب الدكتور شوقي ضيف أشار في حاشية المصدر السابق نقلاً عن المقري في نفح الطيب (٢/٤٦٤-٤٦٥) ان بني عبد المؤمن لما غيروا رسم مهديهم وصيروا الخلافة ملكاً وتوسعوا في الرفاهية وأهملوا الرعية جعل يتستر(الجزيري) وشاع سره في مدة ناصر بني عبد المؤمن (٥٩٥-٦٠٨هـ) فطلبه ففر ولم يزل ينتقل متخفياً مع أصحابه الى أن قبض

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٧-٢٨٠ وانظر أيضا :
Miranda, A.H : Historia Almohade, I,p.352_353

٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٨٠-١٨١. (نقلا عن ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، م ١ ، ص ٣٢٣_٣٢٤)

٣) ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، م ١ ، ص ٣٢٣_٣٢٤، رقم الترجمة ٢٣١.

عليه في حصن قولية (١) وقتل هناك (٢). ورواية المقري هذه يتعذر علينا تصديقها لعدم إشارة المصادر المعاصرة والتالية لها في الفترة الزمنيه موضوع البحث الى هذه الرواية ، ولهذا فرواية ابن عذارى عن الجزيري هي الاصح والأقرب الى الصواب .

---

١) حصن قوليه من عمل مدينة بسطه بالاندلس .

٢) ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب ، ص ٣٢٣ـ٣٢٤ - المقري : نفح الطيب ، م ٤ ، ص ٦٥ـ٦٤-

وأنظر أيضاً : Miranda, A.H : Historia Almohade, I,p.353.

ثورة الأشل في بلاد الزاب

ظهر الأشل في بلاد الزاب سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م في عهد الخليفة المنصور، حيث دعي لنفسه،والتف حوله عدد كبير من العرب وبايعه كثير من أهل تلك الجهات والمناطق المجاورة،وشاع ذكره وبلغت أخباره المنصور باشتداد فساده في تلك النواحي فأمر الخليفة والي بجايه السيد أبا زكريا بالقضاء عليه. فجمع الوالي المذكور جنده وسار لإقتفاء أثر هذا الثائر، وفي الطريق اليه إجتمعت أخلاط من عرب تلك الجهات من الحاقدين على الموحدين وهموا بالغدر بالسيد ابي زكريا ونهب عسكره، فعمد السيد الى استخدام الحيلة معهم حفاظاً على جنده من غدرهم.

وقام السيد أُبو زكريا بارسال جواسيسه لجمع أخبار الثائر ومكانه، في حين عمد الى إغراء العرب بتمكينه من الثائر المذكور مقابل المكافآت الجزيله من الخليفة، ومع ذلك أنكروا كل صلة لهم به ، وعزموا على محاربة السيد وجنده، وأثناء ذلك عاد جواسيس السيد بخبر الأشل ومكانه ووصف مجلسه وكيفية جلوسه وسط أتباعه مرتدياً ملابس فاخرة وعمامه خضراء وسيفاً مُحَلّى بين يديه وهو يحدثهم ويتباحث معهم.

ولما اكتملت المعلومات عن الثائر لدى السيد أُبي زكريا عمد الى الحيلة في سبيل القضاء على هذا المتمرد وسحق ثورته قائلاً للعرب: " قد إمتثلنا ما أمرنا به من البحث عن هذا الشقي والاجتهاد في التقصي عن موضعه الخفي وقد ابلينا عذراً في ذلك وشهادتكم كافية إن أحتيج اليها هناك، وقد ظهر من قبائلكم جموع وافرة ووجوه النجابة ظاهرة – لو

علم الأمر بمكانكم - لزاد في إحسانكم وأستجلب كثيراً من أعيانكم - ولكن نحن قد شرعنا في الإياب وسرعة الانقلاب فمن وصلنا منكم عرفنا بمكانه ونبهنا عن عظيم شأنه فاظهروا على هذا الكلام شكره وأعظموا قدره وهم قد نووا غدره فأخذ السيد بالحزم ووعد جميعهم للحضور للرحلة معه من الغد " (١).

وفي الليل سار السيد بجنده الى قلعة بني حماد فما أن دخلها إلا وندم العرب على ضياع الفرصة منهم فيما وعدهم به من المكافآت والاموال . ثم قام السيد أبوزكريا بدعوة وجوه العرب وأعيانهم واولادهم الى مأدبة كبيرة لانجاز ما وعدهم به ، فلما إجتمعوا عنده أغلق أبواب القلعة وقبض على أبنائهم وقيدهم وجمع آبائهم وأقسم أن لا يحل وثاقهم إلا بتسليم الأشل أو رأسه ، أو أن يحمل رؤوسهم بدلاً عنه الى المنصور .

وفي البداية رفض العرب الإنصياع لأمر السيد أبي زكريا ولم تحدث تهديداته أي أثر فيهم ، ولكن نساؤهم أبين أن يقتل أولادهن برجل منافق ، فقمن بطرد رجالهن من المنازل مما أدى الى وقوع الخلاف بين القبائل بسبب الأشل ولما حاول الفرار قبض عليه جماعة من العرب مع وزيره وحملوا الجميع الى القلعة فأحسن الخليفة اليهم وقتل الثائر وصاحبه وعلق رأسه على باب بجايه وقضى بذلك على ثورته (٢).

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٦.

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٥ . ٢١٧- وأنظر أيضا :

Miranda, A.H : Historia Almohade, I,P.360-361.

ثورة محمد بن عبد الكريم الرجراجي في المهدية

شهد أواخر عصر المنصور سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م ظهور ثورة محمد بن عبد الكريم الرجراجي في المهدية، وكان أبوه من الجند الساكنين بها وهو مضاف الى قبيلة كومية البربرية (١). وقد ظهرت براعة ابن عبد الكريم في حربه للاعراب وكف ضررهم، فهابته العرب وشاع ذكره بينهم مما دفع الوالي الى إطلاق يده في محاربتهم والتنكيل بهم. وعندما قدم الشيخ ابو سعيد بن الشيخ ابي حفص والياً لافريقيه من قبل المنصور، ولى أخاه أبا علي يونس بن ابي حفص على المهدية (٢). فلما وصل ابو علي اليها ورأى مدى إتساع سلطة ابن عبد الكريم هناك ومقدار الغنائم العائدة عليه من غزو الأعراب المفسدين طالبه بجزء منها، فامتنع ابن عبد الكريم عن ذلك، بل وأصر على إطلاق حريته في التصرف بتلك الأموال نظير جهوده في قمع ثورات الأعراب .

قام أبو علي بالقبض على ابن عبد الكريم وسجنه مما أضطره الى الإستنجاد بشقيق الوالي وهو الشيخ ابو سعيد والي إفريقيه فأعرض عنه. وحدث ان زاد إفساد الإعراب بالساحل وكثرت الشكاوى منهم وكادت تحدث فتنة كبيرة ، فألح الناس على والي المهدية في إطلاق ابن عبد الكريم لمواجهة حركة الأعراب وشغبهم. وقد تهيأت بذلك الفرصة لابن عبد الكريم في الإنتقام لنفسه من الشيخ ابي علي بن يونس ، فجمع جنده خارج المدينة وأطلعهم على ما قرر القيام به إزاء الوالي المذكور

---

١) التجاني : رحلة التجاني ، ص ٣٥٠- ابن غلبون : التذكار ، ص ٨٨

٢) التجاني : رحلة التجاني ، ص ٣٥١- ابن خلدون : العبر ، مج ٦ ، ص ١٩٤

فساروا معه الى المدينة ليلاً فدخلها مع بعض الجند ، وتوجه الى قصر الوالي وكان متلثماً فانكره الحارس ولم يفتح الباب له ، فلما أسفر عن وجهه وعرفه فتح له الباب وفر هارباً ، فدخل ابن عبد الكريم القصر مع جنده وخرج الوالي الى رحبة القصر بدون سلاح فقبض عليه ابن عبد الكريم وسجنه ولم يطلقه إلا بعد إفتداء أخيه الشيخ أبي سعيد له بإثني عشر ألف دينار (١)، على يدي محمد بن عبد السلام الكومي (٢).

إستبد ابن عبد الكريم بالمهدية وتلقب بالألقاب السلطانية (المتوكل على الله) وامتدت ثورته فترة في عهد الخليفة الناصر ابن المنصور حتى قضى عليها يحيى بن غانيه سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م (٣).

---

١) ابن الأثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٤٥ـ٢٤٦.

٢) هو صهر محمد بن عبد الكريم الرجراجي .

٣) إستمرت هذه الثورة في عهد الناصر بن المنصور حتى قضى عليها يحيى بن غانيه سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م حيث قام بمطاردته نظراً لعدم قبول ابن غانيه وجود منافسين له في المغرب . أنظر التجاني : رحلة التجاني ، ص ٣٥٢-٣٥٤- ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص١٩٤-١٩٥.

الفصل الثاني

جهود المنصور ضد الممالك النصرانية

١- ضد مملكة قشتالة

٢- ضد مملكة البرتغال

٣- ضد مملكة ليون

٤- ضد مملكة نبرة

٥- ضد مملكة أرغونة

جهاد المنصور ضد مملكة قشتاله

تعتبر مملكة قشتاله أكبر الممالك النصرانية رقعة وأوفرها قوة وموردا. وقد جعلت من فكرة غزوها للأراضي الإسلامية الاندلسية والإستيلاء عليها السياسة الأساسية التي سارت عليها طوال عصورها وعرفت بإسم الإسترداد المسيحي (La Reconquista) ومن أهم الأعمال الجهادية ضد هذه المملكة في عهد عبد المؤمن بن علي هي إستعادة الموحدين لثغر المريه من النصارى سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م (١). مع ملاحظة عدم إشتباك الموحدين مع النصارى في معارك فاصله ، في حين إكتفى النصارى بمحاولة إستنزاف جهود الموحدين عن طريق تحريض ابن مردنيش وابن همشك لشغلهم طوال الوقت.

تميزت هذه المملكة بنشاط غاراتها ضد المدن الإسلامية،وإستعمال أساليبها الحربية القديمة في التغلب على قوة الموحدين في حالة خوفها من خطرهم،وهي التحصن داخل المدن ذات الاسوار القوية،وترك الجيش المحاصر لهم يعاني من ويلات ومتاعب الحصار،وهذا ما فعلته مع الخليفة أبي يعقوب في غزوة وبذه سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م (٢). وقد تمتع أهل الاندلس بخبرة كبيرة في قتال النصارى وأصبحوا على دراية تامة بكافة أساليبهم وحيلهم في الحروب، ومن هنا كانت لهم انتصارات رائعة على النصارى ونجاح كبير في صد غاراتهم ضد المدن الاسلامية،ولكن ما أصاب الموحدين من فشل أمام مدينة وبذه دفع القشتاليين إلى اصابة الدفاع الشمالي الشرقي للموحدين في الاندلس بضربة شديدة وذلك باستيلائهم على مدينة

---

١) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٥٥-٥٦.

٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة، ص ٥٢٦-٥٢٩، ٥٣٣-٥٤٠.

كونكة سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م(١).

وبعد وفاة الخليفة أبي يعقوب يوسف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م وتولي المنصور مقاليد السلطة في البلاد، إنشغل فترة من الوقت في إقرار بعض أمور الدولة الداخلية والقضاء على حركات بني غانيه في افريقيه، حتى اذا ما أنتهى من تلك المشاغل الهامة،عاد مرة أخرى لمواصلة الجهاد في الاندلس ضد النصارى،وخاصة بعد علمه باستغلال تلك الممالك لفترة إنشغاله في افريقيه وتصعيد غاراتها ضد المدن الاسلامية الاندلسية.

وفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م قام النصارى بغزوتين بقيادة مطران طليطلة (٢) وقادة جمعية فرسان قلعة رباح (٣)، ثم قام ملك قشتاله بغارة

---

١) Altamira, R : Spain, p. 409.

٢) طليطله مدينة بالاندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤ ، ص ٣٩-٤٠.

٣) قلعة رباح : مدينة بالاندلس وهي غربي طليطله وبين المشرق والجوف من قرطبه ، وقد شيدها الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) ، في سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م. أنظر مؤلف مجهول : جغرافية الاندلس ، ورقة ٢٢ - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٢٣. أما فرسان قلعة رباح جمعيه تكونت برئاسة راهب هوريموند او رامون رئيس دير فتيرو في طليطله ومعه آخر يدعى ديجوبلاسكيث وقد طلبا الى ملك قشتاله أن يعهد اليهما بالدفاع عن هذه القلعة ضد غارات الموحدين فأجابهما الى ذلك وباركهما يوحنا مطران طليطله فاستطاع الراهبان ان يجمعا حولهما عشرين ألف مقاتل بالاضافة الى المساهمين معهما بالمال والخيل فكان لهذه الحركة القوية أثرها في رد هجمات الموحدين عنها وخاصة انها تحمي مداخل قشتاله وفي الحال رأى الراهب رامون ان يكون من أولئك الذين نذروا حياتهم لحماية النصرانيه فتكونت جمعية من الإخوة عرفت باسم فرسان قلعة رباح سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م. أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثالث ، القسم الاول ، ص ٥١٩.

على نواحي إشبيليه ملحقاً هزيمة كبيرة بأهلها وطارد الناجين منهم الى حصن المنار (١) حيث إستولى عليه وأخذت قوات النصارى في الإغارة على البساتين الموجودة بشرق (٢) إشبيليه، وأتبع ذلك ملك قشتاله بغارة أخرى على أم غزّالة (٣) وقد سارع أهلها باخلائها قبل وصوله فمكث بها مدة ثم أقلع عنها إلى ربينه (٤) فاستولى عليها وقتل كل من إعترضه وأسر الباقي وسبى من كان بها ، ثم اتجه الى قلعة جابر (٥) وحصن شلير (٦)، وعاد بعدها الى طليطله وقد أزعج المنصور ما بلغه من انباء غارات النصارى على المدن الاندلسية (٧).

أعد الخليفة المنصور جيوشه وعبر الاندلس سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م مجاهداً ، وما أن بلغ النصارى خبر عبوره حتى سارع ملك قشتاله بإيفاد رسله الى الخليفة طالباً الصلح والهدنه (٨). وعن ذلك تشير الروايه قائلة:

---

١) حصن المنار : حصن بالاندلس قريب من مدينة لكة . أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٠٢.

٢) شرف إشبيلية: سمى بذلك لأنه مشرف من ناحية إشبيليه ممتد من الجنوب الى الشمال وهو تل تراب أحمر وشجرالزيتون مغروسه به . أنظر الادريسي : المغرب وارض السودان ، ص ١٧٨.

٣) أم غزّاله : حصن من أعمال مارده بالاندلس . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ٢٥٤.

٤) ربينه :في الأندلس.

٥) قلعة جابر على مقربة من إشبيلية، وكثير ما يتفرج فيها اعيانها لحسنها في المروج والمياه وكثرة الطير. أنظر ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج ١ ، ٢٩١.

٦) حصن شُلَيْر : شلير هو عبارة عن جبل من أعمال البيرة لا يفارقه الثلج صيفاً ولا شتاءاً ، واحتمال ان الحصن سمى بهذا الاسم نسبة الى المنطقة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٤، ص ٣٦٠.

٧) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٣.

٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٥ – النويري : نهاية الارب ، ج ٢٤ ، ص ٣٣٣-٣٣٤.

" ...وسارع عظيمهم صاحب قشتاله الى مخاطبتنا مستأذناً في إرسال رسله إلينا ليؤدوا عنه رغبته في التمسك بحبل هذا الأمر العظيم وذمته وحرصه على الانقطاع الى جنابه والاستناد الى هضبته وأنه يخدم الموحدين ...بمحاربة أهل جلدته ومقاطعة أهل ملته فراجعناه بالاذن له في ذلك لنرى رأينا في حربه أو هدنته ... وشرع الموحدون ... في حركتهم واستقبلوا سعيد وجهتهم محتسبين لغدوتهم في سبيل الله وروحتهم ...ولما وصل الى قصر المجاز ...وصل أرساله الى إشبيليه ...ولقوا الموحدين مع طلبتها ...وأوصلوا خطابه يفصح بأنهم زعماء قومه الذين يعتمد عليهم في نقضه وإبرامه ويثق بهم في أحكام ما يلزمونه وأحكامه ، وأنه القى إليهم مقاليد تفويضه في كل مايربطونه اليه واستسلامه فسمعت مقالتهم واستوعبت رسالتهم فانهوا ما حملهم صاحبهم من الأعلام بما عنده وقدروا غرضه في خدمة أمر الله وقصده وذكروا أنه متى استدعى الى مشاركة بنفسه أو رجاله بادر الى أقتفاء مارسمه الامر العزيز من ذلك وحده فرأينا بعد استخارة الله تعالى من النظر العام المصلحة للمسلمين تشتيت اعدائهم وتفرق كلمتهم واختلاف آرائهم وأن من أعظم المعونة عليهم تقاطعهم وتباين أهوائهم. فامضينا له السلم على ما فيه العزة لله ولامره وعلى وجه يؤذن بحول الله بوقم العدو وقهره والله المشكور على ما حول من تسهيله وعونه ويسره لا رب غيره ..." (١).

وقد هدف الخليفة المنصور من وراء ذلك الانفراد بملك البرتغال وسد الطرق امامه للحيلولة دون تحالفه مع باقي الممالك النصرانية ضد الموحدين ، مع الاستفادة مما تعانيه تلك الممالك من حروب وصراعات فيما

---

١) رسائل موحدية : رسالة رقم ٣٤، ص ٢٢١-٢٢٢.

بينها. وعندما وصل الخليفة الى قرطبة كرر ملك قشتاله طلبه للصلح فعقد الموحدون الهدنة معه لمدة خمس سنوات (١).

وفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م أوفد ملك قشتاله رسوله يوسف بن الفخار اليهودي (٢) الى الخليفة المنصور مؤكدا إلتزامه بالمعاهدة المعقودة بينهما، في حين أن النظرة الفاحصة لهذا التصرف تظهر مدى الحقد ونية الغدر الموجودة لدى النصارى ضد الاندلس، فهي تعقد الهدنة مع الموحدين وتقوم باستغلالها في تصفية خلافاتها مع أعدائها، ثم تعد العدة لتوجيه ضرباتها ضد المدن الاسلامية بقيادة مطران طليطلة، في الوقت الذي توفد رسولها فيه الى مراكش مؤكداً إلتزامها بالمعاهدة المتفق عليها، ثم نراها تكرر ذلك في خلال سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، مع إستمرار غاراتها ضد مسلمي الاندلس . فتحدثنا الرواية عن ذلك قائلة : " ...وفي هذه السنة وصلت إرسال ملوك الروم في تجديد عهد المسلمين والمهادنة فاشتطوا في شروطهم وابتغوا الزيادة على عوائدهم في عقد ربوطهم وأُنف المنصور لقولهم وخلا بأهل العزم والمشورة في احوالهم وحملهم على الصريمة في العزم على غزو بلادهم في عقر دارهم وازعج من كان بمراكش من إرسال

---

١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٧٦.

٢) هو الطبيب أبو إسحاق إبراهيم بن الفخار أشتهر في طليطلة وهو رسول الملك الفونسو الى الخليفة الموحدي في مراكش ووصف بالتفنن في الشعر وكان ذا دراية كبيرة بالعلوم القديمة والمنطق ومن شعره في الملك الفونسو ملك قشتالة قوله :

حضرة الأذ فونش لا برحت غصة أيامها عُرُسُ

فاخلع النّعلين تكرمةً في ثراها إنها قُدُسُ.

وقد ورد إسمه في البيان يوسف بن الفخار . أنظر ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٣، ترجمة رقم ٣٣٩- إبن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٣.

الروم دون غرض مقضي لهم وانحفز النظر في أسباب الحركة " (١).

وفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م عزم الخليفة على المسير الى إفريقية لتأديب بني غانيه والقضاء على ثورتهم فيها، فبعث الى ولاة الاندلس بالحضور ليزودهم بتعليماته وتوجيهاته ، فلما وصلوا اليه وقد إنتهت مدة الهدنة مع ملك قشتاله وقيامه بإنذار ولاة المدن الاسلامية المجاورة، في نفس الوقت الذي بعث رسله لعقد المهادنة ، عازماً على الغدر ومستغلاً ما بلغه من عزم الخليفة على التوجه الى إفريقيه ، فجمع قواته وضرب لهم ميعاداً معيناً في الاغارة على بلاد المسلمين شرقاً وغرباً، وقد وصلت غاراته نواحي إشبيليه(٢)، وأشتدت وطأة النصارى على الاندلس وكثرت إعتداءاتهم، وكان قد بعث مطران طليطلة مارتن لوبث دي بسيرجا (Martin López de Pisuerga) في حملة تخريبية عاثت في الاندلس، وعادت محملة بالغنائم والاسلاب فازداد الحاح أهل الاندلس على الخليفة لنجدتهم ، فما كان من الخليفة إلا الاستجابة لندائهم (٣).

وتشير الرواية عن ذلك قائلة: " ...لما دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة كان قد عزم على قصد إفريقيه وقوي رايه على التأهب للعود اليها وكان أمد الصلح مع ملك قشتاله قد إنصرم فوصل رسول الطاغيه

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٤.

٢) إبن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢١٧ – وانظر أيضاً :

Miranda, A .H : Las Grandes batallas de La reconquista, P.138

: La campaña de Alarcos, p . 2.

٣) يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ج ٢ ، ص ٨١ – وانظر أيضاً:

Miranda : La Campaña de AlarCos, p . 2.

الى حضرة أمير المؤمنين طالباً عقد المهادنة وهو قد أضمر المكايدة فاراه الله عاقبة غدره وأحاق به وبال أمره وأجناه غرس مكره وأغتر الطاغية اذفنش بما شاع من عزم أمير المؤمنين على الحركة الى إفريقيه فجمع أجناده وضرب لهم ميثاقاً ارتبطوا عليه في شن الغارت على بلاد المسلمين فاغاروا على جميعها بالاندلس شرقاً وغرباً في يوم واحد وأنتشرت الطائفة الواصلة الى إشبيليه على جميع اقطارها وعاثت في جهاتها وقاتلت بعض حصون شرقها وكادت تنتهز فيه الفرصة لولا ندب من الموحدين سبق اليه ودافع عنه فاقلعوا عنه بعد ان قتل عليه جماعة منهم وخيب الله سعيهم فوردت الأنباء بذلك على أمير المؤمنين المنصور وهو على قدم الحركة الى افريقية ورسول الطاغية عنده بالمحلة المنصورة فامر بازعاجه من المحلة وتجهيزه الى البحر وقيل له جواب صاحبك الغادر يتلقاه عن قريب. وصرف في الحين وجه الحركة الى بلاد الاندلس"(١) بينما هناك رواية أخرى عن أسباب هذه المعركة أن ملك قشتاله على أثر إنتهاء مدة الهدنة مع الموحدين أغار على بلاد الاندلس وألحق بأهلها الاذى ووصل في غاراته الى الجزيرة الخضراء (٢) دون رادع (٣) ثم وجه خطاباً الى الخليفة

---

١) الغرناطي : كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ، ج ٢، ص١٥٣-١٥٤ .

٢) الجزيرة الخضراء (Algeciras) هي ميناء في أقصى جنوب أسبانيا بجوار جبل طارق وتسمى أيضاً بجزيرة أم حكيم وهي جارية لطارق بن زياد. كان قد حملها معه عند غزوه لأسبانيا ثم تركها فيها فنسبت اليها . أنظر إبن الكردبوس : تاريخ الاندلس (الاكتفاء) ، ص ٩٠، هامش ٩ رقم ٣ .

٣) إبن أبي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٠.

المنصور يدعوه الى حربه ، فأثار ذلك الخطاب غضب الخليفة وأمر بقراءته على الموحدين والعرب وقبائل زناته وسائر الاجناد فأشتد حماس الجميع للجهاد ، وأمر الخليفة ابنه وولي عهده الامير محمد بكتابة الرد عليه ، فكتب على ظهره قال الله العظيم : (إِرْجِعْ إِلَيهِمِ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) (١). الجواب ماترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي (٢):

ولا كتب إلا المشرفية عنده　　ولا رسل إلا الخميس العرمرم (٣)

وقيل عن سبب عبور الخليفة الى الاندلس : "أن يعقوب لما قاتل الفرنج سنة سته وثمانين وصالحهم بقي طائفة من الفرنج لم ترضى الصلح ... فلما كان الآن (أي سنة ٥٩١هـ) جمعت تلك الطائفة جمعاً من الفرنج وخرجوا الى بلاد الاسلام فقتلوا وسبوا و غنموا وأسروا وعاثوا فيها عيثاً شديداً فانتهى ذلك الى يعقوب فجمع العساكر وعبر المجاز الى الاندلس" (٤).

إستنفر الخليفة الناس للجهاد ضد النصارى فاقبلوا عليه من كل مكان، وأمر باخراج افراك (٥) والقبة الحمراء والمصحف الشريف في ذلك

---

١) القرآن الكريم: سورة النمل ، آية ٣٧.

٢) هو الشاعر ابو الطيب المتنبي كوفي المولد، شامي المنشا وبها تخرج ومنها خرج نادرة الفلك وواسطه عقد الدهر في صناعة الشعر...ثم هو شاعر سيف الدولة الحمداني ومولده سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وكانت وفاته سنة ٣٥٤هـ/٩٥٥م أنظر الثعالبي: يتيمة الدهر، ج١، ص١١٠-١١١.

٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢١.

٤) ابن الاثير: الكامل ، م ٩ ، ص ٢٣٣.

٥) عبارة عن دارة كبيرة تشتمل على بيوت وقباب مصنوعة من نسيج الملف والحرير تقام للملوك أثناء تنقلاتهم باهلهم ومتاعهم فيها وأصل الكلمة (فراق) لانها أفراق يفرق بين الملك وبين مرافقيه في السفر من وزراء وجنود . أنظر ابن أبي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٢.

اليوم ، ثم خرج من مراكش سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م. واجاز من قصر مصمودة(١)، وهناك قام بتنظيم الجيش وتموينه وكان أول من أجاز الى الاندلس قبائل العرب ثم زناته، ثم المصامدة ، فغمارة، فالجيوش المطوعة، ثم الموحدين فالعبيد واستقرت بالجزيرة الخضراء (٢)، ثم عبر الخليفة الى طريف (٣) وقيل الى الجزيرة الخضراء (٤)، وواصل طريقه الى إشبيليه ونزل بظاهر بحيرة باب جهور فبادر الناس بالسلام عليه، وأمر الشيخ أبابكر بن زهر (٥) بانزال الاشياخ والاقارب في الدور المعدة لهم، وقام بعدها بتفقد حصن الفرج واداء صلاة الجمعة حيث خطب أبو علي بن حجاج بسورة (ق) وهي أول جمعه قرىء بها في الاندلس (٦). وقد كانت خطة الخليفة في البداية ترمي الى إختراق قلب اسبانيا وافتتاح طليطلة ومتى تم له ذلك استطاع التغلب على الممالك الاخرى بسرعة وسهولة، ولكن ما أن

---

١) يقال أن الخليفة التقي قرب البحر برجل من تجار إشبيليه فساله عن إسمه فقال: على ابن عسكر. فقال الخليفة علا عسكرنا ورب الكعبة فاستبشر بذلك. أنظر الغرناطي: رفع الحجب، ج٢، ص ١٥٤.

٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٢.

٣) طريف (Tarifa) وهي مدينة صغيرة على زقاق جبل طارق من جهة الغرب وتسمى باسم القائد الذي وجهه موسى بن نصير للاستطلاع قبل الاقدام على فتح الاندلس وكانت هذه الغزوة سنة ٩١هـ/٧١٠م وهي تعتبر من اعمال كورة الجزيرة . أنظر محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية ، ص ٢٨.

٤) ابن ابي زرع : الانيس ، ص ٢٢٢.

٥) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الطبيب المعروف في تلك الفترة والمتوفى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م.

٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٨.

علم بوجود النصارى في الارك فقرر المسير اليهم (١).

قاد الخليفة الجيش من إشبيليه الى قرطبه على طريق النهر الاعظم، حيث نال فيها قسطاً من الراحة وغادرها من باب مورادال (٢) صوب الأرك ونزل على مقربة منه ودعى الناس الى الاجتماع وحضهم على الجهاد والتسامح وصفاء النفس ونقاء الضمير والتوبة الصادقة لله تعالى وإخلاص النية في الجهاد (٣).

عقد الخليفة أبو يوسف مجلساً للتشاور في أمر الحرب مع كبار رجال دولته وقادته، فاستشار أشياخ الموحدين ثم العرب ثم زناته ثم القبائل ثم الاغزاز ثم المطوعة ليخرج من ذلك برأي يضع على أساسه خطة محكمة لهذه المعركة. وأخيراً دعا قواد الاندلس فلما جلسوا بين يديه أعلمهم بما سمعه ممن استشارهم قبلهم،فصحيح أنهم أهل بأس وشدة ومعرفة بالحروب، ولكن ليسوا كأهل الاندلس خبرة في قتال النصارى وأساليب خداعهم. وعند ذلك اشار القواد على الخليفة بإستشارة ابي عبد الله بن صناديد (٤) الذي قال: " يا أمير المؤمنين ان النصارى أهلكهم الله تعالى أهل خدع ومكائد في الحروب فيجب علينا أن نقابلهم ونقاتلهم بما هم عليه، ورأينا في مقاتلتهم - ورأيك الاعلى - إن تقدم لهم أمامك شيخاً من أشياخ

---

١) يوسف أشباخ :تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص ٨٢.

٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام في الاندلس ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٩٩ – أنظر أيضاً :

Miranda , A H : Historia Almohade, I, p. 364

٣) الغرناطي: رفع الحجب ، ج٢ ، ص ١٥٤.

٤) أبو عبد الله بن صناديد: القائد الاندلسي الذي تولى قيادة ميمنة الجيش الموحدي في معركة الارك.

الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين والاخلاص والنصيحة لك وللمسلمين بجيوش الاندلس وحشودها وجميع من في عسكرك من العرب وزناته والاغزاز والمصامدة وسائر قبائل العرب من المتطوعه وغيرهم وتعقد له رايتك المنصورة فيقاتل بهذا العسكر المبارك عسكر العدو ... وتقعد أنت بجيوش الموحدين ...والعبيد والحشم بالقرب من موضع المقاتله في موضع خفي رداً للمسلمين فإن ظفرنا بعدونا فبفضل الله تعالى ...وان كان غير ذلك تكون انت بعسكر الموحدين حماية للمنهزمين فتلقا العدو بهم وقد انكسرت شوكته وذهبت قوته وحدته ... فقال له المنصور نعم والله الرأي ما رأيت فلقد وفقك الله تعالى فيما اشرت ... (١).

وقام الخليفة باعداد خطة للقتال وأختار كبير وزرائه أبا يحيى بن أبي حفص (٢) فولاه القيادة العامة للجيش لما عرف عنه من الفطنة وصفاء الذهن والشجاعة ، في حين ترك زعماء الاندلس يتولون قيادة جيوشهم ضماناً لعدم إضطراب صفوفهم ، ولخبرتهم في طرق تنظيمهم وتوجيههم ، بالاضافة الى اشارة ابن صناديد بأن تتولى الجيوش النظامية من المغاربة والاندلسيين مواجهة العدو في الهجمة الاولى ثم تقوم البقية من طوائف الجند بالامداد والعون ، في حين يرابط الخليفة بقواته خلف التلال على مسافة قريبه ينقض منها في الوقت المناسب على الاعداء وهم

---

١) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٤.

٢) هو أبو يحيى بن ابي محمد بن ابي حفص وزير المنصور الموحدي وقد عهد اليه الخليفة بالقيادة العامة للجيش الموحدي في معركة الارك ضد قشتاله وابلى في القتال بلاءاً حسناً واستشهد في تلك الموقعة . ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ١٧٠، ٢١٩.

منهكون، فيكون بمثابة قوة معنوية تسهم في تدعيم الجيش (١). وأما ما يخص قبائل العرب والبربر فنجده عقد لجرمون بن رياح (٢) على جميع قبائل العرب ، ومنديل المغراوي (٣) على قبائل مغراوة، ومحيو بن ابي حمامه بن محمد على قبائل مرين (٤)، وتجليدن على قبائل هسكورة وسائر المصامدة (٥)، ومحمد بن منغفاد على قبائل غمارة (٦)، والحاج الصالح ابي خزر يخلف الأوربي (٧) على المطوعة والكل تحت نظر الوزير القائد أبي يحيى بن أبي حفص. ونظم الخليفة أبو يوسف الجيش للمعركة بحيث جعل القوات النظامية تحتل القلب ، وفي الميسرة الجند العرب أو أعقاب فاتحي المغرب من المسلمين ومعهم زناته وبعض قبائل البربر الاخرى تحت الويتهم الخاصة. وفي الميمنه قوى الاندلس بقيادة أبي عبد الله بن صناديد ، وفي المقدمة المطوعة والاغزاز والرماة تحت اعلامها الخضراء لبدء القتال في حين أحتل أبو يحيى مع هنتاته القلب (٨). وأنتظمت الجيوش للمعركة وأخذ الامير جرمون بن رياح امير العرب يثير حماس الجند ذاكراً قول الله تعالى : " يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

---

١) شوقي ابو خليل : الأرك ، ص ٥٥-٥٦ –
عبدالكريم التواتي : مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ، ، ص ٢٧٨- يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس، ج٢ ، ص ٨٣-٨٥.

٢) جرمون بن رياح قائد عربي وقام بقيادة القبائل العربية في معركة الارك .

٣) منديل المغراوي : قائد من قواد معركة الارك وتولى تنظيم قبائل مغراوة أثناء القتال .

٤) محيو بن ابي حمامة بن محمد قائد قبائل بني مرين في المعركة، وبني مرين من اعلى قبائل زناته حسباً واشرفها نسباً، انظر ابن ابي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٢٥، ٢٧٨.

٥) من قبائل البربر.

٦) محمد بن منخفاد قائد بربري في معركة الارك وتولى الاشراف على قبائل غماره.

٧) ابو خرز يخلف الاوربي هو قائد من قواد البربر وتولى الاشراف على المتطوعه.

٨) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٥-٢٢٦ – شوقي ابو خليل : الأرك ، ص٥٨- يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس ج٢. ص ٨٥.

تُفلِحُونَ" (١)، " يآ أَيُهَا الِذَينَ آمنُواْ إن تَنصُرُواْ اللّهَ ينصُركُمْ وَيثَبتْ أَقْدَامَكُمْ" (٢). وقبل المضي في وصف المعركة الحاسمة نقوم بعملية متابعة للقشتاليين أيضاً في هذه الموقعه وموقفهم منها.

فعندما علم ملك قشتاله الفونسو الثامن بنبأ عبور الخليفة الموحدي أبي يوسف بجيوشه الى الاندلس لحربه ، جمع الكورتيس على عجل في مدينة كريون (٣). وأخذ أهبته في الاستعداد للقاء الموحدين وأستدعى سائر أتباعه من الامراء والاشراف بقواتهم ، بالاضافة الى مشاركة فرسان قلعة الداوية (٤)، وإزاء هذا الخطر الموحدي الذي رأي ملك قشتاله أنه لا يهدده هو بمفرده فقط بل يهدد جميع الممالك النصرانية الاخرى سارع الى طلب العون والنجده من ملكي ليون وناڤار، فوعداه بذلك يدفعهما فيما يظهر تحريض الجند والشعب ورجال الدين، اذ لم يكن لديهما شخصياً الرغبة الصادقة في مساعدة ملك قشتاله، ومرد ذلك الى الخلافات القائمة بين ليون وناڤاروبين قشتاله (٥).

---

١) القرآن الكريم : سورة آل عمران ، آية ٢٠٠.

٢) سورة محمد آية ٧.

٣) كريون إحدى مدن قشتاله .

٤) فرسان الداوية أوفرسان المعبد ومهمتهم حماية النصرانية ومحاربة المسلمين وظهرت في إمارة برشلونه وبدأ ظهور هذه الجماعة وغيرها في النصف الاول من القرن الثاني عشر الميلادي عن ذلك. أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث، القسم الأول، ص ٥١٨-٥١٩.

٥) يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس، ج٢، ص ٨٤- وانظر ايضاً:

Altamira, R: Spain, P. 409.

أعد ملكا ليون وناڤار جيوشهما وسارا على مهل لنجدة ملك قشتاله الذي تطرق اليه الشك في صدق نواياهما أذ شعر بعزمهما على الغدر به منتهزين فرصة إنشغاله بحرب الموحدين وبهذا يكون القضاء التام على قشتاله خصوصاً في حالة نجاح المسلمين ضدها. ولهذا قرر ملك قشتاله نبذ الاساليب الحربيه القديمة وهي تجنب الاشتباك مع العدو في المواقع الفاصلة واللجوء الى التحصن في القلاع لارغام قوى المسلمين على الانسحاب إما لنفاذ المؤن أو لتفشي الامراض أو لحلول الشتاء ، ولكن ضخامة جيشه أنسته كل ذلك وجعلته واثقاً من كسبه للمعركة امام أعدائه مؤملاً إحراز النصر بمفرده (١).

وغادر ملك قشتاله طليطله ولم ينتظر مقدم حليفيه وسار مسرعاً نحو الجنوب واخترق نهر وادي يانه (٢) متجهاً نحو أراضي قلعة رباح ثم الى طلبيرة (٣) ، وكان قبل ذلك بفترة قد قام بإنشاء حصن جديد في المحلة

---

١) شوقي ابو خليل : الأرك ، ص ٥٦-٥٧ - يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٨٤-٨٥- وانظر أيضاً :

Miranda, A .H : Las Grandes Batallas,P. 207-208.

: La campaña de Alarcos, p . 62- 63.

٢) نهر وادي يانه يمر بقرية يانه الى قلعة رباح ثم الى حصن ارنده ومنه الى مارده ، ثم يمر بمدينة بطليوس فيسير منها الى مقربة من شريشه ثم الى حصن مارتله فيصب في المحيط . أنظر الادريسي : المغرب وارض السودان ص ١٨٦.

٣) طلبيرة (Talavera) : مدينة بالاندلس من أعمال طليطلة على نهر تاجه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٧.

المسماة بالارك (١)، وفيها عسكر ملك قشتاله بجنده للقاء الموحدين مصمماً عدم تركهم إجتياز تلك الحدود الى بلاده.

أما عدد الجيش القشتالي فاختلفت فيه الروايات وهذا شيء طبيعي أحياناً في مثل هذه المواقع الفاصلة والهامة فهناك من يقول أنه يزيد على ثلاثمائة ألف (٢) ما بين فارس وراجل، بينما تشير رواية أخرى أنه يزيد على خمسة وعشرين ألف مقاتل، ومائة ألف راجل (٣)، في حين ذكرت بعض الروايات الاجنبيه (٤) أن عدد الجيش الموحدي ستمائة ألف مقاتل، في حين قيل أن عدد الجيش الموحدي " ...مائتي الف مقاتل، مائة الف يأكلون من الديوان، ومايه الف متطوعه ... وجاءالفنش في مائتي واربعين الف..." (٥) وهذه جميعها بالطبع أرقام فيها بعض المبالغة.

نظم ملك قشتاله جيشه في تلك الاثناء بحيث جعل قلعة الارك تحمي موقعه من جانب وتحميه من الجانب الآخر بعض التلال التي لا يمكن الوصول اليها إلا بواسطة بعض الطرق الضيقة الوعرة، وبهذا الوضع يحتل موقعاً عالياً (٦) في حين عسكر الجيش الموحدي في السهل المنبسط أمام ربوة الارك، وقد تقدمت فرقة من الجيش النصراني صوب الجيش الموحدي دون أن تشتبك معه ولم تلبث أن عادت الى موقعها مرة أخرى.

---

١) حصن على بعد عشرين كيلو متراً الى الشمال الغربي من قلعة رباح على أحد فروع نهر وادي يانه ومحلها اليوم كنيسة تسمى (Sta Maria do Alarcos) وتقع على بعد أحد عشر كيلو متر في غربي المدينة الاسبانية الحديثة (Ciudad Real) اي المدينة الملكية وهي نقطة الحدود الفاصلة بين قشتاله والاندلس في ذلك الوقت. أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢٠٠- شوقي ابو خليل : الأرك ، ص ٥٤.

٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٧.

٣) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٤٥.

٤) يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس ، ج ٢ ، ص ٨٥.

٥) الباعوني: تحفة الظرفاء ، ورقه ؟٦٦١

٦) شوقي ابو خليل : الأرك ، ص ٥٩ – يوسف اشباخ : تاريخ الاندلس ، ج ٢ ، ٨٥-٨٦.

أما عن جغرافية المكان الذي جرت فيه المعركة فيلاحظ أنه يقوم على نفس الربوة التي كان يحتلها حصن الارك كنيسة القديسه مريم صاحبة الارك ، ويقع غربي مدينة ثيودادريال الحديثة وشمال غربي بلدة بوبليتي الصغيرة وتقود اليه طرق جبلية معبدة تخترق في البداية بسيطاً أخضر من الارض يؤدي الى مجموعة من الهضاب . وتقع ربوة الارك على أربعة كيلومترات من هذه الهضاب والتي تقوم عليها فوق أنقاض الحصن القديم الكنيسة. وهي عبارة عن بناء قديم وسط فناء شاسع تحيطه أسوار قديمه وبداخله كنيسه بها صفان من العقود الكبيرة تحتوي كل منها على أربعة عقود. أما آثار الحصن فتبدو في مصطبه صخرية ممتدة خارج سور المعبد على حافة الربوة،وتدور حولها مما يدل على ان المعبد قد بني فوق موقع الحصن بالإضافة إلى وجود بقايا من أسوار الحصن تقع غربيه، كما يوجد في الناحية الخلفية من الربوة وهي تطل على نهر وادي يانه آثار عقدين قديمين. وعند نهاية الانقاض غرباً كتله كبيرة من الاحجار والصخور وتحتها آثار سرداب قديم يقال ان الفرسان تقود منه خيلها الى النهر لتشرب من مائه، كما أن أنقاض المصطبه السابقة تصل الى هذه الكتلة من الانقاض مما يدل على إمتداد الحصن الى هذا المكان. وتشرف الربوة في إتجاه الجنوب على وادي عميق متدرج يحتمل أن يكون هو مكان المعركة في حين يجري نهر وادي يانه بحذاء الوادي من شماله وغربه ويأخذ في إنحناءة كبيرة حول ربوة الارك ويطلق على الوادي حالياً (Villa Diego) وعلى أساس ما سبق يمكن القول على وجه التقريب أن موقع الجيش القشتالي كان يأخذ مكاناً متصلاً بمشارف ربوة الارك بالقرب من الحصن ويمتد في إتجاه قرية بوبليتي ومستنداً الى الحصن والى نهر وادي يانه في حين إحتل الجيش الموحدي البسيط الواقع قبالتهم في أسفل الوادي

مستنداً غرباً الى يسار النهر (١).

استعد الجيشان للمعركة ووقفت كل فرق الجيش الموحدي في مكانها وبشعارها المميز في حين وقف الخليفة بحرسه كامناً في مكان يسهل منه متابعة تطورات المعركة ويكون بعيداً عن أنظار القشتاليين إنتظاراً للحظة المناسبة التي يهاجم فيها النصارى .

وفي البداية حمل النصارى بكل عنف وشدة على الجيش الموحدي وتركز الهجوم على الميسرة فاسفر عن تقهقر جماعة من المطوعه واخلاط السوقه فأمر الخليفة من كان حوله بالثبات وإخلاص النيه ومشى منفرداً وسط الصفوف يثير حماس الجند ويقوي عزائمهم فكان لذلك وقع عظيم في نفوسهم فشددوا هجومهم على القشتاليين واشتدت وطأة المعركة " ونسخ الله ماأراهم من اغترارهم - فولوا الادبار وشملهم الادبار - وركبهم السيف وتقسمهم النهب والحيف" (٢).

وفي رواية أخرى لهذه المعركة واصفة إياها بايضاح أكثر من سابقتها تشير في البداية الى تحرك عدد كبير من جيش النصارى يقدر بسبعة آلاف الى ثمانية آلاف فارس مندفعين بقوة نحو جيش المسلمين،

---

١) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث القسم الثاني، ص ٢٠٣-٢٠٤ - وأنظر أيضاً :

Miranda , A. H : Las Grandes batallas , p . 166- 168. انظر صورة رقم ٢ - ٣

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٩-٢٢٠ - أنظر أيضاً :

Miranda , A. H : La campaña de Alarcos, p . 44-45, 58- 59.

فأمر أبو يحيى بن أبي حفص مناديه بحث المسلمين على الثبات والصبر وإخلاص النيه في الجهاد، فإما الشهادة والجنة وإما الفوز والاجر، كما قام عامر الزعيم العربي (١) بحض المسلمين على الثبات. وكانت تلك الهجمة الاولى من جيش النصارى على المسلمين تلتها هجمة ثانية ثم الهجمة الثالثة، في حين أخذ ابن صناديد والزعيم العربي يحضان المسلمين على الثبات. وقد حرصت الهجمة الثالثة لجيش النصارى على الاندفاع بقوة ناحية قلب الجيش الموحدي الذي وقف فيه القائد العام أبو يحيى بن أبي حفص ظانين أنه أمير المؤمنين فثبت أبو يحيى أمام النصارى وقاتل قتالاً شديداً حتى استشهد واستشهد معه عدد كبير من قبيلة هنتاته والمطوعة وغيرهم. وعندما رأى المسلمون استشهاد القائد قويت عزائمهم وأحاط العرب والمطوعة والاغزاز والرماة بالنصارى الذين إندفعوا من كل جانب، ودفع ابن صناديد بحشود الاندلس الى المعركة وزحفت معه قبائل زناته والمصامدة وغمارة وسائر البربر نحو الربوة التي فيها الفونسو الثامن يقاتلون من بها من النصارى. وكثر القتل فيهم واشتد ضغط الموحدين عليهم فحاولوا التراجع ناحية الربوة للإعتصام من المسلمين فحال المسلمون بينهم وبينها واحاطوا بهم فحصدوهم وأبادوهم عن آخرهم، فأثر ذلك في قوة الفونسو الثامن اذ كان جل من مات فيها من أكابر النصارى وأعظم قواده ومعظم من كان إعتماده عليهم في حروبه ،فهاج لذلك واشتد جنونه واندفع بقواته نحو المسلمين مقاتلاً بكل ضرواة وشراسة وكانت البشائر قد بلغت الخليفة أبا يوسف بانكسار قوة ملك النصارى فضربت الطبول وزحف بجنوده وقواته الاحتياطية من مكان انتظاره، وعندما رأى

---

١) عامر هو أحد زعماء العرب المشاركين في هذه الموقعة.

الفونسو ذلك واستفسر عنه فاخبروه أن تلك جيوش الموحدين بقيادة الخليفة نفسه، وأن القوات التي قاتلته طوال اليوم ما هي إلا طلائع جيوشه فدب الرعب في قلوب النصارى وولوا على ادبارهم منهزمين، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وفر الفونسو بمن بقى من جنده، واستولى الخليفة على حصن الارك عنوة (١).

أما الرواية النصرانية فتحدثنا عن خروج الفونسو الثامن ملك قشتالة الى الأرك للقاء الموحدين مصمماً عدم تمكينهم من إجتياز الحدود الى داخل بلاده ، ولم يقم بانتظار ملك ليون القادم لمشاركته القتال ضد الموحدين .

وفي موقع المعركة أعد الفونسو الثامن جيوشه للقاء الموحدين صباحاً ، ولكن لم يقع الاشتباك بين الفريقين كما خطط ملك النصارى لذلك اليوم ، في حين قاسى جنوده من التعب والعطش والاجهاد الشيء الكثير لثقل ملابسهم الحربية ، وما أن مر اليوم التالي هادئاً دون أية حركة من الموحدين لقتال النصارى حتى ساورتهم الشكوك والظنون في خوف الخليفة وجنده منهم ، وفي اليوم الثالث كان اللقاء الحربي المنتظر بين الفريقين ، وألقى زحف القوات الموحديه الى ميدان المعركة الرعب والخوف في قلوب النصارى فخرجوا لصد الجيوش الاسلامية دون نظام ولا إستعداد مما أدى الى سقوط الكثير من كبار النصارى قتلي ، كما حصدت سهام العرب الكثير من جنود النصارى ما بين قتيل وجريح ، ولاحظ الملك الفونسو الثامن مدى الاصابات التي لحقت باتباعه وجنوده على أيدي المسلمين فاندفع بكل شجاعة وقوة مخترقاً صفوف المسلمين يضرب يميناً

---

١) ابن ابي زرع: الانيس المطرب، ص ٢٢٦-٢٢٨ - يوسف أشباخ:تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص ٨٦-٨٧.

ويساراً ، في حين وجد اتباعه إستحالة في الثبات امام قوة المسلمين نتيجة لخسائرهم الفادحة وسقوط خيرة رجالهم ومعظم قوادهم قتلي في الهجمات الاولى لبداية المعركة، فحاولوا اقناع الملك بالانسحاب حفاظاً على حياته، ولكنهم فشلوا في ذلك لاصرار الملك القشتالي على الانتقام لمقتل رجاله وجنوده، فما كان منهم إلا أن قاموا باخراج الملك بالقوة من ميدان المعركة فارين به نحو طليطلة حفاظاً على حياته وخوفاً على عرش البلاد فيما لو وقع قتيلاً في ميدان المعركة. وقد استطاع أحد اشراف النصارى ويدعى دون ديجولوبث دي بثكايا (Don Diego López de Vizcaya) بما معه من أسرى الموحدين وفلول القشتاليين التحصن في حصن الارك ، فقام رجال الخليفة بحصاره وتضييق الخناق عليه ، ولم يلبث ان أخلى الموحدون سبيله فتوجه الى طليطله في إثر ملكه عقب إطلاقه لسراح الاسرى (١).

تعليق على المعركة :-

وعن هذه المعركة نلاحظ أن رواية ابن عذارى - واحتمال انه ينقل عن ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالامامه - انها موجزة ، بينما رواية ابن ابي زرع في هذا الصدد اكثر تفصيلاً بالاضافة الى الرواية النصرانية وجميع هذه الروايات تشير الى بدء النصارى بالهجوم على الموحدين ، وفي هذه النقطة نلاحظ في رواية ابن عذاري أن هجوم النصارى استهدف الميسرة ، وفي رواية ابن ابي زرع استهدف القلب حيث القائد العام أبو

---

١) عن الرواية النصرانية :

Miranda, A .H : Las Grandes batallas,p. 207-209-

〃 : La campaña de Alarcos, p .62-64.

انظر صورة رقم ٢ - ٣

يحيى براية الخليفة ظانين أنه المنصور نفسه ، في حين أن الميسرة بها جند العرب وزناته والبربر القادمين من المغرب وهم أصحاب حظ كبير في الجهاد وأساليب الحرب،ولكن ليست لهم دراية بمكر النصارى وأساليب خدعهم الحربية،والتي خبرها الاندلسيون على طول المدى ، ولهذا إجتنب النصارى الجناح الايمن من الجيش الموحدي والذي تمركزت فيه الحشود الاندلسيه بقيادة ابن صناديد.

فاذا أخذنا برواية ابن عذارى - والتي افترضنا أنه نقلها عن ابن صاحب الصلاة حيث لم يصلنا من كتابه سوى الجزء الثاني والذي توقف المؤلف في سرد حوادثه عند سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م - وابن ابي زرع بروايته الاكثر تفصيلاً - ولعله استقى معلوماته من أبناء الجند المشاركين في المعركة فنستطيع القول باحتمال أن أول هجمة كانت أولاً على الميسرة لإخلال نظامها ولابعادها عن القلب الذي يقاتل فيه القائد أبو يحيي براية الخليفة، ثم كانت الهجمة الثانية للمساعدة على وجود أكبر عدد من النصارى بين الميسرة والقلب أو بعنى أصح عملية تطويق للقلب من الجهة اليسرى ثم الهجمة الشديدة الثالثة مستهدفة القلب ذاته لقتل الخليفة. فالقشتاليون يعلمون أن قتل الخليفة سيؤدي الى إختلال الجيش الموحدي وسهولة التمكن منه فيما بعد ، خاصة لما سبق ولا حظوه من إختلال الجيش الموحدي عندما تمكن البرتغاليون من إنزال الهزيمة بالمسلمين في شنترين ، واستطاعت فرقة من جيش النصارى الوصول الى الخليفة ابي يعقوب والد المنصور،واصابته اصابة قاتله اودت بحياته فيما بعد أثناء إنسحاب الجيش من تلك المعركة .فاذا تيسر للنصارى الآن قتل الخليفة في البداية لاستطاعوا فعلاً الاخلال التام بالجيش الموحدي والقضاء على الروح المعنوية للجنود ومن ثم سهولة إيقاع الهزيمة بالمسلمين وسحقهم - وهم بدون قائد

أو حاكم – بالاضافة الى إعتمادهم على كثرة جنودهم وتمركز جشيهم في ربوة الارك ووجود ملكهم بينهم .

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، حيث استمر الجيش الموحدي يقاتل بشجاعة وخاصة عقب إستشهاد القائد العام أبي يحيى ، وأندفاع ابن صناديد بحشود الاندلس مقتحماً صفوف النصارى ، بالاضافة الى حرص الخليفة على رفع الروح المعنوية للجند على إثر إستشهاد القائد العام ، وقد كان القشتاليون على غير علم بخدعة ابن صناديد القائد الاندلسي الذي طلب من الخليفة البقاء بحرسه ورجاله للجولة الاخيرة للقضاء على النصارى وهم منهكون من المعركة .

أما الرواية النصرانية التي تقول باختلال جيشهم نتيجة مفاجأة الموحدين لهم بتحركهم المبكر فهجموا بقوة فقتل الكثير منهم،فالواقع أنه لم يصبهم الاختلال من عنصر المفاجأة لانهم حسب روايتهم قدموا الى الارك استعداداً لخوض المعركة ضد المسلمين ، ولكن إنتابهم الخوف والذهول من حسن نظام الجيش الموحدي وتوزيعه،بالاضافة الى إعترافهم باصابات الجيش النصراني من سهام العرب مع سقوط الكثير منهم ما بين قتيل وجريح،ولما خاض الخليفة المعركة أثر خوض الفونسو الثامن للقتال وهو في حالة ضعف وجنون،نظراً لما فقد من جيشه ونتيجة لخسائره الكبيرة، كانت تلك الحركة أيضاً عنصر مفاجأة لم يتوقعه ملك قشتاله،الذي ألقى بكل ثقله في المعركة حيث أنها في تلك اللحظة أصبحت بالنسبة له مسألة حياة أو موت وتعني له الشيء الكثير ، فأنتصاره على جيش الموحدين كافٍ لإرهاب أعدائه وأصدقائه الذين إمتنعوا عن مساعدته وتركوه وحيداً أمام جيش المسلمين ، فانطلق يضرب في الموحدين يميناً ويساراً. وقد تركه الخليفة في المعركة لبعض الوقت ثم قام الخليفة بمفاجآته في تلك الحركة

التي قضت على الروح المعنوية تماماً للجيش النصراني وتأكد بالفعل نجاح خطة ابن صناديد في هذه الموقعة، حيث لاحظ النصارى أن لافائدة من الاستمرار في القتال نظراً لضخامة القوة التي دخل بها الخليفة المعركة وهي في أوج نشاطها في حين كان الملك القشتالي وجنده في غاية التعب والاضطراب . وعند ذلك وجد الجند النصراني أن من الحكمة الفرار بملكهم من ميدان المعركة حفاظاً على حياته وحماية لعرش بلاده من أعدائه.

أما عن تاريخ هذه الموقعة الهامة فقد اتفقت معظم الروايات الاسلامية والنصرانية على تحديده بسنة ٥٩١هـ/١١٩٤م (١) ، وهو الأصح ، بينما نجد رواية أخرى تحدده بسنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م فتشير لذلك قائلة : "... وفي أوائل شعبان سنة اثنتين وتسعين وفيها غزا يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب بالاندلس الفرنج ...انتصر فيه المسلمون وقتل من الفرنج مالا يحصى وولوا منهزمين..." (٢) . وقيل في تاريخها أيضاً

١) المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٢-٢٨٣، ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٧ - ابن ابي العافية : جذوة الاقتباس ، ص ٣٤٩- النويري : نهاية الارب ، ج٢٤ ، ص ٣٣٢- الوزير السراج : الحلل السندسيه ، ج١ ، القسم الرابع ، ص ٦٩٣- ليفي بروفنسال : الحضارة العربية ، ص ٣٤-

- أنظر أيضاً :

Miranda, A .H : Las Grandes Batallas,p.139 -

Arie, R : History de España, II, p.34 .

Chapman, C.E : AHistory of Spain, p. 71

٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ج ٢٧، القسم الثاني، ورقة ١٢١.

أنها وقعت في سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م (١)، وهذا بالطبع غير صحيح، والأصح في وقتها سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م وهو ما اتفقت عليه معظم الروايات العربية والأجنبية .

مفاوضات تسليم قلعة الارك (رواية برتغالية نشرسيرُوت)

تشير الرواية الى موقف ملك قشتاله وإحتقاره لدون ديجو دي لوبث وبعض اشراف المملكة نظراً لعدم مساهمتهم بتقديم أية مساعدات للنصارى في هذه المعركة. وكان دون ديجو قد حلف الاّ يفعل أربعة أشياء أولها: عدم إنسحابه من الميدان براية الملك، وثانياً: عدم الاشراف على أية قرية أو قلعة يعهد بها الملك إليه. وثالثاً: الوفاء بالوعد مقابل الابقاء على حياة الرهائن. ورابعاً عدم رجوعه بعد اعداد فرسه للهجوم. ولكن اسفرت الحوادث عن ما لم يكن في حسبانه، فاضطر الى الفرار براية الملك، والتحصن في قلعة الارك التي استبسل في محاولة حمايتها من السقوط في ايدي الموحدين ولكنه فشل في ذلك، بالاضافة الى تسليمه لاثني عشر فارساً رهينة لدى المنصور مقابل ذهابه أسيراً الى مراكش فلم يف بذلك وقام الموحدون باعدام الرهائن.

تعرض معسكر دون بيدروفرنانديث دي كاسترو (Don pedro Fernández de Castro) للاعتداء عليه من قبل صهري دون ديجو لوبث وهما دون ألبرو (Don Alvaro) ودون خنثالو (Don Gonzalo) الذين لم يلبثا أن إنسحبا عائدين الى القلعة بصحبة دون ديجو ، فأصر دون بيدرو

---

١) عبد الله العروي : تاريخ المغرب ، ص١٩٢.

على الانتقام من المعتدين، وكان الخليفة المنصور قد رأى إلتجاء دون ديجو الى القلعة براية الملك القشتالي فطلب من دون بيدرو التحقق عن مكان وجود الملك القشتالي ومصيره، فاخبرهم دون ديجو بفراره مع أتباعه الى طليطله، ومع ذلك أصر المنصور على عدم رفع الحصار عن القلعة وباستسلام من فيها أو الموت. وأعقب ذلك قيام دون بيدرو بتفتيش القلعة للتأكد من صدق ما قيل له، وعلى الرغم من ذلك طالب دون بيدرو باستسلام القشتاليين حفاظاً على حياتهم وبتسليم صهري دون ديجو للخليفة لعقابهما نظراً لإعتدائهما على معسكر دون بيدرو حليف الموحدين، وفي اليوم التالي وافق دون ديجو على الاستسلام لنفاذ المؤن الموجودة في القلعة ولكن أمر رجاله أن لا يقوموا بتسليم القلعه إلا بعد إبتعاده عنها مع صهريه بحوالي فرسخ كامل ضماناً لعدم لحاق الموحدين بهم، وبعث دون ديجو باثني عشرة رهينة للموحدين مقابل تسليم القلعة، مع ضمان الافراج عنهم بعد إنتهاء الموحدين من إستلامها وغادر دون ديجو القلعة بصحبة صهريه بعد إخفائه لشخصيتيهما حتى لا يقعا في أسر دون بيدرو وأستسلم النصارى للموحدين حيث أطلق سراحهم فيما بعد (١). في حين تشير الرواية الاسلامية الى إلتجاء هؤلاء النصارى الى حصن الارك بعدد كبير من أسرى المسلمين بلغ خمسة آلاف شخص، فحاصرهم المسلمون وتوسط دون بيدرو (او بيطره بن فراندس) بين الموحدين والنصارى على إطلاق من في الحصن من النصارى مقابل الافراج عن الاسرى المسلمين، وأخذ منهم رهائن مقابل استسلام دون ديجو ووجه الخليفة بهم الى إشبيليه ثم الى

---

١) عن ذلك أنظر :

Miranda, A .H : Las Grandes batallas,p 212-216.
Miranda, A .H : La Campaña de Alarcos, p . 67- 71.

رباط لفتح لعدم إيفاء دون ديجو بما وعد به للموحدين (١).

وفي رواية أخرى ان عدد الاسرى النصارى الذين وقعوا في يد الخليفة من حصن الارك أربعة وعشرين ألفاً فاطلق سراحهم وعد ذلك سقطه من سقطات الملوك (٢).

قام الخليفة المنصور بالاستيلاء على بعض الحصون الهامة مثل برج واد لرثا (La Torre de Guada lerza) وملجون (Malagón) وبنابنتي (Benavente) وقلعه رباح وكاراكويل (Caracuel) (٣)، وسار الخليفة "حتى أتى قلعة رباح وقد إنجلى عنها أهلها فدخلها وأمر بكنيستها فغُيّرت مسجداً فصلى فيها المسلمون وأستولى على ما حول طليطلة من الحصون .." (٤).

وفي رواية ان الإستيلاء على قلعة رباح تم على إثر معركة عنيفة وقعت بين النصارى والموحدين واسفرت عن قتل نونيودي فوينتس قائد فرسان قلعة رباح (٥).

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٠.

٢) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢٢٨ - انظر خريطه رقم (٥)

٣) عن ذلك أنظر :

Miranda, A .H : Las Grandes Batallas,p 209.

" : La Campaña de Alarcos, p . 64.

٤) المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٣ - ابن الاثير : الكامل ، م٩ ، ص ٢٣٣.

٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٢١٤- الواقع ان الروايات النصرانية لم تشر الى قوع أية معارك عند سقوط قلعة رباح ، بل ذكرت إستيلاء الموحدين عليها الى جانب عدد من الحصون والقلاع مثل ملجون وبنابنتي وغيرها.

وقد قدرت خسائر النصارى في هذه المعركة بثلاثين الفاً من القتلى(١) في حين بلغ عدد قتلى الموحدين نحو عشرين ألفاً (٢)، وفي رواية ان عدد اسرى النصارى أربعة وعشرون ألفاً (٣)، وقيل بل ثلاثة عشر ألفاً، والواقع أن هذه الارقام فيها كثير من المبالغة، وكذلك الأمر بالنسبة للغنائم (٤).

عودة المنصور الى إشبيليه :

عاد الخليفة الى إشبيليه ظافراً منصوراً وجاءته الوفود مهنئة بهذا الفتح العظيم وأمر كاتبه أبا الفضل بن أبي طاهر بالكتابه بذلك الى سائر الاقاليم والعمال وأن يوجز فيه على هدى كتب الصحابة رضوان الله عليهم في فتوحاتهم وقد قام الشعراء بتخليد هذا الفتح ببعض القصائد الشعرية فقال الشاعر أبو العباس الجراوي :

هو الفتح أعيا وصفه النظم والنثرا ... وعمت جميع المسلمين به البشرى
وأنجد في الدنيا وغار حديثـــــه ... فراقت به حسناً وطابت به نشرا
تميــز بالأحجـــال والغـــرر التي ... أقل سناها يبهر الشمس والبدرا
لقد أورد الأذفــونـش شيعته الــردى ... وساقهم جهلا الى البطشه الكبرى
حكى فعل ابليس بأصحـــــابه الألى ... تبــرأ منهم حـــين أوردهـــم بدرا

---

١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٣ ، ص ٣٦٩ .

٢) ابن الاثير : الكامل ، م٩ ، ص ٢٣٣.

٣) ابن ابي دينار : المؤنس ، ص ١١٦.

٤) ابن الاثير : الكامل ، م٩ ، ص ٢٣٣ – وأنظر أيضاً :

Miranda, A .H : Las Grandes batallas,p . 157.

أطارتـــه شـــدات تـولى أمامهـا شـريداً وأنسـته التعاظم والكفرا
رأى الموت للابطـال حوليـه ينتـقـي فـطار الى أقصى مصـارعه ذعـرا
وقد أوردتـــه المـــوت طعنـــة ثائر وان لم يفارق من شقاوته العمـرا
ولم يبـق من أفنى الزمان حماتـــه وجـــرعـه من فقد أنصاره صـبرا
ألوف غـدت ماهـولة بهم الفـــلا وأمسـت خلاء منهم دورهم قفرا
ودارت رحى الهيجاء عليهم فاصبحوا هشيماًطحيناً في مهب الصبا يذرا
يطيـر بأشــلاء لـهم كل قشـعـم فما شـئت من نسر غدا بطنه قبرا
فكيــف رأى المغتــر عقبى أغـتراره وكيف رأى الغدار في عينه الغـدرا
وكـان يـرى أقـــطـار أندلـس له متى يرم يخـطىء بأسـهمه قطرا
فســـلاه يوم الاربعـاء عن المنـــى فما يرتجـــي مما تمـلكه شــبرا
اذا عـــزلته الـروم كانت نجـاتـــه وقد أحـرقت جمرا المنايا به غدرا
فـتعسـا له ما دام حـــياً ولا مــنى وكسـرا له ما دام حـيـاً ولا جبرا
بيمن الامـام الصـالح المصلح الرضي نضي سيفه الاسلام فاستأصل الكفرا
فلا زال النصـــر الالهي يقتـضـي بشائر تحصى قبل إحصائها القطرا(١)

كما أنشد الخليفة في هذه المناسبة أيضاً الشاعر علي بن حزمون من أهل مرسيه قصيدة جميلة إستحسنها المنصور والحاضرون وقد بدأها بقوله :

حيـتك مـعطرة النفـيس نفحـــات الفـــتح بأندلـــس
فذر الكـــفار ومأتـــمهم إن الإســـلام لفـــي عـرس (٢)

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢١-٢٢٢ - محمد بن تاويت: الوافي بالادب، ج١ ، ص ١٤١-١٤٢.

٢) أنظر بقية القصيدة في : المراكشي : المعجب ، ص ٢٩٣-٢٩٥.

أثـــر المـعركة على الموحدين والنصارى :

لا شك أن إنتصار الموحدين في هذه المعركة يعتبر من الانتصارات الاسلامية الرائعة، وصفحة من الصفحات المشرقة في تاريخ المغرب والاندلس، حيث كان لها دويّ هائل" وأحيت هذه الانتصارات عهد خلفاء بني أمية السعيد" (١). وخصوصاً ان هذه الانتصار والذي أحرزه الموحدون على النصارى جاء بعد فترة من إنتصارات صلاح الدين الايوبي على الصليبيين في المشرق في موقعة حطين (٢) وإستعادته لبيت المقدس. فلا شك أن تلك الضربة وفي ذلك الوقت قد تركت أثرها العميق على كلا الجانبين، فقضت هذه المعركة على قوى قشتاله لبعض الوقت وأُوقفت عدوانها على الاراضي الاسلامية في الاندلس، وسمت مكانة المنصور في عيون الاندلسيين وخاصة أنهم في جهاد مستمر مع الممالك النصرانية ، كما بث الرعب في قلوب النصارى لفترة طويلة من الوقت وجعلتهم يخشون قوة المسلمين ، بل ويتوقعون منهم الغزو لهم في عقر دارهم .

وقد ظهرت كفاءة الموحدين الحربية في هذه الموقعة من حيث حسن تنظيم الجيش ودقة توزيعه، كما كان لأخذ الخليفة بنصيحة قائد الاندلسيين والاستفادة من خبرتهم في أساليب النصارى وخدعهم الحربية أثر كبير في إحراز هذا النصر ولم يكن الأمر عائداً الى التفوق العددي لجيش الموحدين(٣) فكم من جيوش كانت أعدادها كبيرة ولكن نقصتها أشياء ومقومات هـامة أدت الى فشلها في بعض معاركها مثلما حدث في عهد أُبي

١) سيد يو : تاريخ العرب ، ص ٢٩٦

٢) عن هزيمة الفرنج في هذه الموقعة أنظر ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ١٧٧- ١٧٩ ، ١٨٢ -١٨٦.

٣) تشيرو رواية الى ان انتصار الموحدين في هذه المعركة راجع الى التفوق العددي لجيشهم ، أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الثاني، ص٢١٣ - والواقع ان ذلك غير صحيح.

يعقوب والد المنصور في غزوة وبذة أمام القشتاليين، ثم في شنترين أمام البرتغاليين والتي إنتهت نهاية سيئة أودت بحياة خليفة الموحدين وإصابة الجيش بخسائر فادحة وجسيمة رغم التفوق العددي لأفراده فكانت دقة تنظيم الجيش في الأرك وإستفادة الخليفة من خبرة أهل الاندلس في قتال النصارى،أثر عظيم في شل تفكير ملك قشتاله الفونسو الثامن،الذي ظن أن تحطيم قلب الجيش الموحدي وقتل الخليفة وتشديد الهجوم على المسلمين سيؤدىء الى الاخلال التام بالجيش وسهولة التغلب عليه ، ولكن الواقع كان عكس ذلك.

صحيح أن القائد العام استشهد في بداية المعركة الا أن وجود الخليفة بين جنوده في تلك اللحظات الحاسمة كان له أثر كبير في تقوية الروح المعنوية للجند وهو ما لم يتوفر للجيش الموحدي في عهد والد المنصور . كما كان لوجود القواد وقيام كل قائد بتنظيم حركة فرقته وسرعتها دون أي خلل أو أرتباك في أثناء المعركة أثر كبير في ذلك ، فعندما استشهد القائد العام لم يبق الجيش دون اشراف أو توجيه أذ ساهم بقية القادة بإشراف الخليفة على دقة سير المعركة بالاضافة الى توفير المؤن ولوازم الجنود في حينها.

كان لإحساس الخليفة باهمية هذه الموقعة بالنسبة للمسلمين ووجودهم في الاندلس وتحطيم قوة النصارى وسحقها، وتأكيد هيبته نفسه داخلياً وخارجياً ما جعله يلقي بثقله فيها ولم يترك فيها ثغرة يمكن أن تؤدي الى إستفادة النصارى منها وكانت متابعته للمعركة في كل صغيرة وكبيرة خير دليل على حنكته وحسن قيادته فأحسن إختيار الوقت الذي دخل فيه المعركة بقواته الاحتياطية التي لم يلتفت اليها القشتاليون فكانت هذه المفاجأة نفسها عليهم من القوة بمكان حيث أدت الى إختلال قواهم، وهبوط

روحهم المعنوية وشل تفكيرهم وإصابتهم بالرعب والذعر، بالتالي هزيمتهم وفرار البقية منهم حفاظاً على حياتهم وحياة ملك قشتاله نفسه.

وقد أضفت هذه الموقعة على الخليفة أبي يوسف شهرة واسعة فاصبح أبرز خلفاء الدولة الموحدية الذي استطاع بحنكته أن يسدد للنصارى ضربة شلت قواهم لبعض الوقت وأوقفت حركات الاسترداد النصرانية لفترة طويلة من الزمن، ودعمت الوجود الاسلامي في الاندلس، وأعلت مكانة الخليفة في نفوس الاندلسيين، وأجبرت النصارى على التقرب منه وطلب الصلح والهدنة فيما بعد (١). وقد بلغ سلطان الموحدين في الاندلس عقب الموقعة هذه حداً لم يصله من قبل وكانت الظروف مهيأة لذلك لما أصاب دول النصارى من تفكك، وغدت قشتاله التي كاد الموحدون يقضون عليها، فريسة حرب أهلية شهرتها عليها ليون ونبرة التي حاولت كل منهما كسب ود الموحدين والتحالف معهم، في حين أصاب أرغونه الوهن عقب وفاة ملكها الفونسو الثاني ومزقتها الحروب الاهلية، أما البرتغال فلم تكن تجرؤ على القيام بأي شيء ضد المسلمين دون معونة خارجية من الدول النصرانية الاخرى وأن كانت هي أشد الممالك النصرانية وطأة على المسلمين (٢).

وأما ملك قشتالة فقد وجه اللوم الى حليفيه ملكي ليون ونبره لتأخرهما عن نجدته، وندم في داخله على إستعجاله في لقاء الموحدين مما أسفر عن هزيمته امامهم،بالاضافة الى عدم توقعه لانضمام عدوه اللدود

---

١) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، م ١ ، ص ٢٨٨.

٢) يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس ج ٢ ، ص ٨٨.

المبعد من قشتاله بيدرو فرنانديث دي كاسترو الى الموحدين (١)، وقد كان لثقته في إنتصاره على المسلمين أن وصل معه جماعة من التجار اليهود لشراء أسرى المسلمين وكانوا قد أعدوا الاموال اللازمة لذلك (٢). ولكن الشيء الخطير الذي أحدثته هذه المعركة في نفوس النصارى أنها وجهت أنظارهم الى مدى ما بينهم من خلافات أحسن الموحدون الاستفادة منها بالاضافة الى اعتماد المنصور على سياسة فرق تسد، والواقع أنه لو قدر لهذا الخليفة العيش زمناً أطول مما عاش مع مواصلته السير على نفس النهج والسياسة التي رسمها لعلاقته مع النصارى لاستطاع إنهاء وجودهم في اسبانيا خلال وقت قصير، ولو أحسن خليفته محمد الناصر السير على نفس الطريق والمنهاج لم تقم للنصارى قائمة في تلك البلاد.

المنصور وقشتاله عقب موقعة الارك :

على اثر هزيمة النصارى في موقعة الارك فر ملك قشتاله بمن معه من اتباعه إلى طليطله في أسوأ حال، وأقسم على الانتقام من الموحدين لما ألحقوه به من هزيمة وخسائر فادحة ، فكان عليه السعي لعقد هدنة معهم يستطيع خلالها تنظيم جنوده وأعداد خطة محكمة لذلك ، فبعث رسله الى المنصور راغباً في السلام والمهادنة فتحدثنا الرواية عن ذلك قائلة: "...ولم يزل الكافر يرغب في السلم رغبة منخوب الفؤاد ...وتكررت مخاطباته فردت بالخواتيم على ادراجها مشعرة بان إستخارة الواحد القهار على غزوه بسبيل إلجامها على الله وإسراجها ..." (٣). وقد أدرك المنصور

---

١) ابن عذارى: البيان المغرب، الخاص بالموحدين، ص ٢٢٠ - يوسف أشباخ: تاريخ الاندلس ج ٢ ، ٨٧.

٢) الضبي : بغية الملتمس ، ص ٤٥-٤٦.

٣) رسائل موحدية ، رقم ٣٥ ، ص ٢٣٠-٢٣١.

بثاقب بصره أن أعطاء ملك قشتاله اي فرصة في الراحة وهو في مرحلة ضعف أمر لا تحمد عواقبه فيما بعد ، لذلك قرر غزوه في عقر داره. فجهز جيوشه وقرر السير لغزو اراضي قشتاله مستغلاً ظروف الدول النصرانية - وما تعانيه من ضعف وصراع وحروب فيما بينها - لانزال الضربات القاسية بهذه المملكة.

ففي سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م خرج المنصور بجيوشه من إشبيليه الى بلاد الجوف أو ما يعرف بمنطقة استرمادورة لاستعادة ما أستولي عليه النصارى فيها. فسار متجهاً الى حصن منتانجش (١)، وقبل وصوله اليه كان المنصور قد سير عدداً من جنده لحصاره ، وعندما وصل الخليفة الى الحصن المذكور بجيشه دب الرعب في قلوب النصارى وسارعوا الى تسليم الحصن وسرعة إخلائه، فأمر المنصور ابن صناديد بايصال من به الى مكان أمن من قشتاله ، وفي أثناء الطريق تعرضت تلك الفئة لهجوم جماعة من أوباش العرب مما أثار غضب الخليفة فأصدر أمره بعقابهم، ثم واصل ابن صناديد سيره لايصال بقية النصارى الى أوائل بلادهم (٢).

واصل الجيش الموحدي سيره الى ترجاله قاعدة الثغر الشمالي فسارع أهلها الى إخلائها فراراً فتتبعهم الموحدون بالقتل والفناء وسبوا الاحياء منهم ولم يفلت منهم إلا القليل، كما أستولوا على حصن شَنْتَقْرُوش (Santa Cruz) (٣) وفر النصارى منه. وعبر الموحدون نهر التاجه متجهين

---

١) ورد اسمه في رسائل موحديه : رقم ٣٥ ، ص ٢٣١ بلفظ منت أنتش. انظر خريطه رقم (٦)

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٣- وأنظر أيضاً :

Miranda , A .H : Las Grandes batallas , p . 171-
: Historia Almohade, I , p . 371- 372.

٣) حصن شَنْتَقْرُوش : حصن من أعمال ماردة بالاندلس ، وقيل فيه هو القلعة الحسيبه في الامتناع ، المجلوة على منصة اليفاع أول حصن بالجهة أهينت فيه شعائر الله . أنظر رسائل موحدية ، رقم ٣٥ ، ص ٢٣٢- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٣٦٧.

شمالاً نحو مدينة بلاسنثيا (plasencia) (١) - والذي أُسسها الفونسو الثامن قبل ذلك ونقل اليها الكثير من أهل الشمال - وكانت قد خلت من السكان ولم يبق بها الا الحامية النصرانية التي تحصنت في قصبتها، ولما تمكن من القصبة اعتصم النصارى في برج منيع، فامطرهم الموحدون بالنبال واضطروهم الى الاستسلام خلال ليلة واحدة، وكان خبر وقوعهم في الاسر شديداً على ملك قشتاله،لان بينهم عدداً من القادة ذوي الاهمية الكبيرة لدى ملك قشتاله (٢). وهذا ما تؤكده الرواية العربية فيما يختص بهؤلاء الاسرى والتي تضيف عنهم قولها بإرسالهم للمساهمة في بناء الجامع الكبير بسلا (ويقصد به جامع الرباط) (٣). بينما تشير الرواية النصرانية الى قتل الموحدين لعدد كبير من هؤلاء النصارى (٤).

واتجهت القوات الموحدية شرقاً صوب طلبيرة من أكبر قواعد طليطلة وأغناها - وهم يدمرون ويثخنون في أراضي قشتاله حتى المدينة المذكورة، فتركوها دون حصار لنقص مالديهم من الآلات والمؤن مكتفين بنسف وتدمير ما حولها (٥). وتابعت الجيوش الموحدية سيرها الى طليطلة (وفي الطريق توغل المنصور الموحدي شمالاً مخرباً سانتا أولايا (Santa olaiia) واسكالونا (Escalona) وحاول الاستيلاء على مكادة (Maqueda) (٦) ولكنه فشل في ذلك واكتفى بتخريب أراضيها (٧).

---

١) رسائل موحدية ، رقم ٣٥ ، ص ٣٣-٢٣٤ ، وقد نطقها إبلتانسيه.
٢) رسائل موحديه : رقم ٣٥ ، ص ٢٣٣- ٢٣٤.
٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٧٨ (نقلاً عن الحميرى، ص ١٣)
٤) Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 372.
٥) رسائل موحدية : رقم ٣٥ ، ص ٢٣٤-٢٣٥.
٦) مكادة : مدينة بالاندلس من نواحي طليطلة وهي الآن بيد النصارى - أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١٧٩.
٧) Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 372.

و صل الخليفة المنصور الموحدي الى طليطلة من جهتها الشمالية وقسم جيوشه عليها في ترتيب ونظام أذهل النصارى وقام بتخريب أراضيها وما حولها وحاصرها عشرة أيام إشتبك خلالها مع النصارى المدافعين عنها (١).

عبر الموحدون بعد ذلك نهر التاجه جنوباً بعدما أحدثوه من تخريب حول طليطله ودب الرعب في قلوب النصارى في حين وقف ملك قشتاله عاجزاً عن مواجهة خصمه،ولم يستطع إتخاذ أية خطوة لإيقاف تقدم الموحدين داخل أراضيه، وقد قرر المنصور الموحدي العودة بجيوشه نظراً لتوغله الشديد في قشتاله وخوفاً على الجند وحفاظاً على خطوط تموينه، وسار الى معقل دار الغارة (Dar AL-Gara) (٢)، ثم القلعة المسماة ببطربونة (٣) (piedrabuena) حيث حاربها وأسر فيها عددا كبيراً من جيش النصارى عاد بعدها إلى إشبيليه (٤). فقال أبو العباس الجرواي مهنئاً :

قد أصليت نارها العداة | وأنجزت فيهم العدات
وعمهم بالدمار يوم | تقصر عن وصفه الرواة
في مشهد لا تزال تتلى | آياته وهي بينات
فتح مفاتيحه المواضي | والعزمات المؤيدات
ردت حمى الغنش مستباحاً | بيض من الهند مرهفات
ذلوا لأمر الالاه قسراً | وهم أولو نجدة أباة
وغرقت جمعهم بحار | أمواجها الخيل والكماة

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٢٨ - أنظر أيضاً :
Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 372.

٢) دار الغارة : على مرحلة من طليطلة . أنظر رسائل موحدية : رقم ٣٥ ، ص ٢٣٩.

٣) قلعة تابعة لقشتاله . أنظر خريطة رقم (٦)

٤) رسائل موحدية : رقم ٣٥ ، ص ٢٣٧-٢٤٠.

رأو الحـــزب الالاه صـــبراً   والموت حـفت به الجـهات
فحـــاولـــوا منهم إنفلاتاً   وليس للخـــائن إنفـلات
فلا تسـل عن نبات مــــاء   ان صرصرت حولها البزاة (١)

غزوة المنصور الثالثة لقشتاله :

أعد الخليفة المنصور الموحدي جيوشه وخرج لهذه الغزوة سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، فسار من إشبيليه إلى قرطبة واستراح فيها بعض الوقت وأستكمل استعداده، ثم تحرك متخذاً طريق طلبيرة، وما أن وصل اراضي قشتاله حتى سارع الفونسو الثامن بارسال رسله اليه طالباً: " ...المهادنة والاستسلام والوقوف عند الأمر والإلتزام، فنظر المنصور بنور التوفيق والرشاد ألا يحل ما أنعقد عليه العزم من صريمة الغزو والجهاد فانصرف رسله من غير جواب إلا إنتظار سنان وصارم قضاب" (٢).

ولما وصل الخليفة الى طلبيرة توجه الى مكاده ولم ينل منها شيئاً مكتفياً بتخريب ما حولها مواصلاً طريقه الى طليطله حيث حاصرها وقام بإتلاف وتخريب أراضيها المحيطة بها، ثم بلغه إجتماع النصارى بقواتهم من قشتاله وأرغونه بحصن مجريط (٣)، فسارع الخليفة بقواته اليهما وضرب الحصار على هذا الحصن في حين أن الملكين انسحبا بمعظم قواتهما صوب

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٤.

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٦.

٣) مجريط (Majerit) هو الاسم القديم للعاصمة الاسبانية الحالية والتي حرف اسمها عن الاسم القديم الى مدريد (Madrid) . أنظر :

Miranda , A .H : Las Grandes batallas , p . 178.

١ انظر خريطه رقم (٧)

وادي الرمل (١) (Guadarrama) وعجز الخليفة المنصور عن الاستيلاء على الحصن لاستبسال دون ديجو لوبث دي هارو (Don Diego López de Haro) في الدفاع عنه (٢). ثم سارت القوات الموحديه صوب (Alcalá) ومنها الى وادي الحجارة (Guadalajara) مخربة الزروع والضياع، ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على وادي الحجارة، في حين استطاعت الحامية النصرانية المرابطة فيه مهاجمة جزء من قوات الموحدين مؤملة إحراز نصر عليها واستطاعت في البداية الفوز ببعض الغنائم ولكن لم تلبث القوات الموحدية أن ردتها على أعقابها ما بين قتيل وجريح (٣).

وفي اليوم التالي قام المنصور الموحدي باظهار مدى قوة جنوده ووفرة عددها حيث عمل على ترتيبها كل وفق طوائفه وحشوده وذلك لالقاء الرعب في قلوب النصارى (٤)، ثم واصل سيره على طريق وبذة واقليش (٥) وكونكة ثم الى الاركون (Alarcón) ومنها الى الكرس (٦)

---

١) ويقع شمال مدريد بقليل ويعرف بوادي الرمل. أنظر حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، ص٢٤٦، ٥٠٢

٢) هو القائد النصراني والذي عهد اليه ملك قشتالة بالدفاع عن الحصن ضد هجوم الموحدين .أنظر:

Miranda , A .H : Las Grandes batallas , p . 178.

٣) أنظر : Miranda , A .H : La Campaña de Alarcos , p . 38.

٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٧.

٥) أقليش: بالقرب من كونكه وفيها التقى المرابطون بالقشتاليين في موقعة شديدةانتهت بهزيمة القشتاليين ومصرع القائد العام الأمير شانجة ابن الفونسو السادس ملك قشتالة سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م، أنظر: امبرسيو أويثي ميرندا: وقعة أقليش ومصرع الامير شانجه، مجلة تطوان، ١٩٥٧م، العدد الثاني، ص ١١٥-١٣٠.

٦) الكرس حصن من عمل جيان . أنظر الحميري : الروض المعطار ، ص ٢٠٢.

(Alcaraz) وابذة (١) (Ubeda) وبياسه (٢) ثم الى قرطبة ومنها الى إشبيليه حيث وصلها في شوال ٥٩٣هـ/١١٩٦م (٣). وبعد أن رأى ملك قشتاله مدى ما وصلت اليه أحواله وأحوال بلاده وما أصابها من اضرار وتخريب على أيدي الموحدين سعى مرة أخرى الي محاولة عقد هدنة مع الموحدين وخصوصاً لما كان يعانيه أيضاً من أخطار الدول النصرانية الاخرى مثل ليون ونبرة وتشير الرواية العربية قائلة: "...ووجهوا أرسالهم في طلب الصلح على ما عهد من شروط الاحكام فاسعفوا فيه على حكم شريعة الاسلام ..." (٤) وقد أجابه الخليفة المنصور لما أراد ٥٩٤هـ/١١٩٧م وهادنه لمدة عشرة سنوات (٥). ثم قام المنصور بترتيب الولاة والعمال والولايات فجعل على إشبيليه أبا زيد بن الخليفة وعلى بطليوس وجهاتها السيد أبا الربيع بن أبي حفص بن عبد المؤمن، وعلى الغرب أبا عبد الله بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن وقدم على المجابي في تلك البلاد (٦) وبعد تلك الفترة التي قضاها الخليفة المنصور الموحدي في الجهاد ضد النصارى شرع في العودة الى مراكش ٥٩٤هـ/١١٩٧م عقب إطمئنانه على أحوال المسلمين في الاندلس وفي ذلك يقول أبوبكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر:

---

١) ابذة : مدينة بالاندلس من كورة جيان . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ص ٦٤.

٢) بياسه: مدينة كبيرة بالاندلس معدودة في كورة جيان.أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ١، ص ٥١٨.

٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٧.- وأنظر أيضاً :
Miranda , A .H : Historia Almohade, I , p . 377.

٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٨.

٥) المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٣.

٦) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٢٨.

قضـى حقـوق اللـه في أعدائـــــه ثم انثنى والنصر تحت لوائه
ثم قال: بحر طما والبأس من أمواجه صبح بدا والحق من اضـوائه
عمـد أقـام بـه المهيـمن حـقـــــه والحق عمدة أرضه وسمـائه
وأباحـــــه مهــج العــدا فكـانما قد نصـلت ارماحه بقضـائه
أغزي بــهم جيشـاً تضيق الارض عن افواجـه والوهم عن إحصائه
كالعارض النجــاح ملء هــوائـــه لكن دم الابطـــال من انـوائه
لما رأى للشــرك رســـــماً مـائلاً أوهى قـواه وجـد في إقوائه
أنحـــى عليـه بالصـــوارم والقنا حتى اذا لم يبق غـير ذمائه
أبقـــاه والذعــر المخـيف يبيـده فـكأنه سـبع على أشـلائه
مســــتأصلاً شـيئاً فشـيئاً أمرهم كر الزمان بصبحه ومسائه (١)

والملاحظ في تلك الفترة التي قضاها المنصور الموحدي في جهاده ضد النصارى عقب موقعة الارك أنه لم يلتق بهم في موقعة حاسمة تعزز نصره في الارك ولم يقم في نفس الوقت بالاستيلاء على طليطله واستعادتها رغم محاصرته لها واكتفائه بتخريب اراضيها وما حولها (٢). وبما استولى عليه من مدن وحصون وغيرها. ولعل ذلك راجع الى خوفه على جنوده، وعدم رغبته في اصابة خطوط تموينه من قبل العدو التي قد تتعرض لاي هجوم معاكس من النصارى في حالة استيلائه على عاصمتهم وسقوطها في يده، فأي خطأ مهما كان تافهاً يمكن أن يقوض نتائج أنتصاره في موقعة الأرك.

---

١) الغرناطي : رفع الحجب ، ج٢ ،ص ١٥٥.

٢) عن سقوط طليطلة في يد النصارى أنظر :

Enan , M.A : Decisive moments in the history of Islam, , p 273.

وقد ادرك المنصور الموحدي بثاقب بصره أن الالتقاء بالنصارى في المعارك المكشوفة،أفضل بكثير من محاصرته لهم في قلعة أو حصن أو مدينة لان ذلك ينهك قواته،وقد يعرضها لمفاجآت غير وارده في الحسبان تقضي علي معنويات جنوده ، وفي نفس الوقت كانت قواته الهائلة، وتحركاته داخل اراضي قشتاله،كافيه لإلقاء مزيد من الرعب في قلوب النصارى وتحطيم روحهم المعنوية،فقد أصبحت عروشهم مهددة أو بمعنى أصح أوشكت على السقوط في ايدي المسلمين.

وأما ملك قشتالة فإنه لم يجرؤ على لقاء الخليفة المنصور في أية معركة مكتفياً بالتحصن داخل عاصمته يشاهد ما يجري لاراضيه دون أن يستطيع مواجهة اي قوة من قوات الموحدين لضعف معنوياته وقلة جنده بالاضافة الى الاخطار المحدقة به من قبل ليون ونبرة .

وقد كان من الافضل للمنصور الموحدي والحالة هذه عدم عقد هدنة مع قشتاله،لانه بذلك قدم لها فرصة ثمينة في إلتقاط أنفاسها وحل مشاكلها، وصراعها مع غيرها من الدولة النصرانية،ومن ثم حشد قواتها مرة أخرى لتعود الى لقاء الموحدين والانتقام لما لحقها من هزائم سابقة.

و لو قدّر للمنصور الموحدي آنذاك رفض هذه الهدنة لجعل من قشتاله في حالة ترقب وذعر من الموحدين،بالاضافة الى أن استمرار حشد قوات كبيرة من الاندلسين تكون في حالة حرب مستمرة مع النصارى سيكون عاملاً هاماً من عوامل المحافظة على الوجود الاسلامي في الاندلس.

ولكن مع الاسف أدت تلك الهدنة الى تكتل النصارى وأتحادهم ضد المسلمين مما أصاب الوجود الاسلامي في الاندلس أصابة عظيمة وقد تجلى ذلك فيما بعد في موقعة العقاب اذ نجد أن الناصر الذي خلف أباه المنصور في الحكم انشغل في بداية عهده ببعض المشكلات الداخلية على حساب تقوية

جبهته ضد النصارى،وكان هذا خطأ عظيماً إستفاد منه النصارى ودفع الموحدون ثمنه غالياً جداً وتسبب في زعزعة سلطانهم ووجودهم سواء في الاندلس أو المغرب.

مملكة البرتغال

لعبت البرتغال دوراً كبيراً في محاربة الوجود الاسلامي في الاندلس، وهي مملكة حديثة النشأة في شبه جزيرة إيبيريا، ولهذا حرصت منذ قيامها على إثبات وجودها كمملكة لها دور كبير في مقاومة الوجود الاسلامي في الاندلس كغيرها من الممالك النصرانية الاخرى . ولعل أهم ما ميز هذه المملكة نشاطها في المغرب والاندلس خلال عهد الخليفة عبد المؤمن وأبي يعقوب في الاستيلاء على عدد من مدن الغرب الاندلسي بالاضافة الى المعارك البحرية مع الموحدين . ولما تفاقمت وطأة البرتغال على المسلمين قرر الخليفة أبو يعقوب وضع حدٍ لنشاطها وأبعادها عن المدن الاسلامية، فقاد حملة كبيرة كان هدفها مدينة شنترين وأدى سوء التخطيط لهذه الحملة الى فشلها وإصابة الخليفة إصابة قاتله أودت بحياته سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م أثناء إنسحاب الجيش الموحدي (١).

---

(١) راجع ما سبق ذكره في التمهيد عن هذه المملكة ونشاطها في الاندلس قبل عهد المنصور . ويلاحظ أن مملكة البرتغال في مقاومتها للوجود الاسلامي في الاندلس شجعت على إنشاء الجمعيات الدينية لهذا الغرض فقامت في سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م جمعية باسم المحاربة الجديدة وأهم واجباتها التضحية في سبيل نصرة الدين المسيحي ضد الاسلام،ولم يسمح لأعضائها في البداية بالزواج وكانوا يخضعون لكبير قلعة رباح مما أدى الى الاعتقاد انها فرع لجميعة قلعة رباح وكان أول استاذ لها(=)

وعقب وفاة الخليفة في هذه المعركة وتولي ابنه المنصور مقاليد السلطة في البلاد، وما اعقب ذلك من قضائه على بعض المشاكل والصعوبات التي واجهته داخلياً، ثم بانتهائه منها تهيأت له الفرصة لتلقين البرتغال درساً قاسياً من الخليفة الجديد فحشد جيشاً كبيراً عبر به البحر مجاهداً ضد هذه المملكة سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م.

المنصور الموحدي والبرتغاليون :-

أدت نكبة شنترين المروعة الى زيادة وتفاقم عدوان البرتغاليين على ولايات الغرب الاندلسي لضمها الى حوزتهم، منتهزة ما أصاب الموحدين في تلك الحملة المنكودة، وقد كان ملك البرتغال الفونسو هنريكيز يتوق شوقاً وحماساً ونشاطاً في محاربة الموحدين، ولم يلبث أن توفى ٥٨١هـ/١١٨٥م(١)، ايّ بعد تولي أبي يوسف يعقوب المنصور الخلافة بعام واحد، وخلفه على عرش مملكة البرتغال ابنه الملك سانشو الذي كان يشتعل حماساً مثل أبيه في محاربة الوجود الاسلامي في الاندلس. ولم يكتف بذلك بل عمد الى الاستعانة أيضاً باساطيل الصليبيين لمساعدته في تنفيذ مشاريعه وقضى فترة حكمه الاولي في ترميم الحصون وتعمير المدن التي خربت من الحروب.

(=) هو بيدرو الاخ الغير شرعي لملك البرتغال الفونسو هنريكيز، وقد عرفت بعد ذلك باسم فرسان يابرة عقب استيلاءهم على هذه المدينة سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م ثم بعد ذلك بفرسان افيس بعد ان إتخذوا من قلعة افيس قاعدة لهم سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م . أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام، العصر الثالث ، القسم الاول ، ص ٥٢٨.

١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦١٠.

وكانت سفن الصليبيين تمر باستمرار بسواحل الاندلس منذ استطاع صلاح الدين الاستيلاء على بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م (١) وفي أثناء رحلة لأسطول صليبي قادم من شمال أوربا يحمل عدداً من الصليبيين المتجهين الى المشرق، القت الرياح والعواصف البحرية بالسفن الى جهة إشبونه، فوجد ملك البرتغال الفرصة سانحة للاستعانة بهم في الاستيلاء على شلب ٥٨٥هـ/١١٨٩م،فحاصروا المدينة حتى إستولوا عليها،واخرجوا أهلها منها بعد أن اشرفوا على الهلاك من شدة الحصار والظمأ والجوع، في حين أن والي المدينة عيسى بن ابي حفص بن علي (٢) كان عاجزاً عن مقاومة الحصار النصراني وقليل الخبرة بإساليب حماية المدينة لذلك أضطر لمغادرتها مع أهلها حفاظاً على حياته، كما استولى النصارى أيضاً على حصن يعرف بالبور جنوبي شلب وقتلوا جميع أُهله (٣).

وقيل أنه في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م حاصر ملك البرتغال مدينة شلب حصاراً شديداً،وأجهد الحصار أُهل المدينة وخافوا من غلبة النصارى عليهم، فصالح أهل المدينة ملك البرتغال على خروجهم بانفسهم سالمين فأجابهم الى ذلك (٤) وتقول رواية نصرانية اخرى أن اسطولاً من الصليبيين رسا قبالة مياه أُشبونه ودعاهم سانشو ملك البرتغال الى القيام معه بغزوة

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠١-٢٠٢.

Barbour , N : AL-Andalus en Las crónicas Inglesas, revista del instituto de estudios Islámicos en Madrid , 1965-1966,Vol X111, p . 139.

٢) والي المدينة في عهد المنصور الموحدي .

٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص٢٠٢- وأنظر أيضاً :

Miranda , A .H : Historia Almohade, I , p . 342.

٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٤٢.

مشتركة في ولاية الغرب الاندلسي ولم يلبث ان انضم اليهم الصليبيون الذين رسو عند شاطىء جليقيه (١) وأمدهم ملك البرتغال بثلاثين سفينة وهكذا أصبح الاسطول على أهبة الاستعداد للمعركة.

وفي ذلك الوقت أنتهز ملك البرتغال فرصة أنشغال الموحدين في المغرب وأرسل الى باجه ويابره جيشاً كبيراً منتهزاً فرصة عدم وجود حاميات قوية تحرسها،واستولى عليها في حين ان أنزل الاسطول البحري قواته من الصليبيين فحاصروا مدينة شلب وقطعوا الماء عنها،فاضطرت للتسليم وتفاوض أهل المدينة مع ملك البرتغال سراً على الخضوع له،ولكن لم ينج ذلك المدينة من مصيرها المروع حيث تعرض الآلاف من السكان الى القتل والسبي بينما نجا منها ثلاثة عشر الفاً، وأقتسم الصليبيون الغنائم وكانت المدينة من نصيب الملك.

ولقد واجهت الغزاة الجدد مشكلة التأقلم على الحياة في شلب مثل المسلمين والنصارى، فيلاحظ أنهم عندما وصلوا الى مصب نهر التاجه، حيث يقيم في أشبونه عدد كبير من المسلمين واليهود قاموا بارتكاب الكثير من اعمال العنف ضد المسلمين واليهود (٢).

كان لسقوط شلب في يد البرتغاليين ضربة عظيمة لسلطان الموحدين في الغرب الاندلسي ، أذ فتحت الطريق أمام الحملات النصرانية لتوطيد نفوذها في باقي ولايات الغرب الاندلسي ، ثم الانطلاق منها نحو غيرهامن المدن الاسلامية. وقد أزعجت هذه الأنباء الخليفة أبا يوسف فقرر

---

١) ناحية ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الاندلس في أقصاه من جهة الغرب . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٥٧.

٢) يوسف أشباخ :تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص ٧٩-٨٠.

العبور الى الاندلس لحسم هذا الداء. ففي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م تحرك الخليفة أبو يوسف بجيوشه الى الاندلس،وقد ورد عليه أثناء ذلك تباشير الفتح "...تعكيس اجفان الروم فقتل منهم خلق وأسر آخرون فهنىء بذلك المنصور ..." (١).

وتشير الرواية النصرانية أيضاً أنه في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م أعد ملك انجلترا ريتشارد قلب الاسد (٢) (Ricardo Corazón de León) اسطولاً كبيراً مكوناً من مئة سفينه لنقل الصليبيين الى المشرق وقد غادرت تلك السفن الميناء الانجليزي دارتموث (Dart Mouth) وفي الطريق واجهتها عاصفة شديدة في خليج بسكايه أدت الى تشتيتها وقد تمكنت إحدى السفن من الوصول الى ميناء شلب حيث نزل اليه الركاب والبحارة بعد تأكدهم من إستمرار سيطرة النصارى عليها، فاستقبلهم اسقف المدينة،وقام

---

١) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٣.

٢) عن إعتلائه لعرش انجلترا أنظر ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب الصليبيه ، ج ٣ ص ٢٦ .

وفي هذا الصدد هناك نقطة نود الاشارة اليها وهي المصاهرة بين ملوك النصارى الاسبان وملوك انجلترا خلال عهد الموحدين اذ نلاحظ مثلاً في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م تم زواج ولي عهد انجلترا هنري الثاني من الينوردوقه أكيتانيا ، وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م تم زواج ابنة هنري الثاني بالملك الفونسو الثامن ملك قشتاله ، وفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م تم زواج ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا بشقيقة ولي عهد نبره بعد ان كان في طفولته خطيباً لابنة رامون الرابع كونت برشلونه ، وقد ادت تلك المصاهرات الى إقامة علاقات دبلوماسية واسرية بين ملوك انجلترا وملوك اسبانيا النصرانية والى قيام المؤرخين الانجليز بتدوين اخبار وعلاقات تلك الاسر . أنظر

Barbour (n) : AL-Andalus en Las crónicas inglesas, p . 138.

النصارى بتدمير سفينة الصليبيين للاستفادة من اخشابها ، كما طلبوا من أفرادها مساعدتهم في حربهم ضد جيش الموحدين القادم اليهم بقيادة المنصور الموحدي، وقد تعهد الملك سانشو بعد إنتهاء صراعه مع المسلمين بدفع المال الكافىء للصليبيين وبتزويدهم بسفينة عوضاً عن تلك التي استولى عليها النصاري. وقد وفّى لهم ملك البرتغال بوعده وتابع الصليبيون سفرهم الى المشرق (١)

وبعد عبور الخليفة البحر نزل بطريف للراحة، وهناك أقبلت عليه بعض وفود البلاد المجاورة للبحر للسلام عليه، ورفعت اليه ما تعانيه من ظلم الولاة والعمال، فاعتذر الخليفة عن مناقشة تلك الامور لانشغاله بحرب النصارى ورد اعتداءاتهم عن المسلمين وواصل الخليفة أبو يوسف سيره الى مدينة اركش ومنها الى قرطبة (٢).

وقد اصدر الخليفة أبو يوسف أُمره الى والي إشبيليه ابي يعقوب بن ابي حفص (٣) باعداد جنده في إشبيليه واللحاق به ،وشمل جيشه مسلمي الاندلس والمتطوعة والعرب والبربر مثل صنهاجه وهسكورة، وسار بالجيش حتى نزل على مدينة شلب في حين لحق بهم الاسطول البحري، وتم حصار المدينة براً وبحراً، ونصبت عليها الآت الرمي وقد تخلل الحصار بعض الاشتباكات مع النصارى وفي خلال استراحة الخليفة بجنده في قرطبة قدمت إليه رسل ملك قشتاله في طلب الصلح فأجابهم الى ذلك لما فيه مصلحة المسلمين وتفرق كلمة النصارى ورغبة الخليفة في الانفراد

---

١) أنظر : Barbour (n) : AL-Andalus en Las crónicas inglesas, p . 139-140.

٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٤-٢٠٥.

٣) السيد أبو يعقوب هو ابن ابي حفص بن عبد المؤمن والي إشبيليه في عهد المنصور وابن عمه.

بحرب البرتغال وضماناً لقطع المساعدات عنها (١)، وايضاً تم عقد هدنة مماثلة مع ملك ليون (٢).

وكان الخليفة قد وجه السيد ابا زكريا بن ابي حفص الى اشبيليه للتزود بما يلزم الجند من المؤن ثم اللحاق بهم، وقد قام السيد بانجاز المهمة الموكلة اليه من قبل الخليفة ولحق بالجيش بعد عبور الجميع لوادي التاجه(٣) وسار الجيش الى شنترين حيث خرب اراضيها واتلف زروعها ، ثم توجهوا الى حصن طرش (٤) حيث حاصروه واشتبكوا مع النصارى فيه وشددوا الحصار عليهم حتى ضاق أهل الحصن بذلك واضطروا الى الاستسلام مقابل خروجهم بإهلهم وأولادهم سالمين فأجابهم الى ذلك (٥)، وفيما يبدو من طريقة الخليفة أبي يوسف هذه في سيره على رأس جيش الى شنترين وتسيير جيش آخر الى شلب هو توزيع جهود النصارى المحاربين له ليتسنى له التغلب عليهم، وفي نفس الوقت التغلب على بعض المدن والحصون المنيعة (٦).

واصل الخليفة سيره الى مدينة طُمار(٧) وهي قاعدة منيعة ذات مزارع

---

١) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٥.

٢) رسائل موحديه : رقم ٣٤، ص ٢٢٣.

٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين .، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

٤) طرش (Torres) ويقع الى شمال شنترين . أنظر :

Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 348. انظر خريطه رقم (٨)

٥) رسائل موحدية : رقم ٣٤ ، ص ٢٢٣- ٢٢٥- وانظر أيضاً :

Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 347 - 348.

٦) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ١٧٧.

٧) طمار (Tomar) يقع شمال طرش .

واشجار وثمار، فحاصرها جيش الموحدين وخرب أراضيها، وكانت سرايا الموحدين أثناء ذلك تشن غاراتها على النواحي المحيطة بالحصن شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، في حين التزم النصارى بالتحصن في قواعدهم وخاصة أن ملك البرتغال ملازم لشنترين مكتفياً بمراقبة الاوضاع وتحركات الجيوش الاسلامية دون لقائها في أية معركة مكشوفة، ولم يلبث الخليفة أن انسحب عائداً الى اشبيليه بعد الحا قه الدمار والخراب بإراضي البرتغال (١).

وفي أثناء حصار حصن طُمار " ...وافت رسل أبن الرنك (٢) راغباً في السلم وعقده، ومتلطفاً فيما تعجله من ربطه وشده، فأمر المنصور بترويح القتال عن الحصن المذكور، ريثما ينعقد هذا السلم وتنضبط تلك الأمور ، وكان المنصور عزم في هذه الغزاة أن يدوخ بلاد ابن الرنك وينتهي فيها الى أقطار قلمرية ..." (٣).

وبعث الخليفة الى العساكر بشلب بالاقلاع عنها والعودة الى إشبيليه مرة أخرى وتشير الرواية النصرانية التي ذكرها روجردي هوفيدن (٤) (Rogerio de Hoveden) أن سفناً للصليبين إلتجأت الى ميناء أشبونه

---

١) رسائل موحدية: رقم ٣٤، ص ٢٢٥-٢٢٧.

٢) ابن الرنك هنا المقصود به سانشو ابن الفونسو هنريكيز المعروف بإبن الرنك و يعرف ايضاً اي الفونسو هنريكيز بابن الريق وابن الرنق وتعني ابن هنري او انريكي وهنريكيز، وهنري هنا هو هنري البرجوني والد الفونسو. أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الاول، ص ٥٢٨.

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٦.

٤) هو مؤرخ انجليزي مات عام ١٢٠١ أو ١٢٠٢م عمل في خدمة هنري الثاني ملك انجلترا وكان محل ثقته ، أنظر : Barbour, N : King Sancho el Fuerte of Navarre, p . 62.

عقب تعرضها لعاصفة شديدة سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، وأثناء ذلك عبر الخليفة المنصور نهر تاجه بالقرب من شنترين وفتح حصن طرش، ثم حاصر طومار بينما أسند حصار شلب الى ابن عمه، ثم لم يلبث أن جرت المفاوضات بين المنصور وملك البرتغال على أن يترك الخليفة حصار طومار مقابل تسليم البرتغاليين مدينة شلب للموحدين وقد هدد الخليفة في حالة عدم أجابة طلبه بالهجوم على شنترين حيث يقيم الملك مع جنوده، ورفض ملك البرتغال الأذعان لتلك المطالب لعلمه بوصول الصليبيين الى أشبونه فأستغاث بهم ، وقدم اليه في شنترين خمسمائة جندي منهم ، وكان الجميع مترقبين هجوم المنصور عليهم في أية لحظة، ثم أنسحب الخليفة الموحدي بجيوشه ولم يرغب ابن عذارى في ذكر السبب الحقيقي لعودة الجيوش الموحدية الى إشبيليه، ولكن السبب الاساسي على حد قول الرواية النصرانية في تراجع الجيوش الموحدية هو قدوم أسطول الصليبيين الذي استجاب لاستغاثة البرتغاليين (١).

وتواصل الرواية النصرانية حديثها عن الصليبيين الذين قدموا الى البرتغال، فتشير الى قدوم ثلاثة وستين سفينة أخرى الى أشبونه ونزل الصليبيون الى المدينة وعاشوا فيها واعتدوا على المسلمين واليهود، وعندما عاد ملك البرتغال الى عاصمته والتقى بقائدي الاسطول الانجليزي حيث قدما الاعتذار عما بدر من جنودهما ولكن فيما يبدو من الرواية تمادي الصليبيون في الاساءة الى الناس مما أدى الى حدوث فتنة كبيرة راح ضحيتها الكثير من المقيمين في المدينة ولم يلبث أن غادر اسطول

(١ Barbour (n) : AL-Andalus en Las crónicas inglesas, p . 140-141.

الصليبين ميناء أشبونه ورسا عند مصب نهر تاجه حيث وجدوا هناك ثلاثين سفينة أخرى محملة بالجنود والذخائر والمؤن (١) وبعد استراحة الخليفة بإشبيليه وعلمه بمغادرة الاسطول الصليبي، قرر العودة لإستئناف الحرب ضد البرتغاليين فخرج في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م بحشوده وجنوده مرة أخرى وكانت وجهته هذه المرة قصر أبي دانس وقد حفر البرتغاليون خندقاً كبيراً حول المدينة، فأمر الخليفة بردمه وتقدمت الجنود لإقتحام الاسوار، فأصابهم النصارى بالنبال والحجارة، فلما رأى الخليفة ذلك أمر بوقف القتال لمدة ثلاثة أيام إنتظاراً لوصول آلات الرمي مع الاسطول الموحدي الذي قام بحصار المدينة بحراً ونصبت حول المدينة أربعة عشر منجنيقاً. وفي الحال صدرت الاوامر بتشديد القتال عليها براً وبحراً وقذفتها المجانيق بالحجارة وأشتد الامر على النصارى المحاصرين فاضطروا الى الاذعان والتسليم وحمل الموحدون الاسرى الى إشبيليه عنواناً لهذا النصر العظيم(٢).

وقام الخليفة بتنظيم أمور مدينة قصر ابي دانس ورتب لها الجنود والرجال والحماة والمؤن اللازمة لها وولى عليها أبابكر محمد بن وزير (٣).

---

١) Barbour (n) : AL-Andalus en Las cronicas inglesas, p . 141-142.

٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٠-٢١١- وإنظر أيضاً :

Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 355 - 356.

٣) تولي أمر قصر ابي دانس (Alcacer do sal) سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وظل حاكماً لها حتى وفاته في صدر المائة السابعة عقب شهوده لموقعة ذات العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م أنظر ابن الآبّار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص ٢٧١ -٢٧٣. ١ نظر خريطه رقم (٨)

سار الخليفة بعد ذلك بجيوشه الى حصن قلماله (١) (Palmela) وهو حصن منيع شديد الارتفاع،وقد حشد فيه ملك البرتغال عدداً كبيراً من رجاله وأبطاله، فلما رأو جيش الموحدين أيقنوا بالهلاك وانه لا قبل لهم بالمقاومة فطلبوا تسليم الحصن فأجابهم الخليفة الى ذلك وأخلى سبيلهم في العودة الى بلادهم، واستولى الموحدون على ما فيه من المؤن والذخائر وهدمت الجيوش اسواره.

توجه الخليفة بعد ذلك الى حصن المعدن (Almada) (٢) فأتم فتحه وأصدر أمره بهدم أسواره (٣).

وصلت الجيوش الموحديه الى مدينة شلب يوم الخميس الثاني من جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وحاصرتها في الحال حصاراً شديداً، وقامت بردم الخنادق ونصبت المجانيق ورمت الاسوار بشدة عظيمة، وقد استمر الحصار حتى يوم الاربعاء الخامس عشر من نفس الشهر وظل الموحدون في يقظة دائمة انتظاراً للفرصة السانحة في إقتحام المدينة، فلما استغرق النصارى في النوم،حانت اللحظة الحاسمة لاستعادة شلب، فتسلل دليل الجيش من ثلمة في السور ومعه جماعة من الموحدين ، وما أن دخلواالمدينة حتى رفعوا الرايات على سورها وعلت اصوات الجند بالتهليل والتكبير، وما أفاق النصارى إلا وقد أحكم الموحدون قبضتهم على المدينة فسارعوا الى طلب الامان والتسليم وقد وافقهم ملك البرتغال على ما

---

١) قلمالة : أحد حصون الغرب الاندلس .

٢) حصن معروف على ضفة البحر من جنوبه قبالة أشبونه وسمى بذلك لانه عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر ، فاذا كان الشتاء قصد الى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به الى إنقضاء الشتاء . أنظر الحميري : الروض ، ص ٦١ .

٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١١ – وانظر أيضاً Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 357.

قاموا به شاكراً لهم ما أبدوه من جلد وصبر أمام الموحدين.

أذن الخليفة أبو يوسف للنصارى بمغادرة قصبة شلب، وقام بترتيب وتنظيم أمور المدينة التي أستعادها من البرتغاليين وجعل لها العمال والموظفين لرعاية شئونها (١) وقدم عليها ابن وزير (٢).

وتؤكد الرواية النصرانية على إسترداد الموحدين لمدينة شلب في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ولكننا لا نجد تفاصيل واسعة لذلك (٣). بينما تشير رواية نصرانية أخرى الى أنه بعد سبع سنوات فتحت شلب بيد فئة من الصليبيين الالمان المتجهين الى فلسطين، ونظراً لعدم ثقتهم في قدرة ملك البرتغال على حماية المدينة فقد قاموا بتخريبها، مع ذلك بقيت المدينة بيد المسلمين (٤) .

ويفهم من هذا النص أنه اذا كان ما تقوله الرواية النصرانية صحيحاً وأغفلته المصادر العربية فهذا يعني أن المدينة قد تكون تعرضت عقب عودة المنصور الى مراكش سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م الى هجوم الصليبيين المتجهين الى المشرق وعاثوا فيها ، ولخوف سانشو ملك البرتغال من العودة الى مهاجمة المدينة نظراً لما رآه من قوة المنصور الموحدي

---

١) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين .، ص ٢١١-٢١٢- وأنظر أيضاً :

Miranda , A .H: Historia Almohade, I , p . 357 .

٢) هو أبو محمد عبد الله بن وزير ولاه المنصور على مدينة شلب . أنظر المقري: نفح الطيب ، م ٤ ، ص ٤٦٥.

٣) يوسف أشباخ : تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص ٨٠ - وأنظر أيضاً :

Barbour (n) : AL-Andalus en Las crónicas inglesas, p .142.

٤) أنظر : Barbour (n) : AL-Andalus en Las crónicas inglesas, p .142.

وهيبته وأنه قد يواجه مصيراً مثل مصير ملك قشتاله وهزيمته امام جيوش الموحدين، فأنه لم يحرك ساكناً إزاء شلب فظلت المدينة بيد المسلمين، ويحتمل أن الصليبيين فشلوا في دخول المدينة فاكتفوا بتخريب ما حولها.

بعد ذلك لم يقع بين الموحدين والبرتغاليين أية حوادث أو معارك ذات اهمية لانشغال كل منهما بأموره الداخلية، وأستمر المسلمون يحتلون الجزء الجنوبي من البرتغال وتتوسطه شلب بالاضافة الى الجزء المتصل بالغرب وبه ميرتله وغيرها،بينما شغل سانشو ملك البرتغال بصراعه مع البابويه بسبب رفضه اداء الجزية لها نظير حمايته ضد دعاوى قشتاله على البرتغال، الى جانب نزاعه مع الاساقفه مثل أسقف بورتو(١) وأسقف قلمريه ، وكانت وفاة سانشو سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م (٢)

---

١) بورتو: تقع في أقصى شمال البرتغال وشمال قلمرية. أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، العصر الثالث، القسم الاول، ص ٧٠.

٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦١٠.

ممـــلكة ليــون

انفصلت مملكة ليون عن قشتاله سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م (١)، وتولي حكمها فرناندو (٢) الابن الاصغر لملك قشتاله الفونسو السابع ، وقد واصلت هذه المملكة كغيرها من الممالك النصرانية غزو المدن الاسلامية الاندلسية في عهد عبد المؤمن بن علي، ثم في عهد أبي يعقوب يوسف وفي سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م تم عقد هدنة بين ليون والموحدين نصت على مساعدة الموحدين لليون ضد قشتاله مقابل وقوفها مع الموحدين ضد أعدائهم من النصارى ، وبمقتضى ذلك سعت ليون لتقديم العون للموحدين خاصة ضد أعدائهم النصارى، ولم يكن ذلك حباً في الموحدين وانما حفاظاً على ما أعتبرته ضمن دائرة نفوذها المتفق عليها سابقاً مع قشتاله (٣)، وانتظاراً للفرصة المناسبة في إعلان سيادتها عليها ولم يكن ذلك خافياً على أدراك وفهم الموحدين.

---

١) عن هذه المملكة أنظر هشام ابو رميله : علاقات الموحدين، ص ٣٠١.

٢) عرف فرناندو هذا بالبيبوج وصاحب السبطاط وليون

٣) في سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م في مؤتمر ساهاجون بين ملك قشتاله سانشو الثالث وفرناندو ملك ليون حدد كل منهما مناطق غزوهما للاندلس فاختص ملك قشتاله بغزو المنطقة ما بين الوادي الكبير وغرناطه، بينما تولى ملك ليون غزو المنطقة الواقعة ما بين لبلة وأشبونه. أنظر هشام أبو رميله: علاقات الموحدين ، ص ٣٠٢.

لم تلبث هذه المملكة أن نقضت عهد الصلح مع الموحدين وعادت لسيرتها الاولى في غزو المدن الاسلامية في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م (١)، وظلت كذلك حتى عهد المنصور الموحدي فنراها في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م تنتهز فرصة وفاة ملك البرتغال الفونسو هنريكيز وتقوم بتوسيع حدودها على حساب غيرها من الممالك النصرانية الأخرى، وفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م كانت وفاة فرناندو الثاني وخلفه ابنه الفونسو التاسع ملكاً على عرش ليون. وتشير الرواية العربية عن سعي هذه المملكة في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م لعقد هدنة مع الموحدين قائلة: "...وكان ابن عمه (٢) ومناهزه في رتبته عند قومه صاحب ليون في مهادنة الموحدين فرغب في تجديدها وخاطب ضارعاً في تقريرها له وتمهيدها فاسعفناه برغبته وقوفاً عند شروط المصالحة ووفاءً بعهودها ..." (٣) وكما يتضح من النص ان هذه المملكة كانت

---

١) قامت في ليون بعض الجمعيات الدينية والتي لعبت دوراً كبيراً في مقاومة الوجود الاسلامي مثل جمعية اسسها فارسان أحدهما يدعى سويرو والآخر جوميث سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م واقاما لها حصناً حول دير سانت جوليا نوس في سلمنقة ، وعرفت في البداية باسم جماعة سان جوليان دل بريرو، ثم بجماعة فرسان القنطرة علي اثر استيلائهم على هذه المدينة وقد باركها البابا اسكندر الثالث سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، أما الجمعية الاخرى فهي جمعية فرسان القديس ياقب سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م وشعارها محاربة أعداء الدين وحماية الحجاج القاصدين زيارة قبر القديس في كومبوستيلا وكان أول رئيس لها بيدرو فرنانديز ومنحها ملك ليون والبابا اسكندر الثالث وانوسنت الثالث كثيراً من الهبات والامتيازات تقديراً لجهودها العظيمة. أنظر هشام ابو رميله: تاريخ الاندلس، ص ٢٠٣ -٢٠٥.

٢) المقصود هنا ملك ليون الفونسو التاسع هو ابن عم الفونسو الثامن ملك قشتاله.

٣) رسائل موحديه : رقم ٣٤ ، ص ٢٢٢- ٢٢٣. ويلاحظ هنا انفراد صاحب الرسائل الموحديه بذكر هذا الامر اذ لم يشر ابن عذاري في البيان ولا ابن ابي زرع في القرطاس.

في هدنة مع المنصور الموحدي ورغبت في تجديدها سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ومعني ذلك ان هناك احتمالاً يظهر من الرواية ان الملك الفونسو التاسع قد يكون عقد هدنة مع الموحدين عقب اعتلائه عرش ليون ولكننا لانجد اي تفاصيل لذك ولا زمن حدوثها، وعند ماعبر الخليفة الى الاندلس مجاهداً ضد البرتغال سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م سارعت مملكة ليون الى تجديد الهدنة معه وفقاً لما سبق تقريره بين الجانبين فأجابها الى ذلك.

<u>علاقة ليون وقشتاله في عهد المنصور الموحدي :</u>

على أثر وفاة الملك فرناندو الثاني ملك ليون سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م خلفه ابنه الفونسو التاسع،فسادت الاضطرابات في ليون بايعاز من ملك قشتاله الفونسو الثامن، فدعى الفونسو التاسع لعقد مؤتمر (Cortes) من الاحبار والاشراف ونواب المدن لمعالجة تلك الاوضاع، أذ كان عليه مواجهة مشكلة العلاقة المتوترة والمضطربة مع قشتاله والبرتغال، وقد أحتلت قشتاله معظم القواعد الامامية المؤلفة لخط دفاع ليون،فسعى ملك ليون لدى ابن عمه ملك قشتاله في أجتماع بينهما في مدينة كريون (Carrión) لازالة أسباب الخلاف وتم التفاهم بين الملكين ولكن الفونسو التاسع لم يكن مخلصاً في ذلك أذ كان يشعر دائماً بتسلط قشتاله على بلاده (١).

وعندما عبر الخليفة أبو يوسف بجنوده البحر سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م مجاهداً الى الاندلس،حيث توج حملته تلك بانتصاره على النصارى في الارك ، وقبل مسير ملك قشتاله الفونسو الثامن لحرب الموحدين طلب مساعدة ملك ليون الذي تركه ليواجه مصيره امام الموحدين نتيجة للعداء

---

١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٥٩٤.

والمنازعات بين الاثنين ولم تفلح جهود الكاردينال لمحو هذا العداء (١).

وتشير الرواية النصرانية أنه عندما طلب ملك قشتاله مساعدة الفونسو التاسع ملك ليون ضد الموحدين وأن يتناسيا خلافاتهما،وجد ملك ليون الفرصة سانحة لاستعادة بعض الحصون والقلاع من قشتاله،وعندما رفض الفونسو الثامن ذلك عاد ملك ليون غاضباً،وخصوصاً انه تذكر ما ألحقه به ملك قشتالة من اهانة في مؤتمر كريون،ولهذا فرح كثيراً لهزيمته على أيدي الموحدين (٢).

وكان ملك قشتاله قد استاء من تقاعس الجيش الليوني عن مساعدته في حربه ضد الموحدين ، ولم يسعه عند اول لقاء بينه وبين ملك ليون الا أن يلقى عليه باللوم الشديد مما أدى الى خلافات حادة أنتهت باعلان الحرب بينهما (٣). وقد قطع ملك ليون علاقته مع الفونسو الثامن لنقضه معاهدة توردي هوموس (Tordehumos) وطلب ملك ليون من ملك قشتاله تسليمه حصون ألبه (Alba) ولونا (Luna) وبورتيا (portilla) وغيرها مما أخذه وفقاً لهذه المعاهدة،وبدلاً من أن يعرض ملك ليون مشكلته على الكاردينال قطع علاقته مع الفونسو الثامن (٤).

---

١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٢٥.

٢) Miranda, A. H: Las Grandes batallas, P. 209.

Miranda, A. H: Las Campaña de Alarcos, P. 64.

٣)يوسف اشباخ: تاريخ الاندلس، ج ٢، ص ٩٥.

٤) السيدعبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٢٦- وانظر ايضاً:

Miranda, A. H: Las Campaña de Alarcos, P. 33.

وفي سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م وبينما كان المنصور الموحدي يقوم بغزوته لاراضي قشتاله سارع ملك ليون بعقد تحالف مع الموحدين،وقد استجاب له الخليفة نظراً لعدم إشتراكه في الحرب في موقعة الارك وطلب من المنصور امداده بجيش لغزو اراضي قشتاله من ناحيته. "...فبُعث الى ارضه جيشٌ من المسلمين هالته شجاعتهم وبهتته إنابتهم لله وطاعتهم والهته عن كل شيء قدرتهم بالله على العدو واستطاعتهم فحكموا بلاد الكافر بحكم الكلمة العليا ونالوا فيها ماشاؤوا من دين ودنيا وتنوعت في عدو الله الرزايا وأخذت عليه المكاره الانقاب والثنايا وصار لا يستطيع دفعاً ولا يملك لمن اتبعه ضراً ولا نفعاً ...واشتمل الغزو على فتوح كثيرة وأيام على الكافرين عسيرة ..." (١).

وسار ملك ليون ومعه جيش من الموحدين مخترقاً اراضي قشتاله من ناحية تييرادي كامبوس (Tierrade campos) مخربين الاراضي والضياع وتشير الرواية النصرانية في هذا الصدد الى انتهاك الموحدين للاديرة والكنائس (٢) حتى وصل الجيش الليوني الى مدينة كريون وظن الملك

---

١) رسائل موحديه ، رقم ٣٥ ، ص ٢٣٨-٢٣٩.

٢) الواقع أن ما اشارت اليه الرواية النصرانية من انتهاك الموحدين للاديرة والكنائس انما هو اتهام في غير محله ، وقد نسيت الرواية النصرانية الجيش الليوني المصاحب للموحدين بقيادة ملك ليون الفونسو التاسع والعداء القديم بينه وبين ملك قشتاله ومن ثم سعت جيوشه وجنوده الى القيام بعمليات التخريب والاعتداء على حرمة الاديرة والكنائس ، وأما الاعتداء على حرمة الاديان المخالفة للاسلام فهذا أمر لم يعرفه المسلمون ابداً وهي تهمة باطلة تلصقها الرواية النصرانية بالجيش الموحدي ، ويكفي أن الملك الليوني استنجد بمساعدتهم لعلمه التام بكرم اخلاقهم وتعاليم دينهم وخاصة في الحروب.

الفونسو التاسع أنه بذلك أنتقم من الأهانة التي لحقته عندما قبل يد ملك قشتاله (١) .

وتحدثنا الرواية النصرانية عن تفاصيل الغارات القشتاليه بمعاونة الأرغونيين على ليون،أذ قام ملكا قشتاله وأرغونه بإيفاد القائد فرناندو رودريجو دي الباراثين (Frenando Rodríguez de Albarracín) على رأس فرقة من الجيش لقطع الطريق على الجيش الليوني العائد من غزو الاراضي القشتاليه، ولكن استطاع الفونسو التاسع الانسحاب في الوقت المناسب، وأخذ الملكان في اجتياح الاراضي الليونيه والحاق الخراب والدمار بها في حين تحصن حاكم بنابنت (Benavente) في كاسترو برد (Castroverde) لقطع الطريق على الملكين، ومع ذلك نجح الملكان في الاستيلاء على كاسترو برد وأسر حاكم بنابنت، ثم على كاستروجونثالو (Castro Gonzalo)، ثم أتجه الملكان عقب ذلك الى بنابنت حيث تحصن ملك ليون بقواته،وفشل الحليفان في الاستيلاء على الحصن،وعند ذلك واصلا الطريق الى الشمال فاستوليا على بالنثيادي دون خوان (Valencia de don juan)، أردن (Ardón)، ثم عبروا نهر أوربخو (ORbigo) الى العاصمة ليون حيث فشلوا في إقتحامها، في حين استطاعت فرق أخرى من الجيش القشتالي والأرغوني الاستيلاء على مدن أخرى في ليون مثل رابانال دل كامينو (Rabanal del Camino) وبيرثو (Bierzo) وأخذت بعدهاالقوات المهاجمة في الانسحاب عائدة الى قشتاله وأثناء ذلك إستولت على قلعة اليهود(Judios) على الطرف الثاني لنهر توريا (Torio). وقد

---

١) انظر Miranda , A. H: Las Grandes batallas, 209.

استغرقت هذه الغارة ما بين اسبوعين الى ثلاثة أسابيع (١).

أنتهز ملك ليون الفونسو التاسع فرصة غزو المنصور لاراضي قشتاله سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، وقام باسترداد قلعة اليهود وبعض حصونه من قشتاله، ونتيجة لموقف ليون من قشتاله ولجوئها لطلب العون من الموحدين في غزوها لاراضي قشتاله أصدر البابا سلستينو الثالث ضدها عقوبة النفي الكنسي ودعى الممالك النصرانية لحربها، لمناصرتها أعداء الدين المسيحي، وأصدر أمره الى رعايا مملكة ليون بخلع طاعة الملك الفونسو، وأقام البابا بدلاً منه فرنانديث دي كاسترو. وعقب انسحاب الجيوش الموحديه الى إشبيليه عاد القشتاليون والارغونيون الى إقتحام اراضي مملكة ليون في حملتهم الثانية ضدها وانطلقوا من قلعة كاستروبرد وفتحوا العديد من مدن الجنوب في ليون حتى وصلوا قلعة مونتيريال.

في خضم تلك الاحداث كان الفونسو التاسع ملك ليون قد توجه الى إشبيليه لمقابلة المنصور الموحدي طالباً منه المعونة والنجدة ضد قشتاله وحليفتها، ولكن المنصور رفض أجابة مطالب ملك ليون نظراً لعقده معاهدة الصلح مع قشتاله. وعقب فشل مساعي ملك ليون لدى المنصور، أصبح لقاؤه بالقشتاليين في ساحة الحرب وشيكاً، وكان الفونسو التاسع ملك ليون قد قرر الالتقاء بهم في مكان يدعى (Alba de Tormes) (٢) وأدرك الاشراف في كلا المملكتين ضعف موقف ملك ليون، فسعوا الى

---

١) راجع تفاصيل هذه الحملة على ليون في :

Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p. 173 - 174.

وأيضاً أنظر أسماء المدن السابقة في الخرائط الخاصة بهذه الحملات. رقم(٩_١٠)

٢) أنظر الخريطة الموضح عليها أسماء هذه الاماكن في نهاية الرسالة . رقم (٩_١٠)

إيجاد سلام بين قشتاله وأرغونه وبين ليون عن طريق إقتراح ملكة قشتاله بزواج ابنتها برنجيلا (Berenguela) من الفونسو التاسع ملك ليون (١).

تم زواج ملك ليون بالاميرة القشتاليه سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م،وقد جعل الفونسو الثامن مهرها الاماكن والحصون المتنازع عليها مع ليون لكسب صداقة الفونسو التاسع من جديد بهذه المصاهرة، ولكن قوبل الامر بالرفض الشديد من قبل رجال الدين،وأصدر البابا انوصان الثالث أمره بابطال هذا الزواج بسبب القرابة الشديدة بين الزوجين، وأثار الامر مشكلة كبيرة بين مؤيد لقرار البابويه وبين منكر له،ثم عدل البابا عن تشدده وسمح بتنصير أول طفل من هذا الزواج في كنيسة ليون الكبرى، والطفل هو فرناندو، الذي أصبح فيما بعد فرناندو الثالث ملك قشتاله وبطل معارك الاسترداد المسيحي في الاندلس (٢)

علاقة ليون بالبرتغال في العصر الموحدي :

على أثر وفاة الفونسو السابع ملك قشتاله سنة ٥٥٢هـ١١٥٧م،قسمت مملكته بين ولديه فكانت قشتاله من نصيب سانشو وليون من نصيب فرناندو، الى جانب الاتفاق على تقسيم مملكة البرتغال بين الاثنين، وقد قرر الملكان السير على نفس سياسة والدهما في غزو المدن الاسلامية(٣).

---

١) أنظر : Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p . 197-180.

٢) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٥٩٤ – ٥٩٥، ٥٨٩– يوسف أشباخ :تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص ٩٦ – أنظر أيضاً : Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p. 212.

٣) هشام ابو رميله :علاقات الموحدين، ص ٣٠٢.

وكانت الخصومة بين ملك ليون وملك البرتغال الفونسو هنريكيز على أشدها على الرغم من اواصر المصاهرة بين الاثنين،أذ كان ملك ليون متزوجاً بإبنة ملك البرتغال،وسبب الخصومة عائدٌ الى عدم قدرة ليون على مزاولة حق السيادة على البرتغال. قام ملك البرتغال في سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م بمهاجمة أراضي ليون حيث استولى على توي (١) وليا وتروينو ووضع بها حاميات برتغاليه بحجة أنها من أملاك والدته وهي مهر زواجها (٢).

لعب ملك ليون دوراً كبيراً في صد غارات ملك البرتغال علي بطليوس، وعقب نقضه للهدنة المعقودة بينه وبين الموحدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م،قام في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م بإنجاد ملك البرتغال في موقعة شنترين ضد الموحدين، وبعد وفاة فرناندو الثاني ملك ليون وتولي ابنه الفونسو التاسع مقاليد السلطة في البلاد سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م،ولتسوية مشكلة الحدود بينه وبين البرتغال،رأى أن يرتبط بسانشو الاول ملك البرتغال برباط المصاهرة حيث تزوج بالاميرة تريسا سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. ومع الاسف لم يحظ هذا الزواج بموافقة البابوية بسبب صلة القرابة بين الزوجين أذ أن والدة الفونسو التاسع هي شقيقة سانشو ملك البرتغال، فأصدر البابا سلستينو قراره ببطلان الزواج وبالتحريم ضد المملكتين، ولكن على الرغم من ذلك أُستمر الزواج حتى إنفصل الفونسو التاسع عن زوجته تريسا البرتغاليه سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م.

---

١) توي مدينة في جليقية على ضفة نهر منيو ، أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الاول ، ص ٥٢٤.

٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٣٧.

وفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م انضمت ليون والبرتغال الى الحلف الذي عقده ملك ارغونه الفونسو الثاني مع سانشو ملك نبرة ضد قشتاله لمواجهة اطماعها في نبرة (١).

والملاحظ خلال معركة الارك التزامها جانب الحياد، ولكن تحدثنا الرواية النصرانية انه في سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م ناشد البابا مملكة البرتغال بالجهاد ضد مملكة ليون واستجاب سانشو لذلك حيث شنت هجوماً شديداً على ليون عن طريق منطقة جليقية (Galicia) (٢) وخرج سانشو من قلمريه (Coimbra) (٣) الى توي (Tuy) وبونيتبدرا (pontevedra) (٤).

ومما سبق نرى مدى الاضطرب الذي أصاب هذه الممالك في تلك الفترة وقد أحسن المنصور الاستفادة من تلك الاوضاع بما عاد بالخير والنفع لمسلمي الاندلس.

---

١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٥٩٤-٥٩٥، ٦٠٢.

٢) جليقيه : شمال البرتغال .

٣) قلمريه : مدينة في البرتغال .

٤) أنظر : Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p. 180.

مملكة نبرة

مملكة نبرة هي إحدى الممالك النصرانية التي تميزت بصغر رقعتها وطبيعة أرضها الجبلية،ومن ثم كان سعي ملوكها الدائم للمحافظة على إستقلالها من أطماع الممالك النصرانية الاخرى خصوصاً قشتاله وأرغونه، ومن ملوكها المعاصرين للمنصور سانشو السادس الملقب بالعالم (٥٤٥-٥٩١هـ/١١٥٠م-١١٩٤م) ثم سانشو السابع الملقب بالقوي والذي تولى حكمها منذ سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م (١).

أنتهز سانشو السابع ملك نبرة فرصة هزيمة ملك قشتاله في معركة الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م - وخوفاً من أطماع قشتاله وأرغونه في بلاده- قام بعقد تحالف مع الموحدين (٢) وذلك على الرغم من علمه بعقوبة الحرمان الديني الصادرة ضد المتحالفين مع أعداء الدين المسيحي (٣). وكانت فكرة التحالف مع الموحدين تراود سانشو السابع منذ توليه الحكم ، حيث أن مساحة نبرة بما تملكه في البشكنس (٤) صغيرة الحجم بالنسبة لقشتاله وأرغونه. وساهمت طبيعة البلاد الجبلية ووعورة مسالكها وتعلق الشعب الناقاري بإسرته الحاكمه في التصدي لاعدائها ، فاذا تركنا

---

١) أنظر ما سبق ذكره في التمهيد ، انظر خريطه رقم (٥)

٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ، ص ٧٢٦.

٣) أنظر : Barbour , N : King Sancho El fuerte , p . 59.

٤) هي (Vasconia) وقد كانت تشمل الرقعة الواقعة الممتدة في غرب البرنيه بحذاء الشاطىء الى شرق الأستريا‌س ومن أهم أجزائها ولاية ناڤار التي يسميها العرب أحياناً نبرة، وتشمل من مقاطعات اسبانيا الحديثة ناڤار وبسكاية. أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، العصر الاول،القسم الاول،ص ٦١٣،حاشية رقم (٢).

بعد كل ما سبق الاعتبارات الدينية جانباً ، نجد أن التحالف بين الموحدين والناڤاريين أمرٌ طبيعيٌ، بالاضافة الى طمع ملك نبرة في السيادة على أسبانيا النصرانية بمعاونة الموحدين (١).

وقد وصف أحد الكتاب زيارة لملك نبرة سانشو السابع للموحدين في عهد المنصور قائلاً: " ...وفي عهد هذا الخليفة (٢) أيضاً تم إستقبال سانشو السابع ملك ناڤار مع زوجته وحاشيته وجرى هذا الاستقبال في موكب عظيم فقد اصطفت جنود الموحدين من قرمونه (٣) الى إشبيليه في ابهي حللها وعلى ابواب إشبيليه وقف المنصور لاستقبال سانشو وتولي الترجمة بينهما قائد اندلسي، ثم قدم سانشو هدية الى المنصور مصحفاً قديماً كان قد وقع في يد النصارى وكانوا يعتنون به ويحتفظون به في علبة من الذهب وكان ضمن الهدية كذلك احجار كريمة وغيرها، وقدرر المنصور الهدية بما يناسب مقام زميله وغمره بالاكرام خلال مقامه..."(٤).

والواقع أن أمر هذه الزيارة من ملك نبرة الى المنصور الموحدي موضع شك كبير وغير مقبوله ، نظراً لان سانشو السابع تسلم مقاليد السلطة سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م أي في وقت تحتم عليه أن يكون في نبرة

---

١) يوسف أشباخ :تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص٩٨.

٢) اي المنصور الموحدي كما يشير النص.

٣) قرمونه : كورة بالاندلس يتصل عملها بأعمال إشبيليه غربي قرطبه وشرقي إشبيليه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص٣٣٠.

٤) ابراهيم حركات :المغرب عبر التاريخ، م ١، ص ٣١٧. لم يشر المرجع المذكور الى مصدر معلوماته تلك ولا على أي أساس ذكرها بل إكتفى بسردها دون توثيق لها مما جعلها مثار شك كبير خصوصاً في ضوء عدم إشارة المصادر المعاصرة لتلك الفترة الى أمر هذه الزيارة.

لرعاية مصالح بلاده من أعدائها، وأنتظاراً لما سوف تتمخض عنه حروب المنصور الموحدي مع قشتاله، وما أعقب ذلك من إنتهازه لفرصة هزيمتها وإعادة الغزو عليها من قبل الموحدين فتحالف مع ليون عدوة قشتاله بالاتفاق مع الموحدين للهجوم على أراضيها انتقاماً لما سبق منها نحو بلاده، وما أن تحالفت قشتاله مع أرغونه حتى عادت الى الاعتداء على اراضي ليون ونبرة ، ورغبة من ملك نبرة في حفظ بلاده في ذلك الوقت الحرج،فإنه من الطبيعي أن يكتفي بالتحالف مع الموحدين وربما يكون قد بعث رسلاً الى المنصور بخصوص ذلك ، اذ أنه من العسير عليه السفر الى الخليفة في ظل تلك الظروف المضطربة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه لو حدث هذا فعلاً لأشارت إليه المصادر العربية ، بل أننا اذا تتبعنا الموضوع من خلال روايات غير المسلمين ، لاتضح لنا أن تلك الزيارة لم تتم في عهد المنصور الموحدي وإنما تمت في عهد الخليفة محمد الناصر يقول يوسف اشباخ في كتابه (١) عن زيارة ملك نبرة لبلاط الموحدين "...وقد قام بها سانشو عقب وقوفه على موت المنصور في جماعة كبيرة من الفرسان،وكان ذلك أواخر سنة ١١٩٨م أواوائل سنة ١١٩٩م (٢) وهذا ما تؤيده جميع الوقائع والظروف الاخرى ولم ير سانشو في موت صديقه المنصور ما يحمله على الاحجام عن القيام بهذه الرحلة البعيدة وقد تخلف مدى حين في الاندلس في انتظار عودة الرسل الذين أوفدهم الى محمد خليفة المنصور . فلما عاد اولئك وأبلغوه أن محمداً يكن نحوه من عواطف الصداقة مثلما كان أبوه،

---

١)تاريخ الاندلس، ج٢ ، ص ١٠٠-١٠١ - وأما ما أشير اليه عن زواجه بأميرة موحديه وإعتناقه للاسلام ، فامور مرفوضه وغير مقبوله لعدم وجود ما يؤكد ذلك في المصادر العربية .

٢) يوافق ذلك بالتاريخ الهجري : ٥٩٥-٥٩٦هـ.

اعتزم ان يتابع الرحلة الى مراكش حيث بلاط سلطان الموحدين ..." ويقول أيضاً نيفل بربور (١) في أمر هذه الزيارة: " ...وفي عام ١١٩٩م (٢) رحل سانشو ملك نافار الى أراضي المسلمين للتفاوض مع الموحدين .. وقد ذكر أمر هذه الرحلة مصدران اسبانيان (٣)، حيث ذكر أولها أنه زار مراكش فعلاً ، بينما أشار الثاني الى إحتمال أنه أوفد مبعوثين فقط بينما بقي هو في الاندلس، وأن الزيارة جرت بين فبراير عام ١١٩٩م ويناير عام ١٢٠١م(٤)، هذا ولم تلبث مملكة نبرة أن تعرضت لهجوم مفاجيء من قشتاله وأرغونه مما أضطر سانشو الى العودة الى نبرة للدفاع عنها ..." ومن هنا نجد أن زيارة ملك نبرة تكون قد حدثت في عهد الخليفة الناصر وهذا أقرب الى المنطق، وأنها كانت تستهدف طلب عون الموحدين رغبة من ملك نبرة في حفظ بلاده ضد إعتداءات قشتاله وأرغونه المستمرة عليها. ولكي نؤكد ذلك نتتبع بشيء من الايجاز علاقة نبرة بقشتاله وأرغونه تأكيداً لذلك.

---

١) أنظر : Barbour , N : King Sancho Elfuerte , p . 59.

٢) يقابلها بالهجري ٥٩٦هـ.

٣) المصدران المقصودان هما الآتي :

Rodrigo de Jiménez de Rada, ed Lorenzano
Y Buitron in RRPP Toletanorum
Quotquot extant opera, 111, p . 181.
C bronique des rois de Castille , ed.
Cirot, Bull. Hist., 1913.

٤) يقابله بالتاريخ الهجري ٥٩٨هـ.

علاقة قشتاله ونبرة خلال عهد الموحدين :

على أثر انفصال نبرة عن أرغونه سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م انصرف ملوكها الى حماية بلادهم من أطماع قشتاله وأرغونه،حيث نلاحظ إتفاق قشتاله وأرغونه المستمر على غزو نبرة وإقتسامها فيما بينهما في كريون، واستطاعت قشتاله تحقيق نجاح ملحوظ في غزو نبرة (١)

استمر الصراع بين قشتاله ونبرة فقررا تحكيم هنري الثاني ملك انجلترا الذي قضى بعقد مهادنة بين الاثنين، ثم برد القواعد والاراضي التي يدعى كل منهما ملكيتها الى الآخر، وأن يدفع ملك قشتاله مبلغاً من المال كل عام لملك نبرة لمدة عشر سنوات. ولكن فشل هذا الصلح لمعارضة ملك نبرة ورفضه الانصياع لقرارات التحكيم، ثم عقد إجتماع آخر بينهما في جريدا سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ولم يسفر الاجتماع عن أية نتائج حاسمه واستمر التوتر قائماً في علاقات المملكتين (٢).

وفي سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م وأثناء معركة الارك بين قشتاله والموحدين أعرض ملك نبرة عن مساعدة قشتاله ضد الموحدين والتزم الحياد،نظراً لما كان من عداء ونفور بين المملكتين،وعندما هُزم ملك قشتاله تحالفت نبرة وليون في شن الغارات على قشتاله فبنى ملك نبرة قلعة تسمى كربو

---

١) وقد نجحت قشتاله في غزو نبرة واجبرتها على الاعتراف بسيادة قشتاله في سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م، ثم أعقب ذلك فشل أرغونه في غزو نبرة وسويت الخلافات من جديد في سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وبعد وفاة الفونسو السابع سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م حاولت نبرة التخلص من تسلط قشتاله عليها في حين أنه في خلال سنة٥٦٩هـ/١١٧٣م نرى تجديد إتفاق قشتاله وأرغونه في ساهاجون على إقتسام نبرة واتبعتها باعلان الحرب على نبرة والاستيلاء على بعض مدنها. أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام،العصر الثالث،القسم الثاني،ص ٥٠٦ . ٥٠٩–٥١١،والقسم الثاني، ص ٥٨٥.

٢) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٥٨٥–٥٨٦.

(Corvo) وبدأ في الاغارة على قشتاله للانتقام منها وتحطيم قواها (١).

وقد إقتحم ملك نبرة في غاراته مدينة سُريه (Soria) وعاث في تلك المنطقة وخربها (٢).

ولم ينسى ملك قشتاله ما ألحقه ملك نبرة ببلاده من أذى،فما أن تم عقد الهدنة مع الموحدين سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م،حتى بادر بشن غاراته على نبرة ودخل أراضيها مخرباً، مما دفع ملك نبرة الى طلب عون الخليفة الموحدي ضد قشتاله، في حين قام ملك قشتاله بمحاصرة مدينة بتوريا (Vitoria) واستولى على القلاع المحيطة بها وهي تربينو (Treviño)، (Arganza)، وسانتاكروث (Santa Craz)، (Alcorroza)، وبتوريا القديمة (Vitoria la vieja)، (Arlucea)، (Guipúzcoa)، وسان سبستيان (San sebastián)، (Marañón)، (San vicente) (٣) وأصبح بهذا مالكاً لآلبه كلها والمناطق المحيطة بها.

وقد إستطاع ملك نبرة بعد ذلك بمعاونة الكونت ديجو لويز زعيم بسكونيا الثائر على قشتاله استعادة معظم ما أستولي عليه ملك قشتاله من أراضيه ثم عقدت الهدنة بين الملكين لمدة ثلاث سنوات(٤). وقد كانت

---

١) Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p . 209-210.

Altamira, R : Spain,p . 409.

٢) Miranda , A. H: Historia Almohade , I, p . 373-374.

٣) سان بيثنتي : يعرف عند العرب بـ رأس كنيسة الغراب وعند الرازي هو الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالاندلس . انظر المقري : نفح الطيب ، م ٢ ، ص١٣٠ – حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون ، ص ١٥ ، حاشيه رقم (٢).

٤) Miranda , A. H: La Campaña de Alarcos , p . 67.

تلك هي الظروف والاحوال التي عاشتها هذه المملكةمع غيرها من الممالك النصرانية.

مملكة أرغونه

لعبت هذه المملكة دوراً كبيراً في محاربة الوجود الاسلامي في الاندلس وخاصة في منطقة الثغر الاعلى ، وفي عهد المنصور لا نرى نشاطاً واضحاً لهذه المملكة في الاندلس،ولعل السبب في ذلك راجع الى إنشغالها باحوالها الداخلية من جهة،ومن جهة أخرى ظروف علاقاتها بالممالك النصرانية الاخرى.

كان على عرش أرغونه أثناء خلافة المنصور الفونسو الثاني،وفيما يتعلق بعلاقته مع قشتاله نرى أنه نظراً لوقوع مملكة نبرة بين أرغونه وقشتاله،فقد حرصت المملكتان على الاتفاق المستمر لاقتسامها فيما بينهما، ولهذا سعى كل من الفونسو الثاني ملك أرغونه والفونسو الثامن ملك قشتاله في سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م لتأكيد ذلك في إتفاقية كسولا ، بالاضافة الى تحديد مناطق غزوهما للاراضي الاسلامية (١) ونجحت مملكة قشتاله في غزوها لمملكة نبرة بينما فشلت أرغونه في تحقيق هدفها مما أدى الى حقدها عليها وقامت بعقد تحالف مع مملكة نبرة لغزو قشتاله سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ، وأنضم لهذا الحلف ملك البرتغال سانشو الاول سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (٢) .

---

١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٥٨٤-٥٨٦.

٢) Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p . 180.

شعر ملك قشتاله الفونسو الثامن بخطر تحالف الممالك النصرانية ضده،وخصوصاً ما بلغه من أنباء عبور الموحدين الى الاندلس سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م، حيث التقى بهم منفرداً في موقعة الارك دون معونة من مملكة أرغونه أو ليون أو نبرة. وظلت علاقته بأرغونه في توتر مستمر حتى وفاة الفونسو الثاني سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م ، فخلفه على عرش البلاد إبنه الملك بيدرو الثاني وأختص بحكم أرغونه وإمارة قطلونية ، أما باقي الإمارات الفرنسيه مثل روسيون وبليارش ومونيليه وغيرها فكانت من نصيب الفونسو شقيق بيدرو الثاني (١).

وكان بيدرو الثاني قد تولى الامر تحت وصاية أمه دونيا سانشا،وفي إجتماع عقده في مدينة دروقه (٢) مع الاحبار والاشراف وممثلي ولايات المدن،حيث وافق على ماكان منحه لهم اسلافه من الحقوق والامتيازات، ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين الملك وأمه وانتهى الامر بينهما على إحتفاظ الملكه بالبلاد والحصون في قطلونيه والتي آلت ملكيتها اليها بوصية من زوجها (٣).

وبعد هزيمة الفونسو الثامن ملك قشتاله في الارك وما أعقب ذلك من وفاة ملك أرغونه الفونسو الثاني، رأت أرغونه بعد تولي بيدرو الثاني العرش أن تعود الى سياسة الود والصفاء والتحالف مع قشتاله كما كانت سابقاً وقبل توتر العلاقات بينهما ، وذلك نظراً لما تكنه دونياسانشا من ود

---

١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦٠٢ -٦٠٣.

٢) دروقه (Daroca) : مدينة شمال الاندلس ناحية قلعة ايوب بينهما ٣٥ كم . أنظر محمد القاسي : الاعلام الجغرافيه ، ص ٣٣.

٣) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٦٠٣.

وإحترام لملك قشتاله،فاتحد إبنها مع ملك قشتاله عندما أعلنت ليون ونبرة الحرب عليه ، وبناءً على نصيحة دونياسانشا وقف ابنها بيدرو الثاني بجانب ملك قشتاله ، وفي نظير موقفه هذا أمده الفونسو الثامن بالمساعدات الماليه وأقام الملكان معسكراً في أبله (Avila) لمحاربة الموحدين والاغارة على ليون ونبرة (١) .

وقد شغل بيدرو الثاني في أرغونه بحروب مستمرة مع الأمراء التابعين له،والذين كان يحارب بعضهم بعضاً،وزاد في تلك الفوضى تحالف ملك نبرة مع الموحدين على الرغم من تحذير البابا فرأت أرغونه وقشتاله أن من حقهما غزو نبرة وإقتسام أراضيها فيما بينهما (٢).

ويلاحظ مما سبق أن مملكة أرغونه لم تشتبك مع الخليفة المنصور في أية معركة حاسمة،ولم تسهم مع قشتاله في خوض معركة الارك،وذلك نظراً لتوتر العلاقات السابقه بينهما ، وبغض النظر عن وجود التحالف بين ملك البرتغال وأرغونه ونبرة وليون ، فلم يكن لدى ملك أرغونه أي ثقة في تلك الممالك النصرانية لعلمه التام بما كان سابقاً من تحالفه مع قشتاله ضدها، ولأطماعه الدائمة في مملكة نبرة،فكان ينظر الى ذلك والى ما يعانيه من إضطرابات بلاده بعين القلق والخوف والحذر والترقب ، يضاف الى ذلك ما تمتع به الخليفة الموحدي من هيبة كبيرة ألقت الرعب في قلوب الممالك النصرانية.

وتغيرت الامور عقب موقعة الارك بين قشتاله وأرغونه حيث زال

---

١) Miranda , A. H: Las Grandes batallas, p .210-211.

٢) يوسف أشباخ :تاريخ الاندلس، ج ٢ ، ص ٩٧.

التوتر الذي ساد العلاقات بينهما عقب وفاة الفونسو الثاني وتولي ابنه بيدرو الثاني،وعاد الود بينهما كما كان سابقاً، ووقف بيدرو الثاني بجانب ملك قشتاله ضد ليون ونبرة، التي تحالف معهما أبوه فيما سبق ضد قشتاله. ومن خلال ذلك نرى ما ساد تلك الممالك من إضطراب في أمورها الداخلية إضافة الى ما أتسمت به علاقاتها مع بعضها البعض من توتر وصراع وحروب.

الفصل الثالث

العلاقات الخارجية

١ ـ العلاقة بين صلاح الدين الأيوبي والمنصور الموحدي ...

٢ ـ العلاقة بين المغرب ودولة البرنو الهامة ...

العلاقة بين صلاح الدين والخليفة الموحدي
أبي يوسف يعقوب المنصور

بلغت صلاح الدين الايوبي الأنباء بتجمعات الصليبين للمسير الى البلاد الاسلامية،كرد فعل لاستيلائه على بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وكانت وجهتهم في حملتهم هذه المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة مدينة عكا (١)،التي اعتبروها المفتاح لاستعادة بيت المقدس ، فأصبح لزاماً على صلاح الدين الاستعانة بأمراء وملوك المسلمين لردها عن المشرق الاسلامي ، ومن ضمنهم الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور المجاهد ضد النصارى الاسبان .

وقد وقع الاختيار على الامير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبد الرحمن بن منقذ (٢) لحمل رسالة صلاح الدين الى الخليفة الموحدي أبي

---

١) قيل في وصفها أنها : "...محط الجواري المنشآت في البحر كالاعلام،مرفأ كل سفينه والمشبهة في عظمها بالقسطنطينيه،مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق ..." . وهي بلد على ساحل بحر الشام من عمل الاردن ومن أحسن بلاد الساحل وتميزت بالحصانة الشديدة . أنظر ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص٣٤٣ –
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م٤ ، ص ١٤٣-١٤٤.

٢) هو الامير شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن الامير الأجل نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، ومولده بشيزر ، سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م سمع من علماء الاسكندرية وكان صاحب نثر رائق ونظم وائق ، ومن بيت فضيلة وشجاعة وإمرة وتوجه الى المغرب رسولاً من قبل السلطان صلاح الدين الى المنصور الموحدي وقت حصار عكا ومحاربة الايوبيين للصليبيين ، وأثناء وجوده في المغرب سمع على علماء فاس وكانت وفاته سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م. (=)

يوسف يعقوب، وكانت تعليمات السلطان الايوبي الى السفير والتي أُوردها ابو شامه (١) في نص خطاب كتبه القاضي الفاضل (٢) وتضمن الامر اليه بالمسير الى البلاد المغربية والالمام بأحوالها واخبار أهلها وعاداتهم وأقوالهم وأفعالهم ومجالسهم وطرق مخاطباتهم، وعند لقائه بالخليفة الموحدي وحسب الاوامر اليه أن يطلعه على أُخبار الايوبيين في مصر وأحوالهم وجهادهم ضد الصليبيين وما قاموا به من جهد في سبيل توحيد كلمة المسلمين في مصر والشام والتي أثمرت بتحرير بيت المقدس.

كما نصت التعليمات للرسول الأيوبي باطلاع الخليفة الموحدي على أحوال الصليبيين وإجتهادهم في محاربة المسلمين والامدادات الواصلة اليهم وخصوصاً النجدات البحرية وحصارهم لعكا، ثم جهاد المسلمين لهم. وتبرز النقطة المهمة في هذه السفارة وهي رغبة صلاح الدين في مساعدة الموحدين البحريه له في صراعه ضد الصليبيين بامداده بجزء من الاسطول

(=) انظر زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: التكملة لوفيات النقله، م٢،

ص ٥٢، ترجمة رقم ٨٥٦ – ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٣٩.

٣) كتاب الروضتين، ج٢، ص ١٧٠.

٤) هو أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد على بن القاضي السعيد أبي محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن المفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين وهو وزير صلاح الدين برز في الإنشاء وفاق المتقدمين وكانت ولادته سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان، وتولى أبوه قضاء مدينة بيسان فلهذا نسبوا اليها، وتوفى القاضي الفاضل سنة سته وتسعين وخمسمائه. شهدله العماد بالقدرة في البيان والإنشاء والقريحة الوقادة والبصيرة النقاده والبديهة المعجزة والبديعة المطرزة. ولمزيد من التفاصيل أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٣٣-٣٣٧، ترجمة رقم ٣٤٧.

المغربي أن تيسر ذلك أو بالمال أو الرجال أو قطع مددهم عن البلاد الاسلامية.

وقد أظهر ذلك الرسول لخليفة الموحدين سبب طلب صلاح الدين مساعدته ضد الصليبيين،والمتمثل في إشتداد خطر الحملة الصليبية الثالثة على البلاد الاسلامية،والتي تستوجب إتحاد المسلمين ضدها ، ثم لقرب المنصور الموحدي للأماكن القادم منها المدد لجنودهم ولقدرته على قطع الطريق أمام تلك الامدادات ، بالاضافة الى إيضاح الرسول موقف صلاح الدين من الغز والنوبة المصرية ومافعله بجندها (١)، الى جانب حث صلاح الدين لمبعوثه على الاسراع بالسفر قبل حلول الشتاء وتعذر ركوب البحر وقت إشتداد أمواجه (٢) .

---

١) يشير هنا الى الفتنة التي واجهها صلاح الدين بزعامة مؤتمن الخلافة وهو خصي كان في قصر الخليفة الفاطمي العاضد وهدفت الفتنة الى الاستعانة بالفرنج للتخلص من صلاح الدين فاكتشف المؤامرة والرسالة المرسلة الى الفرنج وأنتهز فرصة خروج مؤتمن الخلافة الى قرية له تعرف بالخرقانيه للتنزه فيهاءفارسل صلاح الدين اليه من قتله فثار الجند السودانيون وبعض من المصريين ، فسير اليهم جنده فالتقوهم بين القصرين وقاتلوهم وطردت فلولهم الى الصعيد سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م ولم يلبث ان أجلاهم عن مصر ، ثم غزا توران شاه بلاد السودان لتطهيره من بقايا العناصر المعادية لصلاح الدين . ولذلك طلب صلاح الدين من رسوله أن يضع هذه الحقيقة أمام الخليفة الموحدي قائلاً : " ...وإن سئل عن النوبة المصرية وما فعل بجندها فيعلمهم الامير أن القوم راسلوا الكفار والمموهم في تسليم الديار فاشفى الاسلام على أمر شديد وكاد يقرب على الكفر كل أمر بعيد فلم يعاقب الجيش بل أعيان المفسدين فقوبلوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين لله بما سعوا في الارض من فساد فأما بقية الجيش وأن كان منهم من هو تبع للمذكورين في الرضا فإنهم إقتصر بهم على أن لا يكونوا جنداً ومنهم من أجريت عليه أرزاق تبلغه (=)

رسالة صلاح الدين الأيوبي الى أبي يوسف يعقوب المنصور (١) :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من الفقير الى رحمة ربه يوسف بن أيوب

أما بعد :

فالحمد لله الماضي المشية الممضي القضية البر بالبرية الحفي بالحنفيه الذي أستعمل عليها من أستعمر به الارض واغنى من أهلها من سأله القرض وأجزل من أجرى على يده النافلة والفرض وزان سماء الملة بدراري الذراري التي بعضها من بعض وصلي الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتاباً فيه الشفاء والتبيان وبنى الاسلام بأمته التي شبهها صاحبها بالبنيان وعلى آله وصحبه الذين إصطفاهم وطهرهم فنصروه وظاهروا رسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم وأظهرهم ويسربهم السبيل وأن الله بهم لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ

(=) وشملته آمنة تسكنه..." وعن ذلك أنظر ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ١٠٣- ابو شامة : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ١٧١.

٢) ابو شامة : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧١.

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ،ص ١٧١-١٧٣- ويلاحظ في هذه النقطة أن تلك الرسالة لم تكن الاولى بل سبقتها رسالة من صلاح الدين الى المنصور بتاريخ : " ...العشر الوسط من شعبان المكرم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م يصف ما سناه الله تعالى ويسره بقدرته من الفتوحات في الروم ..." ثم يقول : ونص النسخات التي وصل بها الطائر الى الاسكندرية من مصر بصورة فتحة هو (=)

رحيمٌ " (١) وهذه التحية الطيبة الكريمة الصيبة الواجبة الرد الموجبة للقصد العذبة الورد المتنفسة عن العنبر والورد وقادة على دار الملك ومدار النسك وجل الجلالة واصل الاصالة ورأس الرياسة ونفس النفاسة وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وقيمة ومقدم الاسلام ومقدمه ومقتضى دين الدين ومثبت المتقين على اليقين ومعلى الموحدين على الملحدين أدام الله له النصرة وجهز به تيسير العسرة وردّ له الكرة وبسط له باع القدرة واوثق به حبل الالفة ومهد له درجات المعرفة وعرفه كل ما يعتزمه صنعاً جزيلاً وجميلاً ولطفاً حفياً جليلاً ويسر عليه في سبيله كل ما هو أشد وطأ وأقوم قيلا تحية أستنير منها الكتاب واستنيب عنها الجواب وقد حفز لها حافزان أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكناً الى أن تيسر الاسباب والآخر مرام عظيم ماكره اذا استفتحت به الابواب وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هناءة بفتح البيت المقدس وسكون الاسلام منه الى المقيل والمعّرس وما فتح الله للاسلام من الثغور وما شرح لأهله من الصدور وما أنزله عليهم من النورولم يخل المسلمون فيه من دعوات اسرار ذلك الصدر وملاحظات

(=) هذا المسطر :

بسم الله الرحمن الرحيم — صلى الله على سيدنا محمد وآله

"سرح هذا الطير الطائر ورفيقه في أول ساعة من نهار الاربعاء عند ورود البشرى بالمكاتبة المعظمة السلطانية بتاريخ يوم الجمعة ٢٨ من رجب سنة ٥٨٣هـ (٣ أكتوبر ١١٨٧م) بما من الله تعالى به من فتح بيت المقدس ورفع الأعلام الناصرية في أشرف موضع فيه وتقرر على كل من فيه لشراء أنفسهم الرجل بـ ١٠ دنانير والمرأة بـ ٥ دنانير والطفل بدينارين ، وتلك نعمة لا تحصر ولاتحصى وعدد من خلص فيه من أسارى المسلمين ٤٠٠٠ أسير وكان له في النفوس من الفرح والجذل ما لاخفاء فيه " . أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٠٤، ١٠٦.

١) القرآن الكريم : سورة الحشر ، آية رقم ١٠.

أنوار ذلك البدر ومطالعات تلك الجهة التي هي وان كانت غريبة فإن الغرب مستودع الأنوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار ومن جانبه يأتي سكون الليل ومستروح الاسرار وعنه يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار" (١) ولم تتأخر المكاتبة إلا ليتم الله ما بدأ من فضله وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله والمفتح بيد الله من الشام مدن وأمصار وبلاد كبار وصغار وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل وللإسلام معاقر ولبني الكفر مصانع ولبني الاسلام مصارع والباقي بيد الكفر فيها ثغر طرابلس (٢) وصور (٣) وإنطاكيه (٤) يسر الله أمرها وفك من يد الكفر أسرها واذا أمن المؤمن على هذه الدعوة رجى إيجابها وما يتأخر من الله سبحانه جوابها فالدعاء أحد السلاحين ومع النية يطير الى وكره من السماء بجناحين بعد أن كسر العدو الكسرة التي لم يجبر بعدها وألجيء الى حصونه التي للحصر أعدها وكان يومها كريماً ولطف الله فيها عظيماً قضت كل حاجة في النفس وأغنت المسلمين فأما العدو بعد يومها فكأن لم يغن بالامس وكانت على أثر غزوات قبلها فالظن بالمجهز بعد النكس ولم

---

١) القرآن الكريم : سورة النور ، آية رقم ٤٤.

٢) طرابلس هي إحدى قواعد الشام ، وبلدانها الفخام يخترقها الانهار وتحف بها البساتين ويكتنفها البحر بمرافقه العميمه . أنظر ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ج١، ص٥٢.

٣) صور : من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جداً ركينة لا سبيل اليها إلا بالخذلان . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٤٣٣.

٤) إنطاكيه : مدينة عظيمة وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام ...كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وتجد بها نهر العاصي . أنظر ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه، ج ١ ، ص ٥٩.

يؤخر فتح البلاد بعدها إلا ان فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب فاجابوهم رجالاً وفرساناً وشيباً وشباباً وزرافات ووحدانا وبراً وبحراً ومركباً وظهراً وركبوا اليهم سهلاً ووعراً وبذلوا ماعوناً ودخراً وما احتاجوا ملوكاً ترتادهم ولارساناً تقتادهم بل خرج كل يلبي دعوة بطركه ولا يحتاج الى عزمه ملكه وخرجت لهم عدة ملوك أقفلت العجمة على أسمائها وأتت العزيمة بحمد الله على أشخاصها عند لقائها ومنهم ملك الالمان خرج في جموع برية من الله تعالى برية ملأت الفجاج وازدحمت فانفذها العجاج ومنهم من ركب ثج البحر فركب الاجاج العجاج وامتطى من البحر مشية الرجاج لينصر ديناً مشبه الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر وراكب ذلك الدين كراكب البحر بلاساحل سلامة والى قاع كفر وجلب الكفّار الى المحصورين بالشام كل مجلوب وملؤوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ما بين أقوات واطعمه وآلات وأسلحة وشلة وجنة وحديد مضروب وزيره ونقدي ذهب وفضه الى ان شحنوا بلادهم رجالاً مقاتله وذخائر للعاجله من حربهم والآجله لا تشرق شارقة إلا طلعت على العدو من البحر طالعة تعوض من الرجال من قتل وتخلف عن الزاد ما أكل فيهم كل يوم في حصول زيادة ووفور مادة وقد هال عليهم موقع الحصر وأعطاهم البحر ما منعهم البر وبطروا لما كثروا ونظروا فإنهم لا يستطيعون ان يلقوا ويصحروا ويستطيعون ان يحصروا على ان ينحصروا ونزلوا على عكا بحيث يمدهم البحر بامداده ويصل الى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وازواده وبمن يكثر به من مقاتله واجناده فانقطعت مادة عكا من البحر وحصروا منازلهم من العدو من جهة جانب البر فحدقوا على نفوسهم وحثوا التراب على رؤوسهم وعقدت عدّتهم مائة الف أو يزيدون كلما أفناهم القتل اخلفتهم النجدة فكانهم قبل الممات يعودون فاتمنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها فنفذت

عمارتنا الى الثغر واوصلت اليه الاقوات التي حمل منها البحر مالا يحمله الظهر والاسلحة التي امضاها الله عز وجل بيد الاسلام في صدور الكفر وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عدة فعدد مراكبهم كبيراً ولكن لقيناهم بأصدق منها عزمة والقليل مع العزم الصادق كثير وأستمر مقام العدو محاصراً للثغر محصوراً منا أشد الحصر لا يستطيع قتال الثغرلانا من خلفه ولا يستطيع الخروج الينا خوفاً من حتفه ولا نستطيع نحن الدخول اليه لانه قد سوّر وخندق وحاجز من وراء الحجرات وأغلق ولما خرج ملك الالمان بحشده وسمعته التي هي منه أحشد وعاد جيشه الملعون على رسم قديم الى الشام فكان العود لأمة أحمد (ص) أحمد قويت به نفوسهم وجمحت به رؤوسهم وظنوا أنه يزعجنا من مخيمنا ويخرجنا من خيمنا فبعثنا اليه من يلقاه بعساكرنا الشماليه فسلك ذات الشمال متوعراً فيها محتجزاً عن لقائها مظهراً أنه صريع داء وما به غير دائها وكان أبوه الطاغية ملك الالمان شيبه اللعن اللعين قائد جيشه الى سجن سجين قد هلك في طريقه غرقاً وخاض الماء فخاضه الماء شرقاً وبقي له ولد وهو الآن المقدم المؤخر وقائد الجمع المكسر وربما وصل بهم الى عكا في البحر تهيباً ان يسلك البر ولو سبق أصحابنا الى عساكر الالمان قبل دخولها الى انطاكية لاخذوه أخذاً سريعاً وسبق بحر سيوفهم الى ان يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعاً ولكن لله المشيئة في البرية والطاغية انما يمشي الي البلية فانه لو لا إحتجاز مقيمهم بالخنادق وإجتياز واصلهم بالمضايق لكان لنا ولهم شأن وكان ليومنا في النصرة الكبرى بحول الله ثان لا يثنيه من العدو ثان ولما كانت حضرة سلطان الاسلام وقائد المجاهدين الى دار السلام أولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبثه واستعان به على حماية نسله وحرثه وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد الغرّا المحجلة المؤمرة الكاشفة لكل معضلة

الكاسفه لكل مشكلة والاخبار بذلك سائرة والآثار ظاهرة والصحف عنه باسمة والسير به معلمة وعالمة وكل بجهاده قد سكن إلا السيوف في اغمادها وقد آمن الا كلمة الكفر في بلادها لا يزال في سبيل الله غادياً ورائحاً ومواجهاً ومكافحاً و مماسياً ومصابحاً يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكاً على الاسرة وغزاة تصافح وجوهاً لسيوف فلا يخمد نور الاسرة يذود الفرق الكافرة ولو ترك سبيلها لملاقراره كل واد وكلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله ولولاه لأخمد شرارة كل زناد وكان المتوقع من تلك الدولة الغالية والعزمة الغادية مع القدرة الوافية والهمة المهدية الهادية ان يمد غرب الاسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جواري كأعلام ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي معلقة بالايام تطلع علينا معشر الاسلام آمالاً وتطلع على الكفار آجالاً وتردنا إما جملة وإما إرسالاً مسوّمة تمدها ملائكة مسوّمة ومعلمة تقدم حيازيمها اقدام حيزوم تحت أصحابه وإنما هي منه عزمه كانت تعين اصحاب الميمنه على أُصحاب المشأمة وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة ولما استبطت ظن انها توقفت على الاستدعاء فصرخنا في هذه التحية فقد تحفل السحاب ولا تمطر إلا ان تحركها ايدي الرياح وقد تترك النصرة فلا تظهر إلا أن تضرع اليها السنه الصفاح وسير لحصن مجلسه الاطهر ومحله الانور الامير الأجل المجاهد الامين الاصيل شمس الدين نفير الاسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين أُبو الحزم عبد الرحمن بن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته وما اختير للوفاده الآمن هو أهلها ولا حمل الوديعة الآمن هو محلها ولا بعث لنهج الصلة إلا من هو مفتاحها ولا داء الامانة الآمن هو قفلها ومهما استوضح منه وسئل عنه فإنه على نفسه بصيرة ومن البيان ذو دخيرة وفي العربية ذو بيت وعشيرة والمشاهد له أُوصف على ان تلك الجلالة ربما

ذعرت البيان فأخلف وما أجدره بأن يصادف بسطة على بساطه ونظراً يأذن له في القول على إختصاره وتوسطه وإفراطه فكل هو به وافٍ وكل هو للفهم الكريم كافٍ والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في إستنهاض العزمة منه بالغة مبلغاً يسر أهل دينه ويوزعهم بها إقتضاء ديونه من الذين إتخذوا لها من دونه والسلام الصادر عن القلب السليم والودّ الصميم والعهد الكريم على حضرة الكرم العليه وسدّة السيادة الجلية سلام مودّة ما وفد الغرب قبلها مثلها ورسالة ماخطرت الى أن انفذت و رائها المحبة رسلها وليصل السلام رحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ان شاء الله تعالى وكتب في شعبان سنة ست وثمان وخمسمائة والحمد الله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه" (١).

رسالة صلاح الدين الايوبي الى المنصور الموحدي كما وردت في صبح الاعشى (٢) وهي مختلفة عن الرسالة التي أوردها أبو شامه في كتاب الروضتين وفيمايلي نصها :

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين وسيد العالمين وقسيم الدنيا والدين أبواب الميامن وأسباب المحاسن وأحله من كفايته في الحرم الآمن

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١-١٧٣.

وكانت الهدايا المرسلة الى الخليفة الموحدي هي عبارة عن ختمة كريمة في ربعة مجْبشة بمسك ثلثمائة مثقال عنبر قلائد عددها ستمائة حبة عود في سفط عشرة أمنا وهان بلسان مائة درهم وواحد قسي باوتارها مائة وقوسان سروج عشرون نصول سيوف هندية عشرون نشاب ...خاص مريش كبير ومتوسط ضمن صندوقي خشب مجلده سبعمائة سهم . أنظر المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٣.

٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٥٢٦ - ٥٣٠.

وأنجزه من نصرة الحق ما الله له ضامن وأصلح به كل رأى عليه الهوى رائن ومكن له في هذه البسيطة بسطه وزاده بالعلم غبطة حتى يكون للأنبياء بالعلم وللأرض بالعزم وراثاً وحتى يشيد بحادث قديماً من مجده الذي لا يزال بغض الحديث حادثاً . كان من أوائل عزمنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مفاتحة دولة سيدنا وأن نتيمّن بمكاتبتها ونتزين بمخاطبتها وننهض إليها أماثل الأصحاب ونستسقي معرفتها إستسقاء السحاب وننتجها بالخواطر ونجعل الكتب رسلها وأيدي الرسل سبلها ونمسك طرفاً من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العاليه طرفه ونمسح غرة سبق وارثها ووارث نورها سلفه ونتجاذب أعداء الله من الجانبين لا سيما بعد أن نبنا عنه نيابتين في نوبتين : فالاولى تطهير الأرضين المصرية واليمنيه من ضلالة أغضت عيون الايام على قذاها وأنامت عيون الأنام بائعة يقظتها بكراها؛ ونيابة ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تقديسه ويزعج ببناء ضلاله تأسيسه وماكان إلا جنة إسلام فخرج منها المسلمون خروج أبيهم آدم من الجنة وأعقبهم فيها إبليس الكفر وما أجارته مما أعقبه اللعنة وما كانت لنا بذلك قوة بل لله القوة ولا لنا على الخلق منة بل لله المنة .

ولما حطت لدين الكفر تيجان وحُطّمت لذويه صلبان وأخرس الناقوس الآذان ونسخ الإنجيل القرآن وفكت الصخرة من أسرها وخف ما كان على قلب الحجر الأسود بخفة ماكان على ظهرها وذلك أن يد الكفر غطتها وغمرتها فلله الحمد أن أحرمت الصخرة بذلك البنيان المحيط وطهرها ماطر من دم الكفر وما كان ليطهرها البحر المحيط ، فهنالك غلب الشرك وانقلب صاغراً واستجاش كافر من أهله كافراً واستغضب إنفاره النافرة واستصرخ نصرانيته المتناصره وتظاهروا علينا وإن الله مولانا وطاروا

الينا زرافات ووحدانا فلم يبق طاغية من طواغيهم ولا أثفية من أثافيهم إلا ألجم وأسرج وأجلب وأرهج وخرج وأخرج وجاد بنفسه أو بولده وبعدده وبعدده وبذات صدره وبذات يده وبكتائبه براً وبمراكبه بحراً وبالاقوات للخيل والرجال والاسلحة والجنن لليمين والشمال وبالنقدين على إختلاف صنفيهما في الجمع وأئتلاف وصفيهما في النفع وأنهض أبطال الباطل من فارس وراجل ورامح ونايل وحاف وناعل ومواقف ومقاتل كل خرج متطوعاً وأهطع مسرعاً وأتى متبرعاً ودعا نفسه قبل ان يستدعى وسعى الى حتفها قبل ان يستسعى حتى ظننا أن في البحر طريقاً يبساً وحتى تيقّنّا أن ما وراء البحر قد خلا وعسا وقلنا : كيف نترك وقد علم أنه يدرك وزادت هذه الحشود المتوافيه وتجافت عنها الهمم المتجافيه، وكثرت الى ان خرجت من سجن حصرها ومستقر كفرها وبقية ثغرها - وهو صور- فنازلت ثغر عكا في أسطول ملك بحره وجمع سلك بره - فنهضنا اليه ونزلنا عليهم وعليه فضرب معنا مصاف قتلت فيه فرسانه وجدلت شجعانه وخذلت صلبانه وساوى الضرب بين حاسر القوم ودارعهم وبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم فهنالك لاذوا بالخنادق يحفرونها والى الستائر ينصبونها وأخلدوا الى الارض متثاقلين وحملوا أنفسهم على الموت متحاملين وظاهروا بين الخنادق وراوحوا بين المجانق وكلما يجن القتل من عددهم أوصلها البحر ممن يصل ورائه بألف وكلما قلوا في أعيننا زحف قد كثروا فيما يليه من الزحف ولو أن دربه عساكرنا في البحر كدربتها في البر لعجل الله منهم الانتصاف واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالآف وقد اشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجم والعدد الدهم كأنهم الى نصب يوفضون وعلى نار يعرضون ووصولهم على جهة القسطنطينيه - يسر الله فتحها - على عزم الائتمام الى الشام في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف

والعساكر الاسلامية لهم تستقبل والى حربهم تنتقل فلا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم واليها ويفرغ لها ويتسلط عليها؛ "والله من ورائهم محيط " (١) واذا قسمت القوة على تلقي القادم وتوقي المقيم فربما أضر بالاسلام انقسامها وثلمه والعياذ بالله انثلامها .

ولما مخض النظر زبده وأعطى الرأى حقيقه ما عنده لم نر لمكاثرة البحر إلا بحراً من أساطيله المنصورة فان عددها وافٍ وشطرها كافٍ ويمكنه - أدام الله تمكينه - أن يمد الشام منه بعدٌ كثيف وحدٌ رهيفٍ ويعهد إلى واليه أن يقيم الى أن يرتبع ويصيف ويمكنه أن يكفٌ شطراً لأسطول طاغيه صقليه ليحص جناح قلوعه أن تطير ويعقل عباب بحره أن يغير ويعتقله في جزيرته ويجري إليه قبل جريرته فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكرٍ لا ترديه الحامد على عقبها ويقيم على الكفر قيامة يطلع بها شمس النصر من مغربها، فاذا نفذ طريقه وعلم الناس بموفده أوردوا وأصدروا في مورده وشخص المسلم والكافر. هذا ينتظر بشرى البدار وهذا يستطلع لمن تكون عقبى الدار وخاف وطأة من يصل من رجال الماء من وصل من رجال النار ولو بزقت عليهم بازقة غربية لأغرقـهم طوفانها فانها ولو طلعت عليهم جارية بحرية لنعقت فيهم بالشتات غربانها .

ومارأينا أهلاً لهذه العزمة إلا حضرة سيدنا أدم الله صدق محبة الخير فيه أذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرةً على الاجابة ورغبة في الانابة ولاية لأمر المسلمين ورياسة للدنيا والدين وقياماً لسلطان التوحيد القائم بالموحدين وغضباً لله ولدينه وبدلاً لمذخوره في الذب عنه دون ما عودة.

---

١) القرآن الكريم : سورة البروج ، آية رقم ٢٠.

والآن فقد خلا الإسلام بملائكته لما خلا الكفر بشياطينه وما أجلت السوابق إلا لإطلاقها ولا أثلث الذخائر إلا لإنفاقها وقد استشرف المسلون طلوعها من جهته المحروسة جاراً من الاساطيل تغشى البحار وليالي من المراكب تركب من البحر النهار وإذا خفقت قلوعها خفقت للقلاع قلوب وإذا تجافت جنوبها عن الموج تجافت من الملاعين جنوب فهي بين ثغر كفر تعتقله وتحصره وبين ثغر إسلام تفرج عنه وتنصره يكون بها مصائب عند المسلمين؟ وتظل قلائد المشركين لغربان بحره طرائد ويمضي سيف الله الذي لا يعدم في كل زمان فيعلم منه أن سيف الله خالد أعز الله الإسلام بما يزيد حضرة سيدنا من عزها فيما مد عليها من ظلها وبما يسكنه من حرزها فيما يبسط على الاعداء بها من بأسها وينزل بهم من رجزها وبما يجرده من سيوفها التي تقطع في الكفر قبل سلها وهزها.

وقد أوفدناه على باب حضرة سيدنا وهو الداعي المسمع،والمبلغ المقنع، والمجمع المستجمع،علمناه أمراً يسراً،وبوأناه الصدر فكان وجهاً،وأودعناه السر فكان صدراً".

وبعد سقوط عكا في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م أرسل صلاح الدين رسالة الى رسوله ابن منقذ الذي كان لا يزال موجوداً في فاس شارحاً له فيها ما وصلت اليه مراحل القتال مع الصليبيين وإستيلائهم على عكا الى جانب حثه على سرعة انجاز مهمته قائلاً :(١)

لقد تجاوزت عدّة من قتل على عكا - يعني من الفرنج- الخمسين ألفاً قولاً لا يطرقه التسمح بل يحرزه التصفح فانبروا في هذه السنة (٥٨٧هـ)

---

١) ابو شامة : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٨-١٨٩- ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٦١-٣٦٢.

ملكاً أفرنسيس وانكلتير ومولك آخرون في مراكب بحرية وحمّالة حملوا فيها الخيول والخيالة والمقاتله والآلة ووصلت كل سفينة تحمل كل مدينة وأحدقت بالثغر فمنعت الناقل بالسلاح اليه والداخل بالميرة عليه ...وأخذ البلد على مسلم كالحرب ودخله العدو ولو لم يدخل من الباب دخل من النقب وماوهنا لما أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ولا رجعنا وراءنا ولا إنصرفنا بل نحن بمكاننا ننتظر ان يبرزوا فنبارزهم ويخرجوا فنناجزهم وينشروا فنطويهم وينبثوا فنزويهم وأقمنا على طرقهم وخيمنا على مخنقهم وأخذنا بأطراف خندقهم وأحوج ماكنا الى النجدة البحرية والاساطيل المغربية فان عاريتنا به ترد وعاديتنا بها تشتد والامير يبلغ ما بلغه من خطب الاسلام وخطوبه ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبه ويعجّل العودة وقبلها الإجابة ويستصحب السهم ويسبق ببشرى الإصابة ويشعر ان الراية قد رفعت لنصر تقدّم به (عرابه) فإن للاسلام نظرات الى الافق الغربي يقلبها وخطرات من اللطف الخفي يقرّبها ويكفي من حسن الظن أنها نظرة ردت الهواء الشرقي غرباً وخطرة أوهمت ان تلك الهمة لو تلم بالسفائن لأخذت كل سفينة غصباً".

محتويات الرسائل السابقة :

ومن خلال ما سبق نلاحظ حقيقة هامة وهي إختلاف النص لكلتا الرسالتين ، فاذا نظرنا الى رسالة صلاح الدين والتي أوردها أبو شامة نجد فيها الاتي :

١- تطهير المسلمين لبيت المقدس من سيطرة الصليبيين بالاضافة الى إستيلائهم على كثير من مدن وقلاع بلاد الشام مع ذكر لأسماء المعاقل الصليبيه التي لم تسترد وهي صور وطرابلس وإنطاكية .

٢- أثر استرداد بيت المقدس على الغرب الاوربي ودوره في قيام الحملة الصليبية الثالثة.

٣- الاستعدادات الضخمة التي حشدها الغرب الاوربي ضد المسلمين في بلاد الشام.

٤- تميزت هذه الحملة بقيادة بعض ملوك أوروبا المعروفين لها.

٥- امبراطور المانيا ومسيره براً الى بلاد الشام.

٦- الامدادات المتدفقة للصليبيين في بلاد الشام.

٧- هدف الحملة هو مدينة عكا.

٨- تقدير عدد أفراد الحملة الصليبية القادمة الى عكا.

٩- جهود المدينة في الصمود أمام الهجمات الصليبية.

١٠- موت الامبراطور الالماني غرقاً ومتابعة المسير ببقية الجند الى بلاد الشام وحرصه في عدم انفراد المسلمين به حتى وصوله الى عكا.

١١- تلقيب الخليفة الموحدي بالعديد من الالقاب مثل "وجل الجلالة وواصل الاصالة ورأس الرياسة ونفس النفاسة وحكم الحكم وعلم العلم وقائم الدين وقيمه ومقدم الاسلام ومقدمه ومقتضى دين الدين ومثبت المتقين على اليقين ومعلي الموحدين على الملحدين...سلطان الاسلام وقائد المجاهدين ...حضرة الكرم العلية وسدة السيادة الجلية ..."

١٢- اثبات الرسالة لإسم السفير الايوبي شمس الدين أبو الحزم عبد الرحمن بن منقذ وماتميز به من صفات عالية وقدرة على البيان وسعة علم.

١٣- دعوة صلاح الدين للموحدين لمؤازرة اخوانهم المجاهدين ضد الصليبيين وخصوصاً في الناحية البحرية.

١٤- تاريخ كتابة الرسالة هو شعبان سنة ٥٨٦هـ.

والملاحظ في الرسالة التي أوردها أبوشامة اضفاؤها العديد من الالقاب على الخليفة الموحدي مثل " وجل الجلالة واصل الاصالة ...وغيرها" . بينما يشير سعد زغلول عبد الحميد في مقاله (١) أن الرسالة لقبت المنصور الموحدي مثلاً بالاسفهسلار الاصيل ، والعالم المحترم ، تاج الدولة ، امير الملة ، صفوة الملوك والسلاطين .

وللإجابة على ذلك نقول لقد إلتبس الامر هنا على الكاتب المذكور وسأورد نصاً لإيضاح الخطأ الذي وقع فيه .

يقول أبو شامه (٢) : نسخة كتاب كتبه القاضي الفاضل ونقلته من خطه لابن منقذ يأمره فيه بالسفر الى المغرب بأمر الملك الناصر صلاح الدين ...بسم الله الرحمٰن الرحيم . الامير الأجل الاسفهسلار الاصيل ، العالم المحترم شمس الدين عدة الاسلام ، جمال الانام ، تاج الدولة ، امين الملة ، صفوة الملوك والسلاطين ، شرف الأمراء ، مقدم الخواص ادام الله توفيقه ويسر طريقه وانجح مقصده واعذب مورده وحرس مغيبه ومشهده واسعد يومه وغده يستخير الله سبحانه ويتوجه كيفما يسر الله الى الجهة الاسلامية المغربية حرس الله جانبها ونصر كتائبها ومراكبها..."

ومن هنا نلاحظ الالقاب والتي أشار اليها الكاتب المذكور انها للخليفة المنصورءقد وردت في الرسالة التي وجهها القاضي بأمر من صلاح الدين الى ابن منقذ بالسفر الى المغرب للقاء الخليفة الموحدي وطلب المعونة

---

١) العلاقة بين صلاح الدين وابي يوسف يعقوب ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، م ٦-٧، ١٩٥٢-١٩٥٣م ، ص٨٨.

٢) كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ١٧٠.

البحرية منه ولم تكن في الحقيقة موجهة الى الخليفة المنصور.

ويشير ايضاً سعد زغلول عبد الحميد في مقاله (١) ان الرسالة الموجهة الى المنصور الموحدي والتي أوردها أبو شامة مدونة بتاريخ ٢٨ شعبان.

ولتوضيح ذلك نقول ان الرسالة التي وجهها القاضي الفاضل بأمر صلاح الدين الى ابن المنقذ هي التي تحمل تاريخ ٢٨ شعبان سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م حيث يشير أبو شامة الى ذلك قائلاً : " ...وكتب في ثامن وعشرين شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة .." (٢) .

وعلي ذلك فقد سبق وأوردت نص الرسالة الموجهة الى الخليفة الموحدي وهي خالية من تحديد اليوم الذي كتبت فيه ومقتصرة على ذكر اسم الشهر والسنة (٣).

وأما فيما يتعلق بالتشكيك في هذه الرسالة المنقولة عن الاصل (٤) ، فأمر غير مقبول حيث نجد أبا شامه يرد قائلاً : "...وكنت اتطلب حقيقة ذلك وابحث عن شرح الحال فيه فان العماد والقاضي لم يتعرضا له في كتبهما ...وغرضي كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة ومضمونها ثم اراني بعض الشيوخ الصلحاء الثقاة بخطه ما كنت أرومه فنقلته على وجهه..." (٥) وبالاضافة الى ماسبق فهناك أيضاً نص يفهم منه فعلاً بوجود وكتابة هذه الرسالة وهو ما نقله أبو شامه عن رسالة للقاضي الفاضل

---

١) العلاقة بين صلاح الدين وابي يوسف يعقوب ، ص ٨٧ ، حاشية رقم (٥)

٢) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١.

٣) أنظر ما سبق ذكره في هذا الجزء ، ص، ٥٤ ٢

٤) سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح والمنصور ص ٨٨

٥) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٠.

الى صلاح الدين وقد ورد في جزء منها ما يلي : "...فالمفهوم من الأمر للملوك أن يتولى من الكتابة ترتيب المقاصد وتحرير الالفاظ وتنفيذ الخبر مما أجراه الله تعالى على يد مولانا عز نصره والثاني المطلوب فقد فعل هذا كله في النسخة ..." (١) ويضاف الى ما سبق ما ورد أيضاً على لسان القاضي الفاضل من كتابته لرسالة صلاح الدين الموجهة الى الخليفة الموحدي قائلاً : " ...فسير الملوك النسخة وان وافقت فينعم المولى على الملوك بترجمة يلصقها على ماكتبه ويأمر نجم الدين (٢) بتسلم الكتاب ..." (٣).

ويدل ذلك على ان الرسالة كتبت في مصر ثم سيرت الى صلاح الدين للإطلاع عليها فإن حازت على إعجابه أمر رسوله بالسير بها الى الموحدين.

الى جانب ذلك يوجد نص يشير الى الطريقة التي بدأت بها الرسالة وفيما يلي : " ...فأما الذي يترجم به المولى عز نصره فيكون مثل الذي يدعى به على المنبر لمولانا وهو الفقير الى الله تعالى يوسف بن أيوب أدام الله غنى مولانا بالفقر الى ربه ..." (٤).

وبعد كل ما أوردته من تأكيد لصحة الرسالة التي وجهها صلاح الدين للخليفة الموحدي بقيت نقطة أخيرة أسوقها تحمل الدليل على عدم رغبة رجال صلاح الدين في الاستنجاد بالخليفة الموحدي وربما تكون هي السبب في عدم تعرض بعض المؤرخين المهمين للحديث عن موضوع السفارة ونتج

---

١) ابو شامه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٥.

٢) المقصود هو ابن منقذ .

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ،. ج ٢ ، ص ١٧٥.

٤) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٥.

عنه التشكيك فيها مثل ابن شداد وابن الاثير والعماد وتتلخص في نظرتهم للموحدين التي يظهرها القاضي الفاضل في رسالته لصلاح الدين قائلاً في عدم دعوة الخليفة الموحدي بألقاب الخلافة : " ...ومتى قرئت على منبر من منابر المغرب جعلنا خالعين في مكان الاجماع مبايعين من لا ينصره الله ولاشوكة فيه ولا يحل اتباعه مرخصين الغالي منحطين عن العالي شاقين عصا المسلمين مفرقين كلمة المؤمنين مطيعين لمن لا تحل طاعته متقلدين لمن لاتصح ولايته فيفسد عقود الاسلام وينفتح باب أوارده عن إصدار ..." (١).

فمن هنا نلاحظ أن هذه النظرة قد تكون هي السبب في إهمال بعض المؤرخين المهمين لهذا الموضوع ثم في إيجاد الشك فيها (٢) .

وفيما يتعلق برسالة القلقشندي فقد ورد فيها ما يلي :

١- يشير الى أن الرسالة ارسلت الى الخليفة الموحدي في سنة ٥٨٥هـ (٣).

٢- رغبة صلاح الدين في الاتصال بالموحدين منذ قدومه الى الديار المصرية لتنسيق الجهود بين الطرفين في الجهاد ضد أعداء الاسلام.

٣- إشارة الرسالة الى قيام صلاح الدين بتطهير الاراضي المصرية من دعوة الفاطميين،وفتح اليمن ثم إستعادة بيت المقدس من الصليبيين.

٤- أثر ذلك في مجيء الحملة الصليبية الثالثة لاستعادة بيت المقدس ومدى الإمكانيات والإستعدادات بها.

٥- إتجاه الصليبيين الموجودين في صور الى عكا.

٦- اشتداد القتال والضغط على مدينة عكا مع استمرار وصول الإمدادات

---

١) ابو شامه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٥.

٢) سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين والمنصور، ص ٨٩ .

٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٦ ، ص ٥٢٦.

للصليبيين المحاصرين لها.

٧- الإشارة الى تفوق القوات البرية لصلاح الدين في مواجهة الصليبيين مع الإقرار بتفوق العدو في القوات البحرية.

٨- قيادة ملوك أوربا لهذه الحملة ومسير جزء منها براً الى بلاد الشام .

٩- محافظة صلاح الدين على الثغور الإسلامية من الصليبيين.

١٠- وحدة الجيوش الإسلامية في معاركها مع الصليبيين .

١١- الاستنجاد بالاساطيل المغربية لمساعدة الأيوبيين، بالاضافة الى رغبة صلاح الدين من الخليفة الموحدي في قطع المدد الصليبي القادم من صقليه الى بلاد الشام .

١٢- قرب البلاد المغربية من صقليه مما يمكنها في قطع المدد عن الصليبيين

وفيما يختص برسالة القلقشندي لا نوافقه على القول بأن هذه السفارة كانت في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، بل حدثت في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م. ولعل وضع القلقشندي لها في هذا التاريخ عائد الى الوقت الذي بدأ فيه الامبراطور الالماني بالتحرك الى بلاد الشام في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. كما يلاحظ في هذه الرسالة إختلاف نصها عن النص الذي أورده أبو شامه في كتابه ولعل ذلك راجع الى وضعه لها وصياغته لكلماتها كنموذج للرسائل المتبادلة بين حكام مصر وخلفاء الموحدين في المغرب (١) وهذا لا يتنافى مع قولنا ان صياغتها قد تمت وفقاً لبعض الحقائق والتي لم ترد في رسالة صلاح الدين للمنصور الموحدي عند أبي شامه - وعلى الرغم من عدم ذكر القلقشندي لمصدر معلوماته في الرسالة فنستطيع ان نقول باحتمال عثوره على نصوص أو وثائق تهيأ له الإطلاع عليها بحكم عمله في ديوان الإنشاء في

---

١) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٦ ، ص ٥٢٦.

مصر مع ملاحظة أن تاريخ وفاة القلقشندي هو سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م. ومع ذلك فالمعلومات الواردة في الرسالة تتفق في دقتها مع كثير من الاحداث التي واجهتها بلاد الشام في خلال الحملة الصليبية الثالثة مع الاشارة الى ما قام به صلاح الدين في مصر واليمن قبل إقدامه على خوض المعارك لطرد الصليبيين من بلاد الشام.

وعلى هذا فلا نستطيع الشك في الحقائق الواردة في رسالة القلقشندي نظراً لاهميتها ، ومع كل ما سبق وذكرناه فقد كان بودي العثور على بقية اجزاء كتاب مضمار الحقائق لمحمد بن تقي الدين المعاصر لتلك الاحداث - والتي كان فيها والده مجاهداً مع عمه صلاح الدين - حيث لم يصلنا منه سوى الجزء الموجود بين أيدينا والمتوقف في تدوين أحداثه عند سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م .

وأما فيما يتعلق بالرسالة الثالثة والمرسلة الى ابن منقذ وهو في المغرب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م تحثه على الاسراع في إنجاز مهمته وسرعة العودة بالنجدة المطلوبة الى جانب شرحها لأحوال القتال وعدد قتلى الصليبين وقدوم ملكي فرنسا وانجلترا وتشديد الحصار والضغط على المدينة وقطع طرق المدد ونجاحهم في الإستيلاء عليها ، ومع ذلك لم يتراجع صلاح الدين وجنده بل اقاموا محاصرين للعدو منتظرين خروجه اليهم لقتاله بالإضافة الى حث الرسول على سرعة العودة بالنجدة المطلوبة .

ويلاحظ في هذه الرسالة ايراد ابي شامه لها،وايضاً ابن واصل مع بعض الاختلافات البسيطة في النص، ولكن مع الاسف لا تظهر الرسالة الشهر ولا اليوم الذي بعثت فيه ومع هذا فاستطيع القول باحتمال إرسالها على اثر سقوط عكا وقبل تحرك ملك انجلترا ريتشارد قلب الاسد منها في محاولة لاسترجاع بقية مدن الساحل اي في الفترة ما بين سقوط عكا ١٧

جمادى الآخرة وقبل إلتقائه بصلاح الدين مرة اخرى في معركة أرسوف (١) في ١٤ رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وهذا هو الظاهر من النص.

زمن السفارة المصرية الى الموحدين والغرض منها :

سار مبعوث صلاح الدين لاداء مهمته لدى الموحدين سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، وعند وصوله الى إفريقيه،أرسل واليها السيد أبو زيد ووالي بجايه السيد أبو الحسن الى الخليفة أبي يوسف يعلمانه بقدوم الرسول المذكور وما قابلاه به من الحفاوة والتكريم،وكتمان الرسول لمهمته القادم لأجلها. فشكرلها الخليفة حسن صنيعهما،واصدر أمره إليهما بعد الاستعلام عن مهمة المبعوث الايوبي، كما أمر ولاته وعماله على المغرب بالاحتفاء بالضيف القادم وإنزاله في مدينة فاس (٢).

وتشير الرواية المغربية الى وجود المبعوث في فاس قائلةً : "... وهم الآن في مدينة فاس ...مستمعين للأوامر المطاعة. ونحن الآن في شهر رمضان ...من سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وكان إجتماع هذا الرسول وهو عبد الرحمن بن منقذ الازدي سادس محرم ٥٨٨هـ/١١٩٢م بالخليفة الامام ابي يوسف وخرج من الحضرة بعد ذلك بخمسة أيام ولم يعلم به" (٣).

أما تاريخ عودة الرسول من مهمته فهو سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م (٤)، وقد كان الغرض من هذه السفارة طلب المدد من الخليفة الموحدي ضد الصليبيين

---

١) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيساريه ويافا. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، م١، ١٥١.

٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٩.

٣) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٠٧.

٤) مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ١٠٧ – ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٤– ابن كثير : البدايه والنهايه، ج ١٢ ، ص ٣٣٩ – ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، م ١ ، ص ٣١٤.

في الناحية البحرية نظراً لضخامة الاسطول الصليبي، الى جانب المساعدات والامدادات البحرية القادمة للصليبيين عن طريق صقليه، وعجز اسطول صلاح الدين عن مواجهة هذه القوة البحرية الضخمة، ورغبة من صلاح الدين في تعاون المسلمين ضد أعداء الاسلام .

بلاد الشام والحملة الصليبية الثالثة :

لكي نعرف ظروف إرسال هذه السفارة الى المغرب ، علينا متابعة أحوال المشرق الاسلامي عقب استرداد صلاح الدين الايوبي لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م فأثر ذلك على الغرب الاوربي،وبالتالي في قدوم الحملة الصليبية الثالثة لبلاد الشام.

استطاع صلاح الدين الايوبي عقب انتصاراته على الصليبيين في حطين وإسترجاعه لبيت المقدس أن يوجه للصليبيين ضربة عظيمة كان لها أثرها الكبير على وجودهم في البلاد الاسلامية، حيث لم يبق في حوزتهم سوى صور وإنطاكية وطرابلس وأصبحت صور بالتالي مركز تجمعهم ومقاومتهم للقوى الاسلامية فيما بعد (١).

تزعم كونراد دي مونتفرات (٢) حركة مقاومة الصليبيين في صور وقام

---

١) علي أبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى، ص ٣٠٤

٢) كونراد دي مونتفرات وتسميه المصادر المركيش وقد علم باحوال الفرنج في عكا فهرب إلى صور فقويت به عزائم الصليبين بعد أن اوشكوا على الإستسلام لصلاح الدين فردهم عن ذلك وولوه أمر المدينة وحفظها من المسلمين. انظر ابن الأثير: الكامل، م٩، ص ١٨١- ووصفت رواية عربية المركيس هذا قائلةً فيه: " (...وكان المركيس من أكبر طواغيت الكفر وأغول شياطينه وأضرى (=)

بتحصينها،وأنضم إليه جاي لوزجنان ملك بيت المقدس (١)، فأدرك صلاح الدين مدي خطورة هذا التجمع فحاول الاستيلاء على المدينة ولكنه فشل في ذلك فعاد الى حصارها بعد إستيلائه على بيت المقدس وتنظيم أمور عكا، في حين نجح كونراد في تحصينها فصارت كالجزيرة في وسط الماء لا يمكن الوصول اليها ولا الدنو منها، وأخفق صلاح الدين في قتال المدينة، بينما تمكن الفرنج من إصابة المسلمين براً وبحراً.

استطاع المسلمون النيل من المدينة بعد مساعدة الاسطول البحري في ذلك، أذ قدمت عشرون قطعة من عكا فبمجيئها حمت المسلمين ومنعت عنهم اذى الأسطول الصليبي،وكاد الأيوبيون يظفرون بالمدينة لولا غفلة رجال الأسطول التي اعطت الفرصة للصليبين في النيل منه وتدميره فضاعت على صلاح الدين فرصة الإستيلاء على المدينة (٢). في حين استعاد الكثير من بلاد الشام سلماً،وخاصة أنه كان يود الاحتفاظ بقوى جنده للمعارك القادمة. وتعتبر المراجع الاجنبية كونراد دي مونتفرات مسئولاً أكثر من غيره عن مجيء الحملة الصليبية الثالثة لبلاد الشام بتحصنه في صور

(=) سراحينه وأخبث ذئابه وأنجس كلابه وهو الطاغية الداهية الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية...) ابو شامة: كتاب الروضتين، ج٢، ص ٩٠.

١) جاي لوزجنان ملك بيت المقدس وهو زوج سيبلا Sybilla ابنة عموري ملك بيت المقدس وكانت تنقصه الكفاءة وقوة الشخصية التي تؤهله لمقاومة المسلمين في بلاد الشام. انظر علي أبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى ص ٥٩٨

٢) ابن الأثير: الكامل، م٩، ص ١٨٦-١٨٧- مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ١، ص ٣٤٨-٣٤٩.

والاستغاثة بالغرب الاوربي مستخدماً كافة الوسائل لذلك (١)، ومنها تصوير المسيح عليه السلام" وجعلوا صورة رجل عربي والعربي يضربه وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم: هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله فعظم ذلك على الفرنج" (٢) وسار بذلك القسس والرهبان بملابسهم السوداء لإثارة حمية الناس، بالاضافة الى لوحة كبيرة بعثها الى الغرب الاوربي تمثل القبر المقدس وقد لوثته خيول المسلمين (٣)، فبادرت البابويه بإرسال المنشورات الى سائر أوربا للإشتراك في حملة صليبية جديدة على البلاد الاسلامية .

وقد تميزت هذه الحملة الصليبية في أنها لم تنبع من البابوية بل من السلطة الزمنية التي مثلها امبراطور المانيا،وملك انجلترا،وملك فرنسا، وحشدت لها إمكانيات هائلة وضخمة بالاضافة الى فرض ضريبة على من لم يشترك فيها، أدت الى إنضمام الاعداد الهائلة فيها تجنباً لتلك الضريبة مما جعلها أكبر الحملات الصليبية (٤). ومما يدل على ضخامة هذه الحملة اذ

---

١) ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٨٦

٢) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠١.

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٠.

٤) ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٨٦-٨٧- ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ٢٤ - أما عن الملوك المشتركين في هذه الحملة وهم إمبراطور ألمانيا فردريك بربروسا حكم ٥٤٧-٥٨٦هـ/١١٥٢-١١٩٠م - وملك فرنسا فيليب اوغسطس ٥٧٦-٦٢٠هـ/١١٨٠-١١٢٣م. وعن ذلك أنظر سعيد عاشور : تاريخ أوربا ، ص ٢١٥-٢٢٩- أما ملك إنجلترا ريتشارد قلب الاسد فحكم من سنة ٥٨٥-٥٩٦هـ/١١٨٩-١١٩٩م - وعن ذلك أنظر ستيفن رنسمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٦-٢٩، ١٤١-١٤٣. انظر صورة رقم (٤)

نلاحظ في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م إيراد الرواية العربية لخطاب وجهه صلاح الدين الى الخليفة العباسي قائلاً : " قد بلي الاسلام منهم بقوم قد استطابوا الموت واستجابوا الصوت وفارقوا المحبوبين الاوطان والاوطار وهجروا المألوفين الاهل والديار وركبوا اللجج ووهبوا المهج كل ذلك طاعة لقسيسهم وإمتثالاً لأمر مركيسهم وغيره لمتعبدهم وحمية لمعتقدهم وتهالكاً على مقبرتهم وتحرّقاً على قيامتهم لا يطلبون مع شدّة الاملاق مالاً ولا يجسدون مع كثرة المشاق ملالاً بل يتساقطون على نيران الظبي تساقط الفراش ويقتحمون الردى متذرّعين الصبر مثبتي الجاش حتى خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسرن الى الشام في البحر والبر متجهزات وكانت منهن ملكة استتبعت خمسمائة مقاتل فارس وراجل ورامح ونابل والتزمت بمؤنتهم فصودف مركبها بقرب الاسكندرية فاخذت برجالها وأراح الله من شر إحتفالها ومنهن ملكة وصلت مع ملك الالمان وذوات المقانع من الفرنج مقنعات مقارعات يحملن الى الطعان الطوارق والقنطاريات وقد وجد في الوقعات التي جرت عدة منهن بين القتلى وما عرفن حتى سلبن وان البابا الذي برومية قد حرم عليهم مطاعمهم ومشاربهم وقال من لايتوجه الى القدس مستخلصاً فهو عندي محرم لا منكح له ولا مطعم " (١).

وبذلك استطاع البابا كلمنت الثالث (٢) إثارة حماس المسيحين الغربيين لاسترداد بيت المقدس ونصرة إخوانهم الصليبيين في المشرق الاسلامي ، بالتالي جعل المسيحين يتناسون خلافاتهم لبعض الوقت في سبيل تحقيق هذا الغرض وعلى الرغم من الظروف الحرجة التي إجتاحت

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢، ص ١٦١-١٦٢، ص ١٤٩.

٢) تولي كلمنت الثالث كرسي البابوية سنة ٥٨٣-٥٨٧هـ/١١٨٧-١١٩١م.

الغرب الاوربي بسبب النزاع ما بين البابوية والامبراطورية (١) والعداء التقليدي بين ملوك أوربا وحكامها كما نجح في توجيه جهود زعماء أوربا لاستعادة بيت المقدس .

بدأ إمبراطور ألمانيا فردريك بربروسا بالمسير من راتسبون (٢) على رأس جيشه (٣) الى بلاد الشام سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وسهل له بيلا ملك المجر إجتياز بلاده وسار الى القسطنطينه (٤) وهناك واجه عداءاً شديداً من الامبراطور البيزنطي اسحاق انجيلوس المتحالف مع صلاح الدين ضد الالمان واعداً إياه بمنعهم من عبور بلاده ولكنه فشل في ذلك (٥).

وبعد عبورهم خليج القسطنطينه الى الاراضي الاسلاميه تعرضوا لغارات التركمان بسبب جهلهم لتلك المناطق (٦)، وساءت أحوالهم بسبب البرد والجوع حتى قاربوا قونيه (٧) سار اليهم قطب الدين ملك شاه بن قلج ارسلان فلم يصمد امامهم وتابعوا سيرهم الى قونيه، حيث تم لهم التزود بالمؤن اللازمة لرحلتهم (٨).

---

١) عن ذلك النزاع ومحاولة البابا جويجوري السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) معالجة الامر أنظر سعيد عاشور: تاريخ أوربا ، ص ٣٠٣ -٣١٨- وعن مرحلة ما بعد وفاته ثم جهود كلمنت الثالث التوفيق بين ملوك أوربا من أجل محاربة المسلمين في المشرق لإسترداد بيت المقدس أيضاً أنظر ٣١٨-٣٢٥.

٢) راتسبون Ratisbon تقع بالقرب من الحدود الالمانية قريبة من بلاد المجر . أنظر عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين والصليبيون ، ص ٣٤٠

٣) عدد جيشه مائتا الف وقيل مائتان وستون الفاً. أنظر ابو شامه: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٥٠.

٤) دار ملك الروم بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح وبناها أحد ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه ، ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال وجانباها الغربي والجنوبي في البر. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٤٧.

٥) ارنست باركر :الحروب الصليبيه ، ص ٨٨- ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب ، ج ٣، ص ٣٣.

٦) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥١.

٧) قونيه من أعظم مدن الاسلام بالروم وبها وباقصري سكنى ملوكها . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٤١٥.

٨) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٧ - مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٦٥.

وصل الامبراطور الالماني الى بلاد الأرمن حيث وجد كل ترحيب وعون فيها وكان صاحبها يأمل في تتويجه ملكاً على أرمينيه (١) بمساعدة البابا والامبراطور الالماني حماية لها من أطماع الامبراطور البيزنطي وأسوة بغيره من أمراء الصليبيين الموجودين في بلاد الشام (٢).

تابع الامبراطور الالماني طريقه حتى نزل بطرطوس (٣) وهناك قصد نهراً ليغتسل فيه فقال: " هل تعرفون موضعاً يمكن العبور منه؟ فقال له واحد : هنا مخاضة ضيقة لا يدخل فيها إلا واحد بعد واحد. فدخل في تلك المخاضة فقوى عليه الماء فصدمته شجرة في وجهه شجت جبينه وتورط في الماء فتعبوا في إخراجه. فلما خرج بقي مريضاً ، ثم هلك " (٤). وقيل " كان في طريقهم نهر فنزلوا عنده ودخل ملكهم اليه ليغتسل فغرق في مكان منه لا يبلغ الماء وسط الرجل " (٥). وقيل " ... تاقت نفسه الى الاستحمام في الماء البارد ...وتحرك عليه مرض عظيم من الماء البارد فمكث أياماً قلائل ومات ..." (٦) وكان ذلك سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م.

وتولى بعده فردريك السوابي قيادة الجيش،وأدت وفاة الامبراطور الى الفرقة والانقسام في الجيش فعاد جزء منه الى بلادهم، في حين مال جزء

---

١) أرمينيه : اسم لصقيع عظيم واسع في جهة الشمال . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١، ص ١٥٩-١٦١.

٢) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ٢٤٣.

٣) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٨ - انظر خريطة رقم (١١)

٤) مجير الدين : الانس الجليل ، ج١ ، ص ٣٦٥.

٥) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ٢٠٧.

٦) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢، ص ١٥٥.

آخر الى شقيق فردريك (١) وبهذا لم يقدر لإمبراطور المانيا الاسهام في حرب المسلمين في بلاد الشام وكان لموته وقع كبير حيث قيل: " لو لا لطف الله بالمسلمين وأهلك ملك الالمان ...كان يقال أن الشام ومصر كانتا للمسلمين". وأيضاً " لما وصلت الاخبار بوصول ملك الالمان أيقنّا أنّا ليس لنا بالشام مقام ..." (٢) وهذا دليل على مدى أهمية جيش الامبراطور الالماني في الحملة الصليبية الثالثة ، وبهذا فقدت شخصية صليبية عظيمة كان من الممكن ان تلعب دوراً خطيراً ضد صلاح الدين في بلاد الشام فيما لو وصلتها سالمة (٣).

وصل فردريك السوابي بجنده الى إنطاكية في حالة يرثى لها من التعب والاجهاد، وقبل مواصلة الطريق الى بلاد الشام أودعوا اموالهم في قلعة إنطاكية (٤) وسلكوا طريق حلب (٥). في حين أُتجهت فرقة من الجيش الالماني صوب بغراس (٦) وكانت في حوزة المسلمين فاستولى والي القلعة على اموالهم وذخائرهم ووقع كثير من افراد الفرقة ما بين قتيل واسير، بالاضافة الى ترصد اهل حلب أيضاً لافراد الجيش الالماني الذين وقعوا في

---

١) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٧ـ انظر صورة رقم (٤)

٢) ابن الاثير : الكامل ، م٩ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٨.

٣) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين ، ص ٢٤٤.

٤) ابو شامه: كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦- ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ٤٢-٤٣.

٥) حلب: مدينة عظيمة واسعة الخيرات، بينها وبين إنطاكية ثلاثة ايام. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٢، ص ٢٨٢ -٢٩٠.

٦) بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين إنطاكية إربعة فراسخ على يمين القاصد الى إنطاكية من حلب ، في البلاد المطلة على نواحي طرطوس. انظر ياقوت الحموي معجم البلدان، م ١، ص ٤٦٧.

ايديهم اسرى حيث باعوهم في الاسواق (١).

واصل فردريك السوابي السير الى عكا في الخامس والعشرين من شهر رجب فسلك طريق جبله (٢) واللاذقيه (٣) الى طرابلس ، وتمكن أهل اللاذقيه من قتل وأسر عدد كبير منهم وعندما وصلوا طرابلس تصف الرواية حالهم قائلة : " ...فما وصلوا الى طرابلس إلا في خف ولم يصف ممن جاء مع الملك غير الف ..." (٤).

ولما رأى ملك الالمان ما حل بجيشه أصابه الذعر والخوف من المسلمين فركب البحر قاصداً عكا في أواخر شعبان وبعث الى الصليبيين حول عكا معلماً أياهم بقدومه فوجموا لذلك أذأن المركيس صاحب الدعوة لهذه الحملة أيقن بخروج الأمر من يديه بوصول ملك الالمان ولن يبقى له حكم ابداً،وقد ثارت الريح بمراكب الالمان فاهلكت منها ثلاثة ووصل الباقي لصور ثم الى عكا في عدد قليل يوم السادس من رمضان (٥)، وقد أدى وصوله على تلك الحالة والصفة الى خيبة امل الصليبين فيه فقالوا: " ليته لم يصل إلينا"(٦). وسارع صلاح الدين منذ بلوغه أنباء تحركات الجيش الالماني الى إستنفار القوى الاسلامية في المشرق للمساهمة في الجهاد ضد الصليبيين،

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٦.

٢) جبله : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقيه. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٠٥.

٣) اللاذقيه: مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبله بينهما سته فراسخ وهي الآن من أعمال حلب. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ٥.

٤) ابوشامه: كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ١٥٦.

٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٣٠.

٦) مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٦٧.

فسار رسوله لاستدعاء صاحب سنجار (١) وصاحب الموصل (٢) وصاحب أربل (٣) بالاضافة الى حرص صلاح الدين في اطلاع الخليفة العباسي على كافة تطورات الموقف (٤)، وكان قد سير عساكره الى البلاد الواقعة في طريق الالمان حماية لها (٥)، الى جانب قيامه بهدم اسوار البعض الآخر خشية إستخدام العدو لها في الاضرار بالمسلمين، مثل طبريه (٦) ويافا (٧) وارسوف وقيسارية (٨) وصيدا (٩) وجبيل (١٠). ونظراً لاهمية عكا في تأمين الاتصال بين مصر وبلاد الشام وإسهامها في قطع الامدادات البحرية القادمة للصليبيين، وخوف صلاح الدين من تعرضها للهجوم من قبل العدو فقام بالاهتمام بتحصينها وتوفير المؤن بها ورتب لها حامية قوية استعداداً لاي طاري (١١).

كان الصليبيون في بلاد الشام على أهبة الاستعداد للدفاع عن اماراتهم ضد المسلمين خصوصاً عقب علمهم بمصير الحملة الالمانية، وتأخر وصول ملكي فرنسا وانجلترا لتوقفهما في صقليه لبعض الوقت ، ثم اتجاه ملك انجلترا للاستيلاء على جزيرة قبرص (١٢)، كما ظهر ملك بيت المقدس جاي لوزجنان الذي اطلقه صلاح الدين من الاسر بعد معركة حطين مقابل عدم مناصرته للصليبيين ولكنه لم يلبث ان نكث بوعده واتجه الى صور وتعاون مع ملكها كونراد على محاربة المسلمين (١٣)، وعزم على إسترداد مدن بلاد الشام التي إستولى عليها صلاح الدين منهم فسار جاي لوزجنان بحملة صليبية الى عكا سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م متخذاً طريق الساحل تخوفاً من غارات المسلمين التي لم ينج منها أثناء سيره (١٤).

---

١) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عال. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٣، ص ٢٦٢. (=)

عسكر الصليبيون على تل تيرون المعروف باسم الفخار على بعد ميل

(=)

٢) الموصل إحدى قواعد بلاد الاسلام ...وهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها الى أذربيجان، وسميت الموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ٢٢٣.

٣) إربل : قلعة حصينه ، ومدينة كبيرة في فضاء من الارض واسع بسيط ...وهي من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٣٧-١٤٠.

٤) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ١٥٦.

٥) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٦ ، ص ٥٢٩.

٦) طبرية: هي بلدة صغيرة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي من أعمال الاردن. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، م ٤ ، ص ١٧.

٧) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ٤٢٦.

٨) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ،ص ٤٢١.

٩) صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٣، ص ٤٣٧.

١٠) جبيل: بلد في سواحل دمشق. أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ١٠٩.

١١) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلوالمصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، ج ٢، ص ٨١٣- ستيفن رنسمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٥.

١٢) قبرص : جزيرة في بحر الروم (البحر المتوسط) وبايديهم دورها . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣٠٥ - وعن استيلاء ملك انجلترا عليها أنظر ستيفن رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ٨٩ -٩٥.

١٣) عبد الله سعيد محمد الغامدي : المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

١٤) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠١.

الى الشرق من المدينة بالقرب من نهر بيلوس (١) في حين عسكر صلاح الدين على تل كيسان وأمتدت ميمنته الى تل الغياظيه (العياضيه) وميسرته الى النهر الجاري،ووصلته عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وغيرها من بلاد الجزيرة،وابن اخيه تقي الدين (٢) ومظفر الدين بن زين الدين صاحب حران (٣) والرها (٤) الى جانب وصول الامدادات البحرية للفرنج (٥).

حاصر الصليبيون عكا فقام صلاح الدين بمحاولة إيصال المؤن والعتاد لأهل المدينة (٦) ورتب جنده في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ميمنه وميسرة وقلب واشتبك الفريقان طوال ذلك اليوم ، وفي اليوم التالي سير صلاح الدين فرقة من جنوده الى الناحية الشمالية من عكا تمهيداً لفتح الطريق امام المؤن والمساعدات للمدينة المحاصرة ، وبالفعل تمكن جنوده من ذلك ودخل السلطان بنفسه الى المدينة وأشرف على أمورها (٧).

---

١) ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب، ج ٣ ، ص ٥٤.

٢) تقي الدين هو أبو سعيد عمر بن نور الدين شاهنشاه بن أيوب ، ابن شقيق صلاح الدين وكان شجاعاً مقداماً منصوراً في الحروب ومواقعه مشهورة مع الفرنج ، وشيد بالرها مدرسة واكثر الاحسان الى العلماء والفقراء . أنظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، ترجمة رقم ٤٧٣.

٣) حران : هي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقه يومان ،وهي على طريق الموصل والشام والروم . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٣٥.

٤) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٣، ص ١٠٦.

٥) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٢.

٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٩٣.

٧) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٢ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٩٣.

وقد اعقب ذلك أخذ الجند لقسط من الراحة انتظاراً لوصول بقية الجند القادم ، وكان ذلك خطأً كبيراً أدى الى إستغلال الصليبيين لتلك الفرصة في حفر خندق حول عكا تحصنوا فيه، ولم تفلح جهود صلاح الدين فيما بعد لإخراجهم منه، فاضطر للإنتقال الى تل العياضيه لتوسيع دائرة القتال عليهم .

وظل الامر كذلك الى أن كان اليوم الحادي والعشرين من شعبان اصطفت حشود الصليبين ، فتهيأ المسلمون للقائهم ويبدو أن المشجع لهم على ذلك وصول كونراد دي مونتفرات من صور (١)، بينما يشير ابن الاثير ان الداعي لذلك رغبة الفرنج في قتال المسلمين قبل اجتماع جيوش صلاح الدين ، حيث أنه بعث قسماً منها مقابل إنطاكية خوفاً من تحركات صاحبها ضد حلب، وقسماً في حمص (٢) ومقابل طرابلس لحفظها، وبعضهم مقابل صور، والبعض الآخر في دمياط (٣) والاسكندرية (٤). ونظراً لذلك قرر الصليبيون شن الهجوم عليهم قبل اجتماع الجند وذلك راجع لما لاقوه من شدة قتال المسلمين (٥) .

---

١) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ٢٥٣.

٢) حمص : بلد قديم مشهور وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٣٠٢.

٣) دمياط: مدينة قديمة بين تنس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٢، ص ٤٧٢.

٤) الاسكندرية: مدينة في مصر وهي الثغر المحروس ... جمعت بين الفخامة والإحكام مبانيها ... الجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب ... ولها المرسى العظيم الشان. أنظر ابن بطوطه: مهذب رحلة ابن بطوطة، ص ١٢.

٥) ابن الاثير: الكامل، م ٩، ص ٢٠٢-٢٠٣.

ونشب القتال بين الفريقين ومالت ميسرة الصليبين على ميمنة صلاح الدين،فعمل تقي الدين عمر بن اخي صلاح الدين على إستد راجهم للنيل منهم، وخدعت تلك الحركة صلاح الدين وظن به ضعفاً فأمده بطائفة من الجند، فاندفع جند الفرنج ناحية القلب فتراجع المسلمون امامهم واستشهد عدد منهم،واستطاع الفرنجة صعود التل حيث خيمة صلاح الدين فقتلوا ونهبوا وظلت الخيمة سليمة في مكانها مما ساهم في ثبات جنوده، فاسرعوا بالاحاطة بالفرنج وسقط معظمهم ما بين قتيل وأسير، وقاموا بمطاردة الناجين منهم، ثم عادوا عنهم على أثر سماعهم بنهب أموالهم وعتادهم، ولكن تمكن صلاح الدين من إعادة كافة المسروقات، وكانت تلك فرصة ثمينة كسبها الصليبيون في تنظيم أنفسهم (١).

ونتيجة لتلك الاشتباكات كثر الموتى مما نجم عنه فساد في الجثث وعظم الوخم،فأشار الناس على السلطان بتغيير المكان لانحراف مزاجه فانتقل الى تل الخروبه (٢)، وقد أدى هذا الامر الى إحاطة الصليبين بمدينة عكا إحاطة تامة من البحر (٣). وزيادة في الاحتياط حفروا خندقاً من البر الى البحر وأقاموا سوراً من التراب الناتج من الحفر مستغلين فرصة هدوء صلاح الدين ومرضه في تلك الفترة (٤).

كان صلاح الدين في انتظار وصول النجدة القادمة اليه والتي وصلته

---

١) ابن الاثير: الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٣-٢٠٤. - ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٤-١٤٥- ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ٥٧.

٢) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٤.

٣) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ٢٥٤.

٤) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٤.

في منتصف شوال بقيادة اخيه العادل (١) وكذلك الاسطول المصري بقيادة الامير حسام الدين لؤلؤ الموصوف بالشجاعة والاقدام والخبرة في فنون القتال البحري،واستطاع الاسطول المصري إختراق الحصار الى ميناء عكا وإمداد المدينة بالعتاد والمؤن (٢).

ودخلت سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م والفرنج على حصارهم لعكا، في حين هدأت الجيوش الاسلامية انتظاراً لإنقضاء الشتاء ومع ذلك لم تنقطع المناوشات بين الفريقين، اذ انتهز الفرنج خلال شهر صفر فرصة ابتعاد صلاح الدين عن معسكره وقاموا بمهاجمة جنده واشتبك الفريقان في معركة حامية سقط فيها العديد من القتلى، والسلطان مستمر في تقوية عكا وتأمين كافة إحتياجاتها (٣).

وصلت العساكر الاسلامية للمشاركة في الجهاد مع صلاح الدين (٤)، فعاد بعسكره في يوم الثامن عشر من ربيع الاول الى تل كيسان فتمكن صلاح الدين من إلحاق الخسائر الفادحة بالصليبيين وإشغالهم عن عكا (٥).

---

١) هو أبوبكر محمد بن ابي الشكر ايوب بن شادي بن مروان الملقب بالملك العادل سيف الدين شقيق السلطان صلاح الدين. كان ينوب عن أخيه في البلاد وقت غيابه عنها. ولما استولى صلاح الدين على حلب سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م جعل ابنه الملك الظاهر غازي عليها، ثم ولى شقيقه العادل عليها في نفس العام ولم يلبث ان تركها للملك الظاهر، وولاه السلطان على قلعة الكرك، واستقل بملك مصر سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م. ولمزيد من التفاصيل أنظر ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٤، ص ١٦٦-١٧٠، ترجمة ٦٦٥.

٢) ابن الاثير : الكامل ، ك ٩ ، ص ٢٠٤ – ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ٦٨.

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥١ – ١٥٢.

٤) ابوشامه : المصدر السابق ، ص ١٥٢-١٥٣.

٥) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٥.

وقد انتهز الصليبيون فرصة مرض صلاح الدين في إقامة ثلاثة أبراج عالية من الخشب والحديد وغطيت بالجلود المشبعة بالخل المقاوم للنار مركبة على عجل سعة كل منها خمسمائة مقاتل في حين يتسع السطح لنصب منجنيق عليه،فالقى ذلك الروع والخوف في قلوب المسلمين على البلد ولم يبقى سوى جرها الى قرب الاسوار،فاحتال صلاح الدين وبذل الاموال الطائلة لمن يقوم بتدمير هذه الابراج فتطوع لذلك نحاس دمشقي، ولكن لكي يتم تلك المهمة طلب الدخول الى عكا ليحصل على ادوية معينه وبعد تركيبها يصبح التخلص من تلك الابراج أمراً ميسوراً .

وتم للشاب النحاس ويدعى بعلي بن عريف النحاسين ما طلب ودخل عكا،وطبخ تلك الادوية مع كميات من النفط في قدور حتى أصبح السائل كأنه جمرة نار، ثم ضرب البرج الاول بقدر منها فاحترق وعم الفرح المسلمين لنجاح تلك الحيلة وتم بذلك التخلص من تلك الابراج (١) .

واستمر القتال بين المسلمين والصليبيين دون إنقطاع وقرر الفرنج القيام بهجوم شديد على المعسكر الاسلامي،مستهدفين العساكر القادمة من مصر بقيادة الملك العادل أبوبكر بن أيوب في جمادى الآخرة . واصطف المصريون للقائهم وأثناء القتال انحاز المصريون عنهم تاركين لهم الخيام والمتاع ، فلما انشغل الصليبيون بالنهب والسلب عاد المسلمون وشنُّوا عليهم هجوماً شديداً، في حين اتجهت فرقة أخرى من المسلمين لتحول دون وصول المدد للصليبيين فأصبحوا بذلك محاصرين بين قوات المسلمين

---

١) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ - ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٣ - ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ٣٣٥.

فقضوا عليهم،ولم ينج منهم سوى القليل، وعرفت تلك المعركة بالوقعة العادلية (١).

وكان سبب هجوم الفرنج هذا تواتر الانباء بقرب وصول الالمان فقالوا: " اذا جاء صار الامر له ولا يبقى لنا كلام معه فنحن نهجم على المسلمين ونظفر بهم قبل قدومه" (٢)

وبعد وصول المدد للصليبين بقيادة الكندهري ابن شقيق ملك فرنسا شددوا هجومهم على عكا حيث قام بنصب المنجنيقات حول المدينة في رجب سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م فاشتدت مقاومة المسلمين لهم حيث خرجوا لحرقها بل واستطاعوا تدميرها (٣) .

وفي خلال شهر شعبان حاول الفرنج حصار برج الذبان - وهو برج في البحر عند ميناء عكا مبني على الصخر لحراسة الميناء ويحيط به البحر من جوانبه - وقد اراد الصليبيون الإستيلاء عليه لإحكام سيطرتهم على المدينة،ومنع وصول المؤن إليها فجعلوا على صواري السفن برجاً مملوءة بالحطب والنفط فاذا قاربت السفن البرج أحرقوا البرج الموجود على صواري السفن وألقوه على برج الذبان لإحراقه وقتل من به من الجنود .

كما عمدوا الى شحن سفينة أخرى بالوقود والحطب لتقوم بمهمة حرق السفن الاسلامية ، بالاضافة الى سفينة ملؤوها بالجنود وعليها قبو لحماية المقاتلة من سهام المسلمين ، وقد فشلت خطة الصليبين هذه فما ان اشعلوا النيران في برج الصواري والسفينة الاخرى حتى عكست الرياح اتجاه النار

---

١) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٨ - ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٥٨.

٢) مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٦٦.

٣) ابن الإثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٨ - مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

فاصاب الذعر والهلع قلوب الفرنجة واحرقت سفنهم وانقلبت سفينة الجنود المقاتله وهلك من فيها (١) .

صمم الصليبيون الاستيلاء على برج الذبان وكرروا محاولتهم تلك لأهميته لديهم فصنعوا آلة عظيمة على هيئة دبابة لها رأس برقبة من الحديد يقال لها الكبش وسقفوها مع الكبش بأعمده الحديد وألبسوا رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس لمقاومة النار (٢)، بالاضافة الى آلة أخرى عبارة عن قبو به عدد من الجنود ورأسه محدود على شكل السكة التي تستخدم في الحرث لهدم السور وتسمى سنور، الى جانب إستعمالهم للستائر والسلالم (٣)، كما إتخذ الصليبيون سفينة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات فاذا وضعوه على الاسوار والابراج قلبوه فوصل الى ما أرادوا (٤).

اشتدت مقاومة أهل عكا للفرنج وقاموا بإلقاء النار على الكبش وحرقوه فهرب المقاتله منه فتمكنوا من ربطه بواسطة الكلاليب وسحبه الى المدينة وسرت النار الى السنور فقضت عليه، وكان الكبش مركباً من آلات هائلة فالقوا عليه الماء حتى برد (٥). وقد عمد المسلمون الى الاستفادة من تلك الالات في جهادهم ضد الصليبين (٦).

---

١) ابو شامه: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٦٢-١٦٣- ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٢) مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٦٨.

٣) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين ، ص ٢٦٠.

٤) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ٣٣٨.

٥) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٣.

٦) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين ، ص ٢٦١.

استمر القتال سجالاً بين الطرفين وفشلت محاولات الصليبيين خلال شهر رمضان في السيطرة على برج الذبان (١).

وفي شهر ذي الحجة حاول الصليبيون تسلق اسوار عكا بواسطة سلالم نصبوها لذلك، فأدى تزاحمهم الى سقوطهم، وفتك المسلمون بهم فقتلوا عدداً كبيراً منهم وردوهم على أعقابهم. ثم تبع ذلك محاولة فاشلة لإقتحام المدينة من خلال فتحة في سورها، كما شهد ذلك الشهر أيضاً حادثاً جللاً لدى الصليبيين ألا وهو وفاة ملك الالمان فردريك السوابي (٢).

وقام الصليبيون في شهر جمادى الاول سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م بصنع دبابة كبيرة لها أربع طبقات الإولى من الخشب والثانية من الرصاص والثالثة من الحديد والرابعة من النحاس وتميزت بعلوها عن سور المدينة وشحنت بالمقاتله من الفرنج فدب الرعب في قلوب المسلمين واوشكوا على الاستسلام للصليبيين ولكن ما ان إقتربت من سور المدينة واصبحت على بعد خمسة أذرع حتى قام المسلمون بضربها بالنفط ليلاً ونهاراً وأحرقوها(٣).

---

١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤٣

٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٤٧- مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٧٠- ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ٦٩.

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٥ - ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٥١-٣٥٢.

وخلال تلك الظروف العصيبة التي مرت بها مدينة عكا قدم بحراً الى بلاد الشام ملكا انجلترا وفرنسا (١) عقب إتفاقهما على ذلك وسلك كل منهما طريقاً مخالفاً للآخر حيث أبحر ملك فرنسا من جنوة (٢) وملك انجلترا من ميناء مرسيليا (٣) ووصلا الى جزيرة صقليه، وظلا بها فترة طويلة (٥٨٦-٥٨٧هـ/١١٩٠-١١٩١م) وبعد إنتهاء الشتاء وبينما واصل ملك فرنسا سيره الى عكا ، اتجه ملك انجلترا للإستيلاء على قبرص في ٢٦ ربيع الآخر وجعلها قاعدة لإمداد جيوشه في بلاد الشام بالاضافة الى إنتقامه من حاكمها لما ألحق من إهانة بخطيبته (٤).

تعود أسباب تأخر ريتشارد ملك انجلترا وفيليب اغسطس في الوصول الى عكا الى رغبة كليهما في ان يسير احدهما قبل الآخر ليكون الفداء فيما لو أصاب الحملة حادث ما ويكون الآخر بمثابة المنقذ لها رغبة في إحراز مكانة كبيرة لدى الغرب الاوربي (٥) .

وصل ملك فرنسا فيليب اغسطس الى عكا في ١٢ ربيع اول سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (٦) في ستة سفن مشحونة بالمقاتلين مما أسهم في رفع الروح المعنوية للصليبيين، وفي الرابع من جمادى الاولى نصب الصليبيون

---

١) عن شخصية كل من ريتشارد ملك انجلترا وفيليب اغسطس ملك فرنسا: انظر ستيفن رنسمان: تاريخ الحروب، ج ٣، ص ٧٦-٧٨- عن احداث سفرهما حتى وصولهما الى البلاد الاسلامية أيضاً انظر ص ٧٨-٨٩.

٢) جنوه : إحدى مدن إيطاليا في الوقت الحالي .

٣) مرسيليا : أحد موانى فرنسا .

٤) ارنست باركر :الحروب الصليبية، ص ٨٩- انظر خريطه رقم (١١)

٥) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ٢٦٢.

٦) مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣٧١.

سبع منجنيقات على عكا، فشدد صلاح الدين في هجومه على القوات الصليبية لإشغالها عن المدينة (١).

وصل ملك انجلترا ريتشارد الى صور ولم يتمكن من دخولها وذلك على حسب اوامر فيليب اغسطس وكونراد (٢)، فاتجه الى عكا التي وصلها في الثالث عشر من جمادى الاولى في خمس وعشرين قطعة فأسهم ذلك في إرتفاع الروح المعنوية للصليبيين وإزدياد ضغطهم على المدينة (٣) .

وكانت كمية الذخائر القادمة مع النجدة للعدو كبيرة جداً،ومنها بعض ادوات الحصار التي جلبها معه ملك فرنسا مثل المقلاع الضخم والقاذف للحجارة المسمى الجارالسيء وسلماً لتسلق الاسوار عرف باسم الهر. ثم بوصول ريتشارد ملك انجلترا اكتملت العناصر اللازمة للإستيلاء على المدينة،اذ تميز بالحزم والصلابة اللازمة لإقتحام المدينة. وقد حاول الالتقاء بصلاح الدين عدوه اللدود لتسوية الامور سلماً ولكن رفض صلاح الدين ذلك، وعلى الرغم من إصابة ملكي انجلترا وفرنسا بالمرض، استمر الاثنان في قيادة العمليات الحربية ضد عكا (٤).

وتمكنت المنجنيقات الصليبية اخيراً من إصابة سور المدينة باضرار كثيرة،رغم قيام صلاح الدين وجنوده بتشديد وطأة القتال على القوات البرية الصليبية، وقد أصاب الوهن والضعف أهل المدينة نتيجة إشتداد الهجمات الصليبية في حين لم تتأثر قوى العدو من ضغط صلاح الدين

---

١) ابن الاثير : الكامل، ج ٩ ، ص ٢١٣.

٢) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ٢٦٣.

٣) ابن الاثير : الكامل، ج ٩ ، ص ٢١٣.

٤) ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب، ج ٣ ، ص ٩٦-٩٧.

وجنوده بل ازداد ضغطهم على عكا واهلها وساءت احوال المسلمين بهاءولم يعد في مقدورهم الصمود اكثر من ذلك ، ورأت حامية عكا ان لامفر من التسليم حفاظاً على ارواح المسلمين، فكان الأمر شديداً على صلاح الدين اذ عز عليه وقوعها في يد الصليبيين، وهو الذي جاهد لطردهم من البلاد الاسلامية، وقام الامير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المعروف بالمشطوب (١) بطلب الامان من ملك فرنسا مقابل تسليم المدينة. ولكن مع الاسف أغلظ فيليب اغسطس الرد له قائلاً : " ان اولئك الملوك كانوا عبيدي وانتم مماليكي افعل بكم ما يقتضيه رأي ".

فقام المشطوب من عنده مغتاظاً واغلظ له الجواب وقال: " نحن لا نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ونقتلكم قبلنا، ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين " (٢).

ولم يكتف الصليبيون بالتفاوض مع أهل عكا بل بعثوا أيضاً الى صلاح الدين في أمر تسليم المدينة لهمءفاجأبهم مقابل سلامة أهل عكا، ويطلق هو من اسراهم بعدد أهل المدينة ويرجع اليهم صليب الصلبوت، ومع الاسف فشلت المفاوضات، وحاول صلاح الدين إخلاء المدينة من أهلها ليلاً ولكن علم الصليبيون بذلك ، فشددوا الحراسة واحكموا سيطرتهم على المدينة فشن صلاح الدين الهجوم عليهم ووصل الى خنادقهم لاخراجهم منها حتى كاد جنوده يضعون السيف فيمن بهاءوفطن الصليبيون لتلك الحيلة فعادوا الى أماكنهم .

---

١) هو مقدم الجيوش علي بن أحمد بن صاحب قلاع الهكارية أبي الهيجاء الهكاري نائب عكا وقع في أسر الصليبيين ثم افتدى بمبلغ من المال وكان شجاعاً صابراً في الحرب مطاعاً في قبيلته وشهد فتح مصر وتوفي في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م. انظر ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص٢٩٤

٢) مجير الدين: الانس الجليل، ج١، ص ٣٧٥.

ورأى الامير المشطوب ان لا جدوى في القتال ولابد من تسليم المدينة فخرج مرة أخرى للصليبيين مفاوضاً في تسليم المدينة مقابل سلامة أهلها، وبذل لهم مائتي الف دينار وإطلاق خمسمائة من أسراهم وان يقوم بتسليمهم صليب الصلبوت واربعة عشر الف دينار للمركيس صاحب صور، فاجابوه الى ذلك وتم إستسلام المدينة (١).

وقيل ان صلاح الدين أنكر على أهل عكا الاستسلام وعظم عليه الأمر، وفيما هو في مشاورة مع خواص دولته وعزمه على الكتابة لأهل البلد في إنكار ذلك فلم يشعر إلا وقد إرتفعت أعلام الصليبيين على المدينة (٢) وكان سقوط عكا في السابع عشر من جمادى الاخر سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وغدر الصليبيون بأهل المدينة واسروهم مقابل الفدية ولم يرغب صلاح الدين تسليم المال والاسرى إلا بعض ضمان سلامة اهلها وأن يتكفل الداوية بتنفيذ ذلك، لأنهم أهل دين يلتزمون الوفاء (٣). ولكنهم رفضوا لعلمهم بغدر الصليبين ولم يقم صلاح الدين بتسليم المال والاسرى للصليبيين، فما كان من ملك انجلترا الا أن جمع الاسرى وعددهم زهاء ثلاثة آلاف مسلم في ظاهر المدينة في السابع والعشرين من شهر رجب وسار بهم الى الآبار الواقعة تحت تل العياضية وقام جنوده بقتلهم جملة واحدة وافنوهم عن أخرهم ،مما أثار حمية المسلمين فاشتبكوا معهم في قتال شديد (٤). وهذا في الواقع يظهر ما جبل عليه الصليبيون عامة من غدر اسهم في إشتداد حركة الجهاد الاسلامي ضدهم لطردهم من البلاد الاسلامية.

---

١) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٤.
٢) ابو شامة : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ١٨٨ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٩٦.
٣) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٥.
٤) ابو شامه: كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٨٩- مجير الدين: الانس الجليل، ج١، ص ٣٧٧-٣٧٨- ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ١٠٦.

معركة ارسوف وفشل الصليبيين في إسترداد بيت المقدس :-

بعد نجاح الصليبيين في الإستيلاء على عكا عملوا على إستعادة ما فقد منهم من مدن وموانئ بلاد الشام فقاد ملك انجلترا ريتشارد قلب الاسد جنوده لذلك فسار الى حيفا (١) بينما قام جنود ورجال صلاح الدين بمضايقة الصليبيين السائرين على طريق الساحل واوقعوا بهم خسائر كبيرة. واستولى الصليبيون على حيفا في شهر شعبان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ثم واصلوا سيرهم الى قيساريه (٢)، وواصل صلاح الدين سيره ونزل بقرية تعرف بدير الراهب، وحاول ريتشارد ملك انجلترا التفاوض مع المسلمين فاجتمع بالعادل شقيق صلاح الدين بهدف إعادة مدن الساحل للصليبيين فرفض العادل ذلك (٣).

التقى صلاح الدين مع ريتشارد ملك انجلترا في موقعة ارسوف في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وقاتل المسلمون الصليبيين قتالاً شديداً، ولكن لم يلبث ملك انجلترا ان أعاد تنظيم جنده مرة أخرى وشن هجوماً قوياً على المسلمين، فاختل نظامهم من وطأة الهجوم ولكن إستطاع صلاح الدين بثباته دحر الصليبين الى منازلهم (٤). أيقن ملك إنجلترا الذي وقع عليه وحده عبء استرداد بيت المقدس - خصوصاً بعد رحيل ملك فرنسا الى بلاده متذرعاً بمرضه (٥) - انه لن

---

١) حيفا: مدينة على ساحل بحر الشام قرب يافا. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان،م٢،ص ٣٣٢.

٢) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٥- ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص ١٠٨ - ١٠٩.

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ١٩١ - ستيفن رنسمان : المرجع السابق ، ج٣ ، ص ١٠٩.

٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢ ، ص ٣٦٧-٣٦٨.

٥) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢،ص ٨٦٩- ستيفن رنسمان:تاريخ الحروب،ج٣،ص ١٠٣-١٠٥.

يستطيع المضي قدماً الى هدفه قبل توطيد اقدامه على الساحل واتخاذه مركزاً يكون بمثابة قاعدة إنطلاق نحو مشروعه فعمل على تحصين يافا فاستغل صلاح الدين الفرصة في تقوية نفسه للحفاظ على بيت المقدس (١) الى جانب تخريبه عسقلان(٢) لحرمان الصليبيين من الاستفادة منها(٣) بالاضافة الى تخريب الرملة (٤) واللد (٥) وتحصينه لبيت المقدس ثم أقام في النطرون منتظراً قدوم الفرنج (٦). ولم يلبث ان امر بهدم حصنها ونزل قريباً من بيت المقدس (٧).

أدرك ريتشارد ملك انجلترا صعوبة الاستيلاء على بيت المقدس لحصانته ويقظة المسلمين في الدفاع عنه (٨)، ويضاف الى ذلك الخلافات التي دبت في صفوف الصليبيين أنفسهم حول هذه المدينة عقب استرجاعها من أيدي المسلمين، اذ أن كونراد دي مونتفرات وجاي لوزجنان يرى كل منهما أنه صاحب الحق الشرعي في عرشها وخاصة كونراد لزواجه من ايزابيلا وريثة عرش المملكة (٩). مما أدى الى قيام كونراد بمحاولة التفاوض مع صلاح الدين على حدة (١٠). ولم تطل الحياة بكونراد اذ قتل بعد ذلك على

---

١) ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب ، ج ٣ ،ص ١١٣.
٢) عسقلان: مدينة من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤، ص ١٢٢.
٣) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٦ – أبو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٩١– ١٩٢.
٤) الرَّمْلَةُ : مدينة كبيرة بفلسطين . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٦٩.
٥) اللُّدُّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ١٥.
٦) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٦.
٧) مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١ ، ٣٨٠.
٨) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٧.
٩) عن أمر هذا الزواج وعرش بيت المقدس أنظر ستيفن رنسمان: تاريخ الحروب، ج ٣، ص ٦٤-٦٧.
١٠) ابو شامه: كتاب الروضتين، ج ٢،ص١٩٣ –ستيفن رنسمان: المرجع السابق، ج ٣ ، ص١١٥-١١٧.

يد إثنين من الباطنيه بتحريض من ملك انجلترا (١).

أدرك ملك انجلترا أن عليه التفاوض مع المسلمين اذ لم يعد لبقائه في بلاد الشام أية فائدة، كما أن تطورات الاحداث السياسية في بلاده تتطلب سرعة عودته اليها (٢)، مع ما عاناه من مرضه واصرار المسلمين على الوقوف في وجه الصليبيين ومشاريعهم لتصفيتهم من المنطقة نهائياً، فكل ماسبق دفعه الى الإصرار والإلحاح في طلب الصلح من صلاح الدين ويروي أنه قال للحاجب أبي بكر الذي بعثه السلطان اليه بالفاكهة والثلج: " قل لإخي - يعني الملك العادل - يتبصر كيف نتوصل الى السلطان في معنى الصلح ..." (٣). كما قال أيضاً لنفس الرسول: "...تسلم على السلطان وتقول له بالله عليك اجب سؤالي في الصلح فهذا أمر لابد له من أخر وقد هلكت بلادي وراء البحر ومادوام هذا مصلحة لا لنا ولا لكم..."(٤)

وقد كان الوسيط في المفاوضات بين صلاح الدين وريتشارد هو العادل شقيق صلاح الدين وطلب ملك انجلترا في رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م : "...وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد. والقدس متعبدنا ما ننزل عنه ولو لم يبق منا واحد. أما البلاد فيعاد الينا ما هو قاطع

---

١) وقد ترتب على وفاة كونراد دي مو نتفرات فقد شخصية قوية ذات جهود كبيرة في الصراع مع المسلمين ، وأما تدبير قتله بتحريض من ريتشارد ترك آثاراً سيئة على اتباعه وأقاربه الأمر الذي سيترتب عليه متاعب كثيرة للصليبيين في بلاد الشام . عن ذلك أنظر : ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ١٩٦ - عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين ، ص ٢٧٤.

٢) عن هذه الاحداث ودور ملك فرنسا فيها . أنظر سعيد عاشور : تاريخ أوربا ، ص ٢١٦ - ٢١٨.

٣) ابو شامة " كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٠٣.

٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢.

الاردن. وأما الصليب فهو خشبة عندكم لامقدارله وهو عندنا عظيم فيمن به السلطان علينا ونستريح من هذا العناء الدائم.فأرسل السلطان في جوابه: القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا أعظم مما هو عندكم فإنه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلايتصوّر أن ننزل عنه ولانقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين. وأما البلاد فهي أيضاً لنا وإستيلاؤكم كان طارئاً عليها لضعف من كان بها من المسلمين ذلك الوقت. وأما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة لا يجوز ان نفرط فيه إلا لمصلحة راجعة الى الاسلام هي اوفى منها " (١).

حاول ريتشارد الوصول الى حل حاسم في مفاوضاته مع صلاح الدين في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م عن طريق زواج العادل من جوانا ملكة صقليه وأرملة وليم الثاني حاكمها وفشل الأمر (٢). ومن أهم وأبرز أحداث تلك الفترة هي إستعادة صلاح الدين لمدينة يافا ثم إسترجاع الصليبيين لها(٣). وقد تحتم على ملك انجلترا الوصول لحل حاسم في مفاوضاته مع المسلمين فتم عقد الهدنة لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر أولها يوم الثلاثاءالحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة الموافق لاول ايلول وشروطها :

أن يستقر بيد الافرنج من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور ، واخرج

---

١) ابو شامه " كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ١٩٣- ستيفن رنسمان :تاريخ الحروب ، ج ٣ ، ص١١٥.

٢) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٦ - ستيفن رنسمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١١٦.

٣) مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

منها الناصرة (١) وصفوريه (٢)، وان تكون عسقلان خراباً، واشترط السلطان دخول بلاد الاسماعيلة في عقد هدنته، واشترط الفرنج دخول إنطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وان تكون اللد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين (٣).

ولكي يصبح الامر متكاملاً في شرح ظروف الشرق وقبل إرسال السفارة المصرية الى الموحدين لا بد من الحديث في نقطة هامة تتعلق بالبحرية في عهد صلاح الدين الايوبي ماذا قدم لها؟ وما الدور الذي قامت به خلال الحملة الصليبية الثالثة والتي حاصرت مدينة عكا؟

عمل الفاطميون على العناية بالاسطول البحري من حيث إنشاء المراكب في الفسطاط (٤) ودمياط والاسكندرية ، بالاضافة الى عنايتهم الفائقة بالعاملين به (٥)، فلا عجب أن أصبحت بعد ذلك صاحبة اسطول قوي في البحر المتوسط (٦). وفي اواخر عهدها ونظراً لما صاحبها من ضعف وعجز انعكست آثاره على بحريتها فلم يستطع اسطولها حماية

---

١) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٥، ص ٢٥١.

٢) صفورية : كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهي قرب طبريه . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٤١٤.

٣) ابوشامه : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٠٣ - ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢ ، ص ٤٠٣ - مجير الدين : الانس الجليل ، ج ١، ص ٣٨٩ -٣٩٠.

٤) الفسطاط : مدينة في مصر وقام ببنائها عمرو بن العاص . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٦١ - ٢٦٤.

٥) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٣-١٩٤

٦) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين ، ص ١٤٧.

الساحل الشامي من إعتداءات الصليبيين، وبانتهاء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فقد الاسطول الفاطمي اهميته (١).

وعندما قامت الدولة الايوبية كانت البحرية الاسلامية ضعيفة تماماً وخصوصاً بعد إستيلاء الصليبين على الموانئ الشامية الهامة مثل صور وعكا وعسقلان وغيرها مما شجعهم على مهاجمة الموانئ المصرية مثل الاسكندرية ودمياط ورشيد (٢) وتنّيس (٣) وغيرها (٤)، الى جانب ما قام به شاور (٥) عندما نزل عموري الاول (٦) في مصر من حرق مراكب الاسطول وما أعقب ذلك من نهبها (٧).

---

١) عن ذلك أنظر : السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٠٣ – ١٢٧ ، ص ٢٧٢.

٢) رشيد : بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٣ ، ص ٤٥.

٣) تنّيس : من مدن مصر ، وأهلها ذو يسار وثروة. أنظر مؤلف مجهول : الاستبصار ، ص ٨٧–٨٨.

٤) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ١٤٧ – ١٤٨.

٥) شاور بن مجير السعدي ولي الصعيد بامر الصالح بن رزيك صاحب مصر ووزير العاضد ، ولم يلبث ان تولى الوزارة مكان العادل بن الصالح بن رزيك أنظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٦– ١٥٩ – ترجمة رقم ٢٦٩.

٦) عموري الاول هو ملك بيت المقدس تميز بشخصية قوية وكان يسيطر على الامارات الصليبية في المشرق الاسلامي ووفاته سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م . أنظر على إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى، ص ٢٩٨.

٧) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج٢ ، ص ١٩٤.

ونظراً لقيام الدولة الايوبية في وسط اشتدت فيه حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين،مما جعلها توجه عناية فائقة للجيش والاسطول وتطويرهما باعتبارهما اداة الجهاد (١). ويلاحظ في تطور الاسطول لعهد صلاح الدين الايوبي مروره بثلاث مراحل فالاولى منذ سنة ٥٦٥-٥٦٩هـ/١١٦٩-١١٧٣م ومن أهم مميزاتها ضعف البحرية الناتج عن ضعف الفاطميين، وعجزها عن صد إعتداءات الصليبيين على سواحل الشام ومصر. وأما الثانية فمن سنة ٥٧٥-٥٨٣هـ/١١٧٩-١١٨٧م حيث بلغت البحرية أوج إزدهارها وخاصة انتصاراتها ضد سفن الصليبيين،وتميزت المرحلة الثالثة من ٥٨٣-٥٨٧هـ/١١٨٧-١١٩١م باستطاعة الصليبيين بواسطة الحملة الصليبية الثالثة إضعاف البحرية الاسلامية مرة أخرى (٢).

لم يقتصر إستيلاء الصليبيين على جزيرتي قبرص وكريت والتي كانت بمثابة القواعد الامامية في شرق حوض البحر المتوسط وخاصة في الصراع بين المسلمين والروم،وإنما إمتدت الى منازعة مصر في سيادتها على الطرق التجارية في البحر الاحمر عن طريق السيطرة على ميناء آيلة على رأس خليج العقبة (٣).

---

١) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ١٤٨.

٢) سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص ١٨٤ - عبد الله سعيد محمد الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٤٩.

٣) أيْلَة : مدينة على ساحل البحر القلزم مما يلي الشام . وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٩٢ - عبد الله سعيد محمد الغامدي : المرجع السابق ، ص ١٤٩.

وقام صلاح الدين بإنشاء دور لصناعة السفن في الفسطاط والاسكندرية ودمياط، الى جانب توفير الاخشاب اللازمة باعتماده على نوع يسمى السنط في مصر واخشاب الصنوبر والارز في جبال لبنان، وعقده لمعاهدات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية لامداده بالاخشاب اللازمة لذلك. وكان بالاسكندرية المتجر السلطاني ومهمته استيراد كافة متطلبات الاسطول والجيش بإموال الخمس المفروضة على التجار (١)، كما قام بمنع التجار والاهالي التعامل مع البلاد المسيحية في المواد الحربية،مع إهتمامه بنظام الحراسة الساحلية في سواحل مصر والشام وأصدر أمره بالاجتهاد في ذلك وإلزام أهل الوظائف كل بعمله،واقامة الرباطات والمحارس والمناور والمناظر (٢)، ولجأ الى استخدام عمود السواري وهو عمود من الحجر منقط من الصوان المانع وحوله اربعمائة عمود وضعت بشاطىء البحر في الاسكندرية لاعاقة تقدم العدو (٣)، مع استعماله لسلسلة تعمل على إعاقة تقدم العدو في ميناء دمياط (٤) وبلغ من عناية صلاح الدين بالاسطول ان أشرف بنفسه على كل ما يجري فيه من إنشاء وتعمير وجعل له ديواناً عرف بديوان الاسطول وافرد له ميزانية خاصة للانفاق على كافة متطلباته من مؤن وعتاد ورواتب للعاملين به (٥).

---

١) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين ، ص ١٥٠ (نقلاً عن ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص ٣٢٧، ٣٤٠).

٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٧ ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

٣) المقريزي : المواعظ والإعتبار ، ج ١ ، ص ١٥٩.

٤) عبد الله سعيد محمد الغامدي : صلاح الدين، ص ١٥١.

٥) المقريزي : المواعظ والإعتبار ، ج ٢ ، ص ١٩٤.

وفي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م زاد أهتمامه بأمر الاسطول وإصلاح مراكبه وسفنه (١) وقد قسم صلاح الدين العمل في اسطوله الى قسمين اذ نلاحظ أن عدد قطعه في عهده وصل الى ثمانين سفينه جعل منها خمسين سفينة للدفاع عن سواحل مصر ، بينما جعل ثلاثين سفينة أخرى لحماية سواحل الشام ومساندة المسلمين في قتال الصليبيين. هذا الى جانب إهتمامه بالسفن العامله في البحر الاحمر نظراً لإختلاف طبيعته من حيث وجود الصخور والشعاب المرجانية (٢). وقام صلاح الدين باستخدام الملاحين المغاربة في أسطوله نظراً لما عرفوا به من مهارة وخبرة في الشئون البحرية (٣). وبعد مدة قضاها في العناية باسطوله أصبح قادراً على خوض المعارك البحرية الهامة ففي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م قام بغارات هامة منها مهاجمة سواحل الامبراطورية البيزنطية والامارات الصليبية في ساحل الشام واستطاع الانتصار فيها الى جانب نجاحه في معركة مع سفن العدو ، والغارة الثالثة كانت على ميناء عكا الصليبي ، كما أستولى على جزيرة أرواد (٤) وهاجم انطرطوس (٥) سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م ، واستولى في سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م على سفينة قادمة من إيطاليا ، وأغار في سنة ٥٧٨هـ/

---

١) ابن كثير : البدايه والنهايه ، ج ١٢ ، ص ٢٩٦.

٢) عن طبيعة هذا البحر انظر ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٥٩ - ٦٠ - عبد الله سعيد محمد الغامدي: صلاح الدين ، ص ١٥٢ - ولمزيد من التفاصيل عن نشاط الايوبيين البحري أنظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ج ١ ، ففي مجال البحرية النيلية ، ص ٢١٦-٢١٩، ٢٢٢ ، ٢٢٧، ٢٢٨-٢٣١-٢٤٣-٢٤٥، ٢٤٧-٢٤٩ ، وعن نشاطهم في البحر الاحمر أنظر : ص ٢٥٣-٢٦٤- وعن نشاطهم في البحر المتوسط ، ص ٢٧١-٢٩٣.

٣) ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨.

٤) أرواد: اسم جزيرة في البحر قرب قسطنطينية. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ١، ص ١٦٢.

٥) أنطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ص ٢٧٠.

١١٨٢م على بيروت (١) وكريت وقبرص والسواحل الجنوبية لآسيا الصغرى ، وظفر بسفينة صليبية في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م (٢).

وبعد استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ساهم الاسطول معه في استعادة مدن الساحل الشامي مثل عكاوقيسارية وعسقلان وغيرها،ولكن محاصرته لمدينة صور براً وبحراً أدت الى إصابة الاسطول بضربة عظيمة في حين كانت المدينة على وشك السقوط في ايدي المسلمين،وحدث ذلك نتيجة غفلة رجاله فاستطاع الفرنج النيل منهم (٣).

وفي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م حاصر الصليبيون مدينة عكا وكان عدد السفن البحرية المحاصرة للميناء تفوق مالدى صلاح الدين من سفن (٤)، وبعد تمكنهم من تشديد الحصار البحري على عكا تحمل الاسطول الايوبي عبء الاتصال بحامية المدينة والاسهام في إمدادها بالمؤن والعتاد اللازم لذلك، فاستدعى صلاح الدين اسطول مصر ومقدمه حسام الدين لؤلؤ الذي تميز بخبرته في فنون القتال البحري فاستطاع الاستيلاء على سفينة للفرنج وحمل ما فيها الى المدينة المحاصرة (٥).

واضطر صلاح الدين الى الاستمرار في الاعتماد على الاسطول لايصال المؤن والعتاد لعكا ففي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م سير اليهم ثلاث سفن من مصر

---

١) بيروت : مدينة مشهورة على سواحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ١ ، ص ٥٢٥

٢) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١١-١٤ ، ٢٧، ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٨.

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، ص ١١٩.

٤) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ج ١ ، ص ٢٨٣.

٥) ابن الاثير : الكامل ، م٩ ، ص ٢٠٤.

فحاول الصليبيون الاستيلاء عليها عند قدومها،ولكنهم فشلوا في ذلك، كما عمد صلاح الدين في نفس الوقت أيضاً الى الاستعانة بأمير مدينة بيروت في مساعدته على إمداد عكا بالمؤن. فيروي أنه ذات مرة تأخر وصول سفن الميرة من مصر فجهز عز الدين سامة أمير بيروت سفينة،كان قد استولى عليها المسلمون سابقاً من الفرنج،فأصلحها وزودها بالميرة اللازمة وجعل القائمين عليها يلبسون زي الفرنج ويرفعون شعار الصليب ويحملون عليها الخنازير،وسارت صوب عكا واستطاعت إختراق الحصار المضروب حول الميناء والوصول سالمة الى المدينة بما عليها من الميرة (١).

وقد ظفر الصليبيون في هذه السنة ببركوس (٢) حاول دخول عكا به مال ورجال لأهل المدينة ، في حين استطاع المسلمون الاستيلاء على سفينتين من سفن الصليبيين (٣) وحرق سفينة أخرى (٤).

وفي الوقت الذي حرص فيه صلاح الدين على تزويد المدينة المحاصرة بما تحتاجه من عتاد ، توالت الامدادات القادمة للصليبيين حيث وصلتهم مراكب للجنويين محملة بالكثير من المؤن (٥)، واضطر العادل شقيق صلاح الدين الى المرابطة في ميناء حيفا لمراقبة السفن الاسلامية القادمة الى عكا بالميرة وقدمت الى الميناء سبع سفن مليئة بالذخائر فانقلب مركب

---

١) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢٠٩ – ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢ ، ص ٣٣٠ – ٣٣١.

٢) البركوس : تعني سفينة صغيرة . أنظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية ، ج١ ، ص ٢٨٨ ، هامش رقم (٣).

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٤.

٤) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤٣.

٥) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٧.

منها وسقط الرجال في البحر (١)، ولم يلبث أن أدى هيجان البحر الى فقد تلك السفن إثر إرتطامها ببعضها البعض وأحدث ذلك أثراً سيئاً في نفوس أهل المدينة .

وقد أدت المجاعة الى فرار عدد كبير من الفرنج وإلتحاقهم بخدمة صلاح الدين حيث زودوهم بسفن صغيرة لغزو مراكب الفرنج فحققوا نجاحاً كبيراً، بالاضافة الى وقوع إشتباك بحري بين سفن المسلمين وسفن الصليبيين، ونتج عنه احراق بعض سفن الفرنج ، وأثناء عودة السفن الاسلامية تأخرت إحدى السفن بقيادة الامير جمال الدين اركز فحاصرتها سفن العدو فصمم الامير جمال الدين على مقاومتهم فقاتلهم بينما قفز بقية الملاحين الى الماء ولما عرض الصليبيون على الامير جمال الدين الامان مقابل استسلامه لهم أصر أن يكون ذلك لمقدمهم فلما حضر اليه أيقن مقدم الصليبيين أن الامير لامحالة واقع بيده فعاركه الامير وعانقه ووقعا في البحر وغرقا سوياً (٢).

أدرك التعب الامراء والقائمين على شئون عكاء فطلبوا من السلطان ابدالهم بغيرهم رغبة في بعض الراحة فاستجاب لهم في ذلك ، وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فكان البدل الداخل اليها أقل عدداً من الخارج منها، وحدث هذا أول سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وبانتهاء فصل الشتاء عادت سفن الفرنج لتشديد الحصار البحري على المدينة، فتطوع بعض رجال الاسطول

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢ ، ص ٣٤٥.

٢) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨١ -١٨٢- ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٣٤٧-٣٤٨.

بإيصال الاموال والكتب لحامية المدينة ومن ذلك ما قام به عيسى العوام(١) الذي حمل المال والرسائل لرجال صلاح الدين حيث كان يغوص من جانب مراكب العدو ويخرج من الجانب الآخر ويسلم مالديه ، وقد توفى في إحدى المرات أثناء غوصه الى المدينة وعثر الناس على جثته بعد أيام من إنقطاع خبره عنهم(٢).

وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وصل ملك انجلترا الى قبرص،واستولى عليها من أيدي البيزنطيين وجعلها قاعدة بحرية لتمويل جيوش الصليبين في بلاد الشام، وكان قد سير بعض سفنه الى عكا قبل وصوله اليها، فاستولى أمير بيروت عز الدين سامة عليها وغنم ما فيها، الى جانب قيامه بتسير الشواني والمراكب لشغل الفرنج عن مدينة عكا (٣).

وفي خلال ذلك كان السلطان صلاح الدين قد أمر بإرسال سفينة كبيرة من بيروت مشحونة بالآلات والرجال والميرة مساعدة لأهل عكا، في محاولة منه لإختراق الحصار البحري المضروب على المدينة،والتي اشتد القتال عليها خاصة بعد وصول ملك انجلترا ريتشارد قلب الاسد اليها في العاشر من جمادى الاولى باسطوله، وقد قام ملك انجلترا باعتراض السفينة ومحاربتها والتضيق عليها بواسطة اسطوله فاستبسل رجالها في مقاومتهم والدفاع عنها، وكان مقدم السفينة شجاعاً مقداما - يدعى

---

١) عيسى العوام أحد رجال الاسطول البحري قام بايصال الاموال والكتب لأهل عكا.

٢) ابن الاثير : الكامل ، م٩ ، ص ٢١٠ - ابو شامة : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٢.

٣) ابن الاثير: الكامل، م ٩، ص ٢١٣ - ابو شامه كتاب الروضتين، ج ٢، ص ١٨٣-١٨٤- ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٤٩.

يعقوب من أهل حلب - عندما رأى قرب تغلب العدو على السفينة صمم على عدم وقوعها في أيديهم وقال: " والله لا نقتل إلا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البطسة (١) شيئاً ". فقام هو ورجاله بهدم جوانب السفينة وخرقها حتى إمتلأت بالماء وغرق من فيها. وأما الناجون من الغرق فوقعوا في أسر ملك إنجلترا ورجاله (٢).

وفي هذه السنة أيضاً سلم صلاح الدين أمر الاشراف على ديوان الاسطول لاخيه الملك العادل فقام يتولى شئونه والاشراف عليه وعين نائباً له صفي الدين عبد الله ين علي بن شكر (٣). وفي الخامس من شهر شوال سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م أي بعد سقوط عكا قام الاسطول المصري بالاستيلاء على بعض مراكب الصليبين وفيها مركب تعرف بالمسطح (٤) بها أكثر من خمسمائة شخص إستطاع رجال الاسطول أسرهم وقتلهم ماعدا اربعة من أعيانهم (٥).

وبعد الاستعراض السابق لأحوال البحرية في عهد صلاح الدين نلاحظ مدى جهوده في النهوض بها خلال فترة وجيزة. فإن بلوغها ثمانون قطعة

---

١) البطسة : مركب كبيرة ذات عدة طوابق لها أحياناً أربعون قلعاً تستخدم لنقل الزاد والميرة وعدد كبير من المحاربين قد يصل الى سبعمائة شخص.

٢) ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ٢١٣ - ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ - ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢، ص ٣٥١.

٣) صفي الدين ابو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر هو وزير الملك العادل ونائبه في تولى شئون الاسطول . أنظر المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج ٢، ص ١٩٤.

٤) المسطح : نوع من السفن الحربية الكبيرة ويظهر ان حمولتها خمسمائة شخص وما فوق أنظر ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢ ، ص ٣٧٤ ، حاشية رقم (١).

٥) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٩٤.

في عهده وخلال فترة قصيرة،لهو خير دليل على مابذله في سبيل ذلك، وقد أبدت البحرية ورجالها نشاطاً ملحوظاً في الجهاد ضد الصليبيين وخاصة أثناء حصار عكا ولم يكن رجال الاسطول أقل شجاعة من المجاهدين في البر، صحيح أن خسائر الاسطول أثناء الكفاح ضد الحملة الصليبية الثالثة عظيمة،ولكن ما ابداه الرجال في ذلك الوقت من شجاعة وبطولة ضد اساطيل تفوقهم عدداً دفعت بصلاح الدين الى الاستنجاد بالموحدين لان الفائدة هنا تكون أعم وأفضل،وخاصة إن تمكنت البحرية المغربية من قطع المدد عن الجيوش الصليبية،وخاصة القادم عن طريق قبرص وصقليه وجنوه والبندقية وما يمكن أن يأتي عن طريق الطرف الغربي للبحر المتوسط،بالاضافة الى محاصرة الاسطول الصليبي الرابض أمام ميناء عكا فيقع الصليبيون براً وبحراً بين شقي الرحى ويكونون بذلك هدفاً من المسلمين في داخل عكا والجيوش المحاصرة لهم براً وبحراً وبالتالي يصبح القضاء عليهم أمراً في غاية السهولة.

اجتماع مبعوث صلاح الدين الايوبي بالخليفة الموحدي :

اجتمع عبد الرحمن بن منقذ بالخليفة أبي يوسف يعقوب عقب عودته من جهاده للنصارى الاسبان ، في السادس من محرم سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، شارحاً له الهدف من قدومه وهو توثيق العلاقة مع الموحدين ليكونوا عوناً ويداً ضد الغزو الصليبي ، والاسهام مع الايوبيين في رد العدوان عن البلاد الاسلامية وإيضاح ماوصلت اليه أحوال المسلمين في المشرق ومدى نشاط الصليبيين هناك.

كان لابد لصلاح الدين من الاستنجاد بعامة المسلمين وهذه هي المرة الاولى التي يتوجه فيها الشرق طالباً مساعدة المغرب منذ بدء الجهاد ضد

الغزو الصليبي،أذ نلاحظ عدم حدوث ذلك منذ قاد عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) حركة الجهاد ضد الصليبيين وحتى سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م ، وكان الاستنفار قاصراً على مصر والشام وأقاليم الجزيرة، ولكن ما حدث هذه المرة أن الخطر الصليبي استهدف مكاناً عزيزاً على قلوب المسلمين وهو بيت المقدس،وقد حشد العدو كل إمكانياته وطاقاته لأجل ذلك، فالدعوة هنا لاتحاد المسلمين واجبه حفاظاً على مقدساتهم من الضياع. وإستنجاد صلاح الدين بالموحدين وبالخليفة أبي يوسف للإتحاد ضد عدو مشترك سيعود بالنفع والفائدة على عامة المسلمين ، وقد أحسن ابن منقذ شرح مهمته والغرض من قدومه ونجح في الإشادة بخليفة الموحدين ومآثره خصوصاً ما رآه من حنكته وحزم سياسته وضبطه لأمور البلاد والرعية وما نعمت به أراضيه من رخاء وتقدم وإزدهار فمدح الخليفة الموحدي بقصيدة رائعة منها:

سـأشكر بحـــراً ذا عباب قطعته … الى بحر جـود ما لنعماه ساحـل
الى معدن التقوى الى كعبة الهدى … الى من يمت بالذكر منه الأوائـل
اليـك أمـير المسـلمين ولم تزل … الى بابك المأمول تزجي الرواحل
قطعت اليك البر والبحـــر موقناً … بأنى بذاك القـطع بالنجح كافل
فما راعـــني مــن وجبة(الم) أرائــع … ولاهالني من زاخر البحر هائل
ومن كان غــايات المعــالي طلابــه … يهـــون عليه كل أمر يحـــاول
رجــوت بقصـديك العلي فبلغتها … وأدني عطاياك العلي والفضائل
فلازلت للعـــلياء والجـــود ثانيــاً … تبلغــك الايام ما انت آمل (١)

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٤. وقد ورد الشطر الاول من البيت الثالث داعياً الخليفة الموحدي بأمير المؤمنين . أنظر السلاوي : الاستقصا ، ج ٢ ، ص ١٦٤.

وقد نالت القصيدة إعجاب الخليفة أبي يوسف ومنحه الف دينار عن كل بيت فيها إعجاباً وتقديراً وقال له: " إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك يعني لا لأجل صلاح الدين " (١)

ومع كل ما قام به منقذ في أداء مهمته ومدحه الخليفة بقصيدة رائعة نالت استحسانه واعجابه فإنه لم يظفر بطائل من الموحدين وفشلت مهمته في الحصول على المساعدة البحرية المنشودة (٢).

وتشير الرواية المغربية في ذلك قائلة:" ...فتلقي الجواب من المنصور مجملاً واحيل على ما يوضحه له الوزراء مفسراً ومكملاً ، ولما دنا إيابه، وحصل على ما تمكن جوابه أفيض عليه من النوال الغمر والاحسان، وضروب من النعم السابغة والامتنان وقوبلت هداياه من العوض في نفاسة الاشخاص والاثمان وانصرف الى بلاده وقد رأى ووعى في طريقه وفي مدة إقامته ما علمأنه بالمغرب ملك الاسلام ومقر الإيمان" (٣) .

<u>أسباب عدم إجابة الخليفة الموحدي لطلب صلاح الدين :</u>

أن عدم إستجابة الخليفة الموحدي لطلب صلاح الدين مثار إستفسارات كثيرة وجدل ونقاش طويل، وسأعرض لبعض ما ورد من تلك الاسباب وأحاول مناقشتها والرد عليها.

١- عدم دعوة الخليفة الموحدي بلقب الخلافة. وعن ذلك يقول ابو شامة: " ... وبلغني انه عز عليه كونه لم يخاطب بأمير المؤمنين على جاري

---

١) السلاوي : الاستقصاء ، ج ٢ ، ص ١٦٤.

٢) محمد ابو راس بن القاضي: الحلل السندسية، ورقة ٩٥، ٤٧

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٩.

عادتهم ..." (١)

٢- مساعدة الغز اتباع تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن اخي صلاح الدين لبني غانيه في ثورتهم ضد الموحدين والتي ظهر فيها صلاح الدين بطريق غير مباشر بمظهر الذي لا يمكنه التهرب من ذلك (٢).

٣- وقيل أيضاً أن سر تخلف المنصور الموحدي هو إصدار الخليفة العباسي لامره في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م باسناد السلطة الى صلاح الدين لاعلى مصر والنوبة وغربي الجزيرة العربية وفلسطين وسوريا فحسب، بل وعلى المغرب أيضاً. وهذا يعني رغبة صلاح الدين أن يحل محل المنصور حاكماً على المغرب في حالة انتصاره على الصليبيين . وقد دعم وجود شرف الدين قراقوش في إفريقيه تلك الفكرة لدى المنصور الموحدي (٣).

هذا ما قيل في أسباب الرفض وسأحاول مناقشة كل منها : -

وللرد على ما سبق نقول فيما يختص بالسبب الاول وهو عدم دعوة الخليفة الموحدي بالقاب الخلافة ، نلاحظ أن دراسة تاريخ العلاقة ما بين صلاح الدين والمنصور الموحدي يتصل بنشأة كلتا الدولتين،وموقفهما من الخلافة العباسية،وأثر ذلك على السياسة الخارجية لكل منهما . فالدولة الموحدية قامت على انقاض الدولة المرابطية التي لم يحمل حكامها لقب

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٤ - وانظر أيضاً المقري : نفح الطيب ، م١ ، ص ٤٤٥.

٢) عبدالله كنون : النبوغ المغربي ، ج ١ ، ص ١١٦- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٧١٧ - سعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين وابي يوسف ، مجلة كلية الآداب ، م ٦-٧ ، ١٩٥٢م - ١٩٥٣م ، ص ٩٣.

٣) أحمد عسه : المعجزة المغربية ،ص٤٤

الخلافة واكتفوا بلقب الإمارة إعتماداً على انها خاصة بصاحب السيادة على الحرمين، ومن ثم قاموا بالدعوة للعباسيين في المشرق،ومع أن هذا الاعتراف اسمياً،فقد التزموا به لإضفاء الشرعية على اعمالهم ولكسب تأييد رعاياهم ولمواصلة الجهاد في الاندلس (١). ولما ورث الموحدون دولة المرابطين (٥٢٤-٦٦٧هـ/١١٢٩-١٢٦٨م) وكانوا كارهين لها لم يعترفوا بالخلافة العباسية ولا بالتبعية لأحد بل رأوا أنهم أحق بها من غيرهم ، وأن مركزها مراكش مع العلم أن محمد بن تومرت داعية الموحدين (٢) قد درس في المدرسة النظامية في بغداد وتأثر بها،ومن ملاحظته لاحوال العالم الاسلامي جعلته يتهم الخلافة العباسية بتقصيرها في حماية المسلمين ورعاية اوضاعهم ، وعجز الفاطميين في أواخر عهدهم عن حماية البلاد الاسلامية من إعتداءات الصليبين في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولذلك فما أن عاد ابن تومرت الى المغرب حتى حرص على إنشاء دولة تطبق التعاليم الدينية الصحيحة وتقضي على البدع،ليس في المغرب فحسب بل وفي المشرق أيضاً، مما تسبب في إزعاج حكام المرابطين فطرده على بن يوسف (٣) من مراكش ، فاتخذت دعوته مظهراً آخر معلناً فيه الحرب على المرابطين، واخذ الموحدون في تغيير ما كان

---

١) عن المرابطين واعترافهم بالخلافة العباسية أنظر حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين، ... ص ٣٢٥-٣٤٢- سلامه سليمان الهرفي: دولة المرابطين ، ص١٦٨-١٧٥

٢) عن محمد بن تومرت ورحلته أنظر : عبد الله على علام : الدولة الموحدية، ص ٤٣-٦٦.

٣) علي بن يوسف بن تاشفين حكم (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١١١-١١٤٢م) وقد اتسعت الدولة في عهده واحرز الانتصارات على النصارى في الاندلس ، وعن فترة حكمه واحوال دولته أنظر : ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٥٧-١٦٥.

قائماً ومعترفاً به من قبل المرابطين فكانت خلافتهم لا تدين بالتبعية لا للدولة العباسية ولا لغيرها (١).

وقد ساعد الموحدون على إعلان الخلافة العوامل التي توفرت لهم ودفعتهم الى ذلك منها على سبيل المثال رحلة ابن تومرت ومارأه خلالها فكان ما حدث دافعاً له لإنشاء الخلافة الموحديه (٢)، القائمة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن اتبعه فهو على الحق وما سواهم على الباطل ومن هنا اطلق على اتباعه لقب الموحدين (٣)، وخليفته في حكمهم هو الخليفة الحق (٤). وتبع ذلك اخضاع المغرب عامة والاندلس لسيطرة الموحدين فلاحظوا مدى قوتهم بالنسبة لضعف الخلافة العباسية فتلقب عبد المؤمن بالخلافة سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م (٥).

ونظراً لذلك قام الموحدون بتغيير كل ما سار عليه المرابطون الى جانب كراهيتهم لكل ما يمت لهم بصلة فلم يعترفوا بالتبعية لأحد ، وكانت خلافتهم مستقلة متخذين في سبيل ذلك كافة الوسائل المدعمة لخطوتهم تلك من حيث إعلان ابن تومرت عن مهديته وإدعاء عبد المؤمن النسب العربي (٦).

---

١) بدري محمد فهد: تاريخ العراق ، ص ١٢-١٣ - حسن على حسن : الحضارة الاسلاميه،ص ٣٣-٤١.

٢) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ م ١ ، ص ٣٢٧-٣٢٨.

٣) ابن خلدون : العبر ، م ٦، ص ٢٢٨.

٤) حسن على حسن :الحضارة الاسلامية،ص ٥٥.

٥) ابن ابي زرع الانيس المطرب ، ص١٨٧.

٦) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ١٨٣.

لم يقدر لحدود دولة الموحدين الوصول الى المشرق لإنشغالها بإمورها السياسية في المغرب والاندلس،ومع عدم إعترافها بالعباسيين،فقد قام بعض المعارضين للموحدين من أمثال بني الرند في قفصه في عهد ابي يعقوب يوسف بالاعتراف بهم نكاية في الموحدين (١). ومما يدل على وجود الرغبة لدى الموحدين في تنفيذ فكر ة الخلافة الاسلامية على الرغم من عدم وصول حدودهم الى المشرق وإنشغالهم في المغرب والاندلس، ما أشار اليه المراكشي في المعجب عن المنصور الموحدي من عزمه على تطهير مصر مما فيها من البدع (٢). وقد قال في ذلك الشاعر عبد السلام الجراوي مادحاً الخليفة أبا يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن قائلاً :

ستملك أرض مصر والعراق   وتجرى نحوك الأمم إستباقا

كما مدح الشاعر المذكور المنصور قائلاً :

سينظم السعد مصرا في ممالكه   حتي تدوخ منها خيلُهُ حلبا
الى العراق الى أقصى الحجاز الى   أقصى خراسان يلقى جيشه الرعبا
هو الذي كانت الدنيا تؤمله   وكل عصر له مازال مرتقبا (٣)

وفي الوقت الذي انشغل الموحدون فيه بامورهم السياسية في المغرب والاندلس ، استطاع صلاح الدين الايوبي السيطرة على زمام مصر وتوطيد امورها واسقاط الفاطميين وإعادة الخطبة فيها باسم العباسيين ثم سير حملة الى بلاد النوبة وبعدها حملة أخرى الى اليمن (٤) وجمع شمل

---

١) التجاني : رحلة التجاني ، ص ١١٤.

٢) المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٤.

٣) عبد الله على علام : الدولة الموحدية ص ٢٠٧ ، حاشية رقم (١).

٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٥٩ ، ترجمة رقم ٨١٧.

المسلمين في مصر والشام والجزيرة ، لمواجهة الصليبيين ودحرهم من البلاد الاسلامية ، الى جانب نجاحه في إستعادة بيت المقدس. ولاشك أن وجود صلاح الدين بدوره الكبير في هذه المنطقة قد حد من تطلعات الموحدين الى المشرق فاقتصروا على توطيد نفوذهم في المغرب والاندلس.

وخلال تلك الفترة الحرجة التي عاشتها البلاد الاسلامية،وعانت من إعتداء الصليبين سواء في المشرق أو من غارات النصارى بالتعاون مع الصليبين ضد المدن الاسلامية الاندلسية، كان لابد من قيام نوع من التنسيق في الجهود بين الموحدين والايوبيين لمقاومة الاعداء،ولكن مع الاسف اتسمت العلاقات بين صلاح الدين وابي يعقوب ثم المنصور بعده بطابع الفتور والحذر وانصراف كل منهما الي أمور دولته . ولكن ما أن استعاد صلاح الدين بيت المقدس حتى قامت ضده موجة استياء في الغرب الاوربي أدت الى مجىء الحملة الصليبية الثالثة التي فاقت غيرها من الحملات باشتراك ملوك أوربا فيها الى جانب مصاحبتها لاسطول بحري قوي واضعة نصب عينيها استعادة بيت المقدس من المسلمين وجعلت وجهتها مدينة عكا.

شعر صلاح الدين باهمية الاسطول البحري لهذه المعركة خصوصاًبما عاناه من حصار الصليبيين،لعكا وتحمل الاسطول الايوبي عبء امداد المدينة بالمؤن وعلى الرغم مما قام به صلاح الدين من العناية باسطوله إلا ان القوة البحرية الصليبية كانت تفوق قوته كثيراً مما اضطره الى طلب المعونة من الاسطول الموحدي المعروف بشهرته. وتحدثنا الرواية المغربية عن الاسطول الموحدي قائلة: "...فأمر (١) بإنشاء القطائع في سواحل العدوة والاندلس

---

١) أي عبد المؤمن بن علي .

فصنع منها زهاء مائتي قطعة أعد منها في مرسى المعمورة (١) بحلق البحر على وادي سبو (٢) بمقربة سلا مائة وعشرون قطعة ...وأعد باقي العدد الذي ذكرته في ارياف العدوة -والاندلس ...) (٣).

وتظهر من الرواية عناية الموحدين بالاسطول منذ عهد عبد المؤمن بن علي حيث بلغ مائتي قطعة الى جانب دور الصناعة لانتاج السفن منها ما هو في قصر المعمورة ومكان يدعى الحبالات شرقي فاس ، بالاضافة الى نظام حراسة السواحل ، وقيام عبد المؤمن بإنشاء القاعدة البحرية في جبل طارق سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م ، مع تشجيع الناس على الاقبال والعمل في مجال البحرية وتوفيره لكافة متطلباتهم ، واستمر أبو يعقوب على نفس النهج في العناية بالبحرية وجعل أحمد الصقلي قائداً لها.

ولعبت البحرية في عهده دوراً كبيراً خصوصاً ضد النصارى الاسبان وخاصة البرتغال، وقد أشار ابن خلدون الى مدى قوة الاساطيل في عهده من حيث بلوغها حداً لم تصله من قبل ولا من بعد (٤). وأما في عهد ابنه

---

١) مرسى المعمورة : المقصود بها المدينة التي تحمل اليو م اسم المهدية على الضفة اليسرى لمصب وادي سبو شمال سلا على بعد نحو ثلاثين كيلومترا منها ...ولم يكن هناك وجود لاسم المهدية إلا أيام السلطان اسماعيل سنة ١٠٩٢/١٦٨١م عندما حاصر المرسى وضيق على جيش الاسبان المحتل، فخرج راهبها مستسلماً وبيده مفاتيح المدينة، جاء بها هدية للمولى اسماعيل فامنه ودخل المدينة وسماها بالمهدية . أنظر ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ، ص ٢١٠، حاشيه رقم (٢) .

٣) وادي سبو : منبعه من الاطلس ، طوله ستمائة كيلومتر ويتراوح عرضه ما بين ١٥٠-٢٠٠ متر ويصب في المحيط بالمعمورة ...قرب مدينة القنيطرة . أنظر ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص ٢١٠ . .

٣) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص ٢١٠-٢١١

٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٥٥

المنصور الموحدي فكان لها دورٌ كبيرٌ في إسترجاع بجايه من أيدي ثوار بني غانيه في إفريقيه، وفي التصدي لغارات النصارى البرتغاليين الى جانب محاولات اسطوله السيطرة على الجزائر الشرقيه لأهميتها كقاعدة بحرية (١). ومن أجل هذا تقدم صلاح الدين طالباً مساعدة المنصور الموحدي ضد الصليبيين لعجز اسطوله على الرغم من عنايته به - عن مواجهة تفوق الصليبيين البحري عليه . اذ تشير رواية انجليزية انه في سنة ٥٨٦هـ/١١٨٩م رست عند لشبونه ٦٣ سفينه قام بحارتها بالاعتداء على أهل المدينة ثم أقلعوا منها في ٢٤ يوليو وتوقفوا عند مصب نهر تاجه حيث التقوا بثلاثين سفينة محملة بالجنود والمؤن في طريقها الى المشرق(٢) في حين تشير رواية أخرى الى مرور سفن ريتشارد قلب الاسد التي بلغت مئة وثلاثين سفينة ومسيرها حول شبه الجزيرة الايبيريه مما كان له أثر في القوي الاسلامية في المشرق الاسلامي (٣).

---

١) عن نشاط الاسطول أنظر السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية، ج٢، ص ٢٥٤-٢٧٩.

٢) أنظر : Barbour, N : AL-Andalus en Las crónicas Inglesas, P.141-142.

٣) Barbour, N : Sea power of muslim Spain , revista del instituto de estudios islámicos en madrid, Vol.XIV,1967-1968, p 108.

ويلاحظ ان مرور هذه السفن قد تم قبل وصول كتاب صلاح الدين الى المنصور ، ورغم اضطراب الروايتين في عددالسفن الذاهبة الى المشرق فهو يدل على المبالغة الواضحة في عدد السفن ، في حين انه لاحرج على صلاح الدين في طلب المساعدة البحرية من الموحدين نظراً لضخامة الحملة القادمة لبلاد الشام.

ويحدثنا ابن خلدون عن ذلك قائلاً : " ... فأوفد صلاح الدين على ابي يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهده من الموحدين ...طالباً مدد الاساطيل لتحول في البحر بين أساطيل الاجانب وبين مرامهم من إمداد النصرانية بثغور الشام وأصحبه (١) كتابه اليه في ذلك من إنشاء الفاضل البيساني يقول في إفتتاحه فتح الله لسيدنا أبواب المناجح والميامن حسبما نقله العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القيسي فنقم عليهم المنصور تجافيهم عن خطابه بأمير المؤمنين وأسرها في نفسه وحملهم على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك. وفي هذا دليل على إختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ..." (٢).

ومن هنا ارجع ابن خلدون وابو شامه فشل مهمة مبعوث صلاح الدين لدى الموحدين الى عدم دعوتهم له بالقاب الخلافة،ومع ان الامر قد يكون له نصيب من الصحة فهو دليل على حرص الموحدين على ان يلقبوا بالقاب الخلافة،إظهاراً لمدى قوة حاكمهم ودورهم في المغرب الاسلامي والفارق

---

١) المقصود هو ابن منقذ .

٢) ابن خلدون : العبر ، ص ٢٥٥-٢٥٦. (يلاحظ من هذا النص ان ابن خلدون يبالغ في الاشادة بالاسطول الموحدي ، كما يشير الى عدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده بالاساطيل البحرية، وهو قول يجافي الحقيقة - وقد سبق ان أشرت الى إهتمام صلاح الدين بالاسطول الايوبي ، غير ان البحرية التي اعتمد عليها الصليبيون في تسيير الحملة الصليبية وفي مهاجمة عكا فاقت كل توقعات صلاح الدين وفاقت قدرته البحرية في الدفاع عن عكا.

بينهم وبين الخلافة العباسية بعجزها وضعفها في المشرق الاسلامي، مع ملاحظة انه لم يشر الى هذا الامر من المشارقة إلا أبوشامة، ومن المغاربة المقّري وابن خلدون ، بينما لم يشر اليه ابن عذاري ولا صاحب الاستبصار، رغم تعرضهما للحديث عن هذه السفارة وقدوم مبعوث صلاح الدين وتاريخها وزمن رجوعه، الى جانب ان كتاب مضمار الحقائق لمحمد بن تقي الدين أحد أمراء الاسرة الايوبية قد توقف مؤلفه فيه عند حوادث سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م ومن ثم حال ذلك دون إلقاء الضوء على هذا الغموض.

ومع كل ماسبق فنحن لا نستطيع ارجاع فشل مهمة رسول الايوبيين الى عدم دعوتهم للخليفة المنصور بألقاب الخلافة - إعتماداً علي ماسوف نورده من تفاصيل بهذا الصدد فيما بعد - ولكن نستطيع القول ان طريقة كتابة الخطاب وعدم دعوة الحاكم الموحدي بألقاب الخلافة (١) قد يعود الى كراهية رجال البلاط الايوبي في الاستنجاد بحكام المغرب على إعتبار انها المرة الاولى التي يحدث فيها ذلك منذ بدء الجهاد ضد الصليبيين في المشرق الاسلامي ، وربما يكون هو الداعي لبعض المؤرخين إرجاع فشل مهمة الرسول الى عدم دعوة صلاح الدين للمنصور بلقب الخلافة.

وأما فيما يتعلق بالسبب الثاني وهو مساعدة صلاح الدين للماليك الغزبطريق غير مباشر لدعمهم ثورة بني غانيه فهو أمر غير مقبول ولا نوافق عليه من وجهة النظر الايوبية ، نظراً لما عرف عن شخصية صلاح الدين من تقى وورع وخدمة للمسلمين وجهاد في سبيل الله ، بالاضافة الى حرصه على وحدة المسلمين وتماسك الجبهة الاسلامية ضد العدوالمتربص بالمسلمين في المشرق والمغرب على حد سواء - لأنه شب وترعرع في ميدان

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ١٧٤-١٧٦.

ازدهرت فيه فكرة الجهاد ضد الصليبيين ، ولم يكتف بذلك بل خاضها بصدق وإيمان كانت نتيجته تحرير بيت المقدس وإعادته لحوزة المسلمين .

كان صلاح الدين يشعر مسبقاً أن أمر الغز وما قاموا به في الجزء الشرقي من الدولة الموحدية قد ترك شيئاً في نفس الموحدين عليه فلذلك حرص في تعليماته لابن منقذ رسوله اليهم أن سئل عن المملوكين وما فعلوه قائلاً: " ...وأن سئل عن المملوكين يوزبا وقراقوش وذكر ما فعلا في اطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمهم ان المملوكين ومن معهما ليسو ا من وجوه المماليك والأمراء ولا من المعدودين في الطواشيه والاولياء وإنما كسدت سوقها وتبعتهما الفاف أمثالهما والعادة جارية ان العساكر اذا طالت ذيولها وكثرت جموعها خرج منها وانضاف اليها فلايظهر مزيدها ولانقصها ولا كان هذان المملوكان ممن اذا غاب أحضر ولا ممن اذا فقد افتقد ولا يقدّر في مثلهما انه ممن يستطيع نكاية ولا يأتي بما يوجب شكوى من جناية ومعاذ الله ان نأمر مفسداً بأن يفسد في الارض "إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ "(١) ..."(٢).

ومن هنا يظهر عدم صلة صلاح الدين بهما،أذ أن المملوكين هربا الى المغرب طمعاً في إحراز السلطان وتشييد دولة باسمهما، وقد كانت خطبتهما في البداية باسم صلاح الدين لإضفاء الشرعية على أعمالهما ضماناً لنجاحهما،ومن ناحية أخرى حجة لإقناع المشتركين فيها بانتمائها الى جهة معينه لأن إظهار هدفها الحقيقي معناه القضاءعليها، ولا بأس

---

١) القرآن الكريم : سورة هود ، آية ٨٨.

٢) ابو شامه "كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧١.

لديهما من اخفائه لبعض الوقت انتظاراً للفرصة المناسبة لذلك، فتشير الرواية قائلة: "...واجتمع بقراقوش رجل من المغرب فحدثه عن بلاد الجريد وفزان وذكر له كثرة خيرها وغزارة اموالها وضعف أهلها ورغبه في الدخول اليها ..." (١)، مع هذا لم يقدر لهما النجاح لعدم وجود خطة عمل منظمة للسير عليها ، بل كانت أعمالهما وفقاً للظروف والاحوال التي صادفتهما في بلاد المغرب.

ومن ناحية أخرى اذا تتبعنا أعمال صلاح الدين نجده في شغل شاغل عنهما بتوطيد أمره في مصر وبتوحيد الجبهة الاسلامية ، ثم بالجهاد ضد الصليبيين حتى تاريخ وفاته في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م . بينما شرف الدين قراقوش وغيره من الغز مستمرين في إثارة المتاعب في بلاد المغرب خلال عهد الخليفة ابي يعقوب،ثم في عهد ابنه ابي يوسف وأيضاً في عهد ابنه الناصر حتى إنتهاء قراقوش في سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م (٢) على يد يحيى بن غانيه حيث قتله في ودان.

وأما إرجاع أمر وجودهما في المغرب لتشييد ملك لصلاح الدين يلجأ اليه في حالة قدوم نور الدين اليه غازياً على أثر توتر العلاقات بينهما فأمر غير مقبول والاسباب لذلك كثيرة . فأما ما يخص أمر الوحشة بين نورالدين صلاح الدين فنقول ان الحاشية المحيطة بكلا الرجلين لعبت دوراً كبيراً فيها . اذ كان نور الدين قد جعل صلاح الدين نائباً عنه في مصر وهذا لتأمين البلاد الاسلامية ضد الصليبيين فمن المعروف ان بلاد الشام درع مصر وكذلك مصر بالنسبة لبلاد الشام.

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٦٠.

٢) التجاني : رحلة التجاني ، ص ١١٠.

وقد استطاع صلاح الدين بحزمه وحنكته ان ينجح في توطيدها وإصلاح أحوالها كخطوة أولى نحو الجهاد ضد الصليبيين لطردهم من بلاد الشام ، الامر الذي أثار نقمة بعض الحاسدين عليه فكانت الفرصة مواتيه لهم في الإيقاع بين الإثنين بإيهام نور الدين بوجود نوازع إنفصاليه ضده من قبل صلاح الدين وخاصة عندما طلب نور الدين في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م من صلاح الدين التوجه الى الكرك (١) لحصارها ثم يلحق هو به ويجتمعان معاً على قتالها (٢). وبالمقابل قامت الحاشية المحيطة بصلاح الدين بزرع بذور الشك في نفسه تجاه نوايا نور الدين من ذلك الاجتماع وأنه سيقوم بحرمانه مما يعده من مشاريع في سبيل الجهاد ضد الصليبيين ، مما دفع صلاح الدين الى الاعتذار عن المسير الى الكرك متذرعاً بوجود أمور خطيرة في مصر تستوجب عدم تركه لها ، الامر الذي أغضب نور الدين عليه ولم يقتنع بتلك الحجج الواهية وعزم على قصده وإخراجه من مصر فدعم ذلك بذور الشك الموجودة لدى صلاح الدين الامر الذي تسبب في توتر العلاقة بين الاثنين.

وعندما تأكد لنور الدين عدم وجود أية نوازع إنفصالية لدى صلاح الدين ضده (٣) يمكن ان تؤدي بهما الى صراع عنيف يعود بالضرر العظيم على البلاد الاسلامية في تلك الظروف التي تمر بها وبالتالي الى

---

١) الكرك: قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القُلزُم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية الا من جهة الرابض. أنظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، م ٤، ص ٤٥٣.

٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٦٢-١٦٣.

٣) ابن خلكان : فيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ١٦٣-١٦٤.

فقدان أحد المجاهدين، هدأت نفس نور الدين من هذه الناحية ولكن ظلت فيها مشاعر غيرة وحسد من تفوق تلميذ على أستاذه ، بينما إجتاحت صلاح الدين المخاوف من ان تحرمه تلك الغيرة والحسد من فرصة الجهاد ضد الصليبيين ، لأن كلاً منهما يدرك مدى ما يقوم به من دور في سبيل ذلك . ومع هذا فقد وضع الاثنان مصلحة المسلمين فوق كل اعتبار وحالف الحظ صلاح الدين بوفاة نور الدين منافسه الاكبر ٥٦٩هـ/١١٧٣م فتهيأت له الفرصة لتوحيد الجبهة الاسلامية وحمل لواء الجهاد ضد أعداء الاسلام. ومع تسليمنا بتوتر العلاقة بين صلاح الدين ونورالدين إلا أننا لا نوافق على ان تحركات شرف الدين قراقوش في المغرب بهدف تشيد ملك لصلاح الدين لاسباب منها :

- ان حركته تلك لم تكن بمستوى عالٍ من التخطيط والاعداد والعدة والعتاد لضمان نجاحها في مهمتها (١).
- عدم تولي أي فرد من الاسرة المالكة الايوبية لقيادة هذه الحركة كما حدث في حملة صلاح الدين الى بلاد النوبة سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م والتي اسند قيادتها الى أخيه تورانشاه (٢).

وفي سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م أيضاً مسير توران شاه على راس الحملة المتجهة الى بلاد اليمن حيث فتحها وقتل الخارجي المسمى عبد النبي بن مهدي(٣) ، كما يلاحظ انه على أثر وفاة نور الدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م

---

١) راجع الفصل الاول وتفاصيل تحركات قراقوش .

٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ،ص ٢٧٥.

٣) عبد النبي بن مهدي من الاسرة المهدية الذين حكموا زبيد ما بين ٥٥٤-٥٦٩هـ/١١٥٩-١١٧٣م ومن حكامها علي بن مهدي -ومهدي بن علي - وعبد النبي بن مهدي. وزعم عبد النبي هذا ان ملكه ينتشر حتى يملك الارض كلها وقد ملك كثيراً من بلاد اليمن واستولى على حصونها وخطب لنفسه، فبعث صلاح الدين حملته الى بلاد اليمن حيث قتلت الخارجي. وعن ذلك أنظر ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ١، ص ٢٧٣-٢٧٥، ترجمة رقم ١٢٤.

وعندما بدأ شرف الدين قراقوش توغله في إفريقيه،إتجه صلاح الدين نحو بلاد الشام لاتمام الوحدة الاسلامية،والوقوف في وجه الأمراء الطامعين في أسرة نور الدين. حيث كان الصالح اسماعيل بن نور الدين (١) في الحادية عشر من عمره – استعداداً لطرد الصليبيين من البلاد الاسلامية .

ويذلك يتضح لنا مدى المشاغل المسيطرة على تفكير صلاح الدين، والتي وجه كل جهوده وطاقاته نحوها لتحقيقها، ولم يكن للمغرب أي نصيب في تفكيره ولهذا حرص في تعليماته لابن منقذ عند بعثه الى الخليفة الموحدي على النفي التام لصلته بقراقوش ولما قام به في المغرب، بل حرص على تأكيد عدم أهميتهم بالنسبة له. وعلى هذا فالمتتبع لما إستعرضته من حركات بني غانيه مع قراقوش، ثم ما أعقبه من إختلال وجهات النظر بين الاثنين، بالاضافة الى تضارب الاطماع والمصالح وتعارضها ورغبة كل من الفريقين في الملك والسلطان، أدت الى فشل تحالفهما ثم دخول قراقوش في طاعة المنصور الموحدي فترة من الزمن، ثم قيامه بالخروج عن طاعة الموحدين، والعمل لحسابه لتحقيق مطامعه ومواصلة نفس النهج حتى بعد وفاة صلاح الدين ، فإن كانت هناك رغبة في إقامة ملك لصلاح الدين الذي توفى في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٢م فلماذا لم يرجع شرف الدين الى مصر على أثر ذلك وظل في المغرب ، في حين ان الداعي لوجوده قد إنتهى ، فلماذا الاستمرار اذن ؟ والملاحظ في الامر وقبل ذلك وفاة نور الدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م ولم يتم رجوع قراقوش الى مصر

---

١) هو الملك الصالح ابو الفتح اسماعيل بن نور الدين تولى الحكم سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م وتركه صلاح الدين في حلب وكان شاباً ديناً عاقلاً محبباً للناس وتوفي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م . أنظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٤ ، ص ٢٣١، ٢٥٨.

بل واصل مغامراته في بلاد المغرب. فالحالة اذن رغبة من شرف الدين في تشييد سلطان خاص به. ولكن لم يوفق في ذلك لانتصار يحيى بن غانيه عليه في ودان حيث قتله سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢.

ويضيف أبو شامه لما سبق ادله جديدة قائلاً : "...ولما ملك شمس الدولة اليمن سمت نفس ابن اخيه تقي الدين الى الملك وجعل يرتاد مكاناً يحتوي عليه فأخبر ان قلعة ازبري هي فم درب المغرب وكانت خراباً فأشير عليه بعمارتها وقيل له متى عمرت وسكنها أجناد أقوياء شجعان ملكت برقة واذا ملكت برقه ملك ما ورائها فانفذ مملوكه ...قراقوش وقدمه على جماعة من أجناده ومماليكه ..." (١)

ثم يذكر أيضاً في سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م ...وفيها رجع قراقوش الى اوجلة وتلك البلاد فجمع أموالاً ورجع الى مصر ثم اراد الرجوع فمنعه العادل ثم خلصه فرخشاه (٢) فرجع وفتح بلاد فزان (٣) بأسرها ..."(٤).

ويذكر أبو شامه في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م رغبة تقي الدين في المسير الى بلاد المغرب ، وسببها ما رآه من تعيين السلطان لأولاده في مصر والشام

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج١ ، ص ٢٦٠.

٢) عز الدين فرخشاه هو ابن شقيق صلاح الدين النائب عنه في دمشق عرف بالثقة والشجاعة ، والكرم والعلم والأدب ، وله شعر جيد بين أشعار الملوك ووفاته سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م . أنظر ابن الاثير : الكامل ، م ٩ ، ص ١٦٠.

٣) فزان : ولاية واسعه بين الفيوم وطرابلس الغرب . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٢٦٠.

٤) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٦٩-٢٧٠.

حيث ولي الظاهر (١) على حلب وابنه العزيز (٢) على مصر وأعطى أخاه العادل إقطاعاً معيناً في مصر ، واستدعى ابنه الافضل (٣) الى الشام "...ولما سمع تقي الدين الخبر نبا ونفر وذم الغير واستبدل من الصفو والكدر وغار من تغير الرأي فيه...فعبر الى الجيزة مظهراً أنه يمضى الى بلاد المغرب ليتملكها وكتب يسأل السلطان ان لا يمنعه من سلوك مسلكها وسمت همته الى مملكة جديدة ...فلما تجدد لتقي الدين ما تجدد وتمهد لعمه العادل ما تمهد عاد له ذكر المغرب فعبر بعسكره ومالت اليه عساكر مصر لبذله ...فلما إنتهى الى السلطان خبر عزمه . قال له : إن فتح المغرب مهم لكن فتح بيت المقدس أهم والفائدة به أتم والمصلحة منه أخص وأعم . واذا توجه تقي الدين واستصحب معه رجالنا المعروفة ذهب العمر في إفتناء الرجال ...وعلم نجاح تقي الدين في ركوب تلك اللجة فكتب اليه يأمره بالقدوم عليه ...ودخل دمشق وعاد الى ما كان له من البلاد ومنبج (٤) والمعرة (٥) وسائر أعمالها ثم أضاف اليه ميافارقين (٦) وجميع

---

١) الملك الظاهر أبو الفتح غازي ويكنى أبا المنصور،ابن السلطان صلاح الدين الملقب بالملك الظاهر غياث الدين، صاحب حلب، وكان ملكاً مهيباً حازماً متيقظاً كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك، ولاه ابوه على حلب سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م. أنظر ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١٧٨-١٨٣، ترجمة رقم ٤٩٥.

٢) العزيز هو أبو الفتح عثمان صلاح الدين يوسف بن أيوب المتوفى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م حاكم مصر بعد وفاة السلطان صلاح الدين وقد ولاه عليها في سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م . أنظر ابن الاثير: الكامل ، م ٩ ، ص ١٧٢.

٣) الملك الافضل نور الدين على بن صلاح الدين وهو اكبر اولاد السلطان واجتمعت فيه فضائل كثيرة استقل بمملكة دمشق بعد وفاة والده وقد تولى زمامها سنة ٥٨٢هـ/١١٨٦م . أنظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٣، ص ٩٥-٩٧ ، ترجمة رقم ٤٥٩.

٤) منبج : مدينة كبيرة في الشام بينها وبين حلب عشرة فراسخ . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٥ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٧.

٥) المعرة : مدينة في بلاد الشام من أعمال حمص بين حلب وحماة . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٥ ، ص ١٥٦.

٦) ميافارقين : في بلاد الشام وهي أشهر مدينة بديار بكر . أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، م ٥ ، ص ٢٣٥.

ما في ذلك الاقليم من المعاقل وكتب الى مصر باستدعاء رجاله وإعلامهم بتأخير عزم المغرب بل إبطاله فامتثلوا الامر وفارقوا الى الشام ...سوى مملوكه زين الدين يوزبا فإنه رتب له عسكراً إلى المغرب فمضى واستصحبه وغلب على بلاد إفريقيه " (١)

ويضاف الى ذلك ما تقوله الرواية المشرقية : "...في سنة تسع وسبعين وخمسمائة في رجب طلب (أي صلاح الدين) أخاه من مصر بالعساكر وسير اليها تقي الدين في العشر الاواسط من شعبان من السنة نائباً عنه ، ثم إستدعاه اليه بالشام ورتب بالديار المصرية ولده الملك العزيز عثمان ...ومعه الملك العادل فشق ذلك على تقي الدين وعزم على دخوله بلاد المغرب ليفتحها فقبح اصحابه عليه ذلك ، فامتثل قول عمه صلاح الدين وحضر الى خدمته ...فالتقاه بمرج الصفر (٢) واجتمعا هناك في الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة وفرح به وأعطاه حماه فتوجه اليها ..." (٣) .

فكل ماسبق دليل واضح على عدم مسؤولية صلاح الدين عنهم،وإلا كان ارجعهم عقب وفاة نور الدين سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣. اذ ليست له حاجة بعد ذلك في بلاد المغرب. وأما ما كان من طموحات ابن اخيه الى الملك والسلطان لا نستطيع أن نجعل صلاح الدين مسئولاً عنها، حيث أن تقي الدين هو السبب في استغلال قراقوش الأمر لصالحه فيما بعد بمرور الوقت، ولكن مع هذا نجح صلاح الدين في إبعاد ابن أخيه عن بلاد المغرب

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٦٩-٧٠.

٢) موضع بين دمشق والجولان.

٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان ،، ج ٣ ، ص ١٢٨- ١٢٩ ، ترجمه رقم ٤٧٣. وقد توفي تقي الدين سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وهو محاصر لقلعة منازكرد من نواحي خلاط . وخلاط قصبة أرمينيه الوسطى ، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة ومعروفة ببردها الشديد في الشتاء.

وإرضائه.

أما اذا نظرنا الى هذا الامر من وجهة نظر الموحدين،فإن تحركات شرف الدين قراقوش في المغرب الادنى وسيطرته على مناطق كثيرة، وخصوصاً في عهد أبي يعقوب يوسف،ثم في بداية عهد المنصور الموحدي تجلى خطرها في تحالفه مع بني غانيه،وقبل ذلك مع العرب الهلالية،الى جانب الحاق الاذى بكثير من المدن في إفريقيه ، ورغم استعادة الموحدين لبجايه من بني غانيه،فلم تكن تلك هي نهاية الصراع مع زعماء الثورة،اذ تصاعدت المعارك بعد ذلك محققة مكاسب أخرى على حساب الموحدين . وبعد فرار بني غانيه من وجه الموحدين أنضم لهم العرب الهلالية ثم قراقوش وقاموا بقطع الخطبة من إفريقيه للموحدين وخطبوا للعباسيين وبعثوا اليهم طالبين التأييد، وأُقبل العباسيون على مساعدتهم وتدعيم ثورتهم نكاية بالموحدين الذين تلقبوا بالقاب الخلافة أذ أعتبرها العباسيون حقاً لصاحب السيادة على الحرمين الشريفين، وعلى أثر ذلك استولي بنو غانيه على قفصه،واقتضى الامر خروج الخليفة المنصور الموحدي بنفسه لوضع حد لهذه الثورة،التي عصفت باقليم من أقاليم الدولة مستغلة بعده عن مقر العاصمة حتى إستطاع الخليفة الموحدي القضاء عليها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وتشتت أفرادها .

وقام الخليفة بنقل حلفائهم من العرب الهلاليه الى المغرب الاقصى سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، ثم تأديبه وقتل الخارجين عليه من البيت الموحدي ، ثم موت زعيم بني غانيه سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م وتفرق انصاره واتباعه ، وما حدث من خلاف بين شرف الدين قراقوش الغزي ويحيى بن غانيه ، وانتهاء الامر بدخول شرف الدين في طاعة الخليفة الموحدي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م وماتبعه من إستقرار الاحوال وهدوئها ثم هدوء تحركات بني غانيه لبعض

الوقت الى جانب اشتداد غارات النصارى في الغرب الاندلسي ، فهيأ كل ذلك الفرصة للخليفة أبي يوسف في توجيه الضربة لملك البرتغال فقرر الجواز الى الاندلس لمواصلة الجهاد الاسلامي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م.

وقد استغل البرتغاليون فرصة مقتل الخليفة أبي يعقوب في شنترين سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م،وانسحاب ابنه أبي يوسف بالجيش وإنشغاله بمهام الحكم ، في تشديد ضغطهم على ولايات الغرب الاندلسي،خاصة عقب وفاة الفونسو هنريكيز ملك البرتغال سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وتولي ابنه سانشو الحكم مع استعانتهم بالاساطيل الصليبية لمساعدتهم في تنفيذ مخططاتهم ، حيث استولوا على شلب سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م (١) ، والتي كان سقوطها بمثابة ضربة عظيمة لنفوذ الموحدين في الاندلس،اذ فتحت الطريق للبرتغاليين لتوطيد نفوذهم في ولايات الغرب الاندلسي،والتوسع على حساب المدن الاسلامية الاندلسية. وتحرك الخليفة من رباط الفتح في أواخر محرم سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م على رأس جيشه الى الاندلس ، وسار صوب شنترين وعاث في اراضيها واستولى على حصن طرش (٢) ، ثم الى مدينة طمار وخرب أراضيها ، وفي حين سار جيش آخر لمحاربة شلب ، في الوقت الذي تحصن فيه ملك البرتغال في شنترين ، ولم يلبث ان انسحب الخليفة عائداً الى إشبيليه في الحادي عشر من جمادى الآخرة من السنة نفسها بعد عقده للهدنة مع ملك البرتغال (٣) . وقيل ان ذلك راجع الى

---

١) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠١- ٢٠٢- وأنظر ايضاً :

Miranda , A . H : Historia Almohade, I , p . 342-

Barbour, N : Al - Andalus en las crónicas Inglesas, p.139.

٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٦ – وأنظر أيضاً :

Miranda , A . H : Historia Almohade, I , p . 347-348

٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢٠٦

وجود اسطول صليبي قدم لمعونة ملك البرتغال بناءاً على طلبه (١).وفي ربيع الآخر من سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م عاد الخليفة الموحدي مرة أخرى لمواصلة الجهاد ضد البرتغاليين،حيث استولى على قصر ابي دانس، ثم على حصن قلماله وحصن المعدن وشلب ، وبعد انتهاء الخليفة من توطيد امور الغرب الاندلسي، على أثر استعادة شلب قفل راجعاً الى إشبيليه في الرابع من رجب، وظل مقيماً بها ينظم أمورها وأمور ولاة الاندلس ويزودهم بتعليماته، ثم جاز الى المغرب في منتصف شهر رمضان متوجهاً الى مراكش (٢)، حيث مرض فيها مرضاً شديداً أشرف فيه على الهلاك، ثم رحل الى فاس للراحة في بداية سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م (٣).

وعقب فترة هدوء نسبي بدأت بوادر المتاعب والقلاقل في منطقة المغرب الادنى ونشطت حركات الغز ثم حركات بني غانيه ما بين سنة ٥٨٧-٥٩١هـ/١١٩١-١١٩٤م الى جانب محاولة النصارى استغلال ما سبق وخاصة مملكة قشتاله وإعتدائها المتكرر على المدن الاندلسية ، ثم تحرك المنصور الموحدي للقضاء على حركات الغز وبني غانيه في منطقة إفريقيه ، ولكن لم يلبث ان عاد عن عزمه السير اليها ، ثم عبر البحر الى الاندلس ليقود أعظم انتصار ضد النصارى الاسبان في معركة الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م .

---

١) أنظر : Barbour, N : Al - Andalus en las crónicas Inglesas, p.140 - 141.

٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، الخاص بالموحدين ، ص ٢١٠- ٢١٢.

٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ، ص ٢١٩.

وفي نظر الموحدين فقد أثرت تلك الاوضاع على جهادهم في الاندلس ضد النصارى الاسبان ، فاستغلتها القوى النصرانية في التوسع على حساب المدن الاسلامية،وما أن هدأت الاوضاع حتى عاد من جديد وعبر الى الاندلس للجهاد مرة أخرى . وقد أثر ذلك من وجهة نظرهم على علاقتهم بالايوبيين ، اذ أعتبر الموحدون صلاح الدين مسئولاً عن نشاط الغز في إفريقيه،وهذا راجع الى إستغلالهم لاسمه في البداية ، ثم كونهم مماليك أحد عضاء الاسرة المالكة الايوبية وهو تقي الدين ابن اخي صلاح الدين ، مما ادى الى جعل صلاح الدين في هذا المأزق وهذا الوضع الذي لا يحسد عليه،رغم اثباتنا لعدم مسؤوليته عنهم - الى جانب شعور صلاح الدين بذلك ، فأصدر تعليماته لرسوله ابن منقذ بشرح ذلك لخليفة الموحدين فيما لو سأل عن الملوكين وما قاما به من تخريب وعدوان في إفريقيه .

والواقع ان النظرة الفاحصة لذلك تظهر ان اعتبار الموحدين صلاح الدين مسئولاً عن حركات الغز إنما هو إنعكاس لشعور العداء الشديد الموجود بين الموحدين وصلاح الدين ، فصلاح الدين خطب للعباسيين، كما قام الغز وبنو غانيه بالخطبة لهم أيضاً، ويضاف الى ذلك كراهية الموحدين للعباسيين، فمن الطبيعي بعد ما سبق ان ما صدر عن الموحدين تجاه الايوبيين إنما هو رد فعل لذلك العداء، اذ ان الموحدين يرون أحقيتهم بالخلافة وكذلك العباسيون.

أما فيما يتعلق بالسبب الثالث على حسب إجتهاد صاحب كتاب المعجزة، وهو ان عدم مساعدة الخليفة الموحدي لصلاح الدين راجع الى اصدار الخليفة العباسي لامره بولاية صلاح الدين على بلاد الشام ومصر وبلاد النوبة وغربي الجزيرة وعلى المغرب أيضاً فترتب على ذلك في اعتقاد صاحب هذا الاجتهاد رغبة صلاح الدين في أن يحل محل المنصور الموحدي

في بلاد المغرب عقب فوزه في الصراع ضد الصليبيين، وقد اشار الى ذلك ابن واصل قائلاً: " ...ثم طلب من الخليفة المستضيء بنور الله تقليداً جامعاً بمصر والمغرب واليمن والشام وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية، وكلما يفتحه الله تعالى للدولة العباسية بسيوفه وسيوف عساكره ولمن يقيمه من أخ أو ولد من بعده تقليداً يتضمن للنعمة تخليداً وللدعوة تجديداً " (١).

فإذا نظرنا الى هذا الامر في ضوء نجاح مغامرات الغز في المغرب الادنى، والذي يمكن ان تكون الخلافة العباسية قد اعتبرته نجاحاً لصلاح الدين، وبمقتضاه وضعت بلاد المغرب ضمن التقليد الذي منحته له، فقد سبق أن أشرنا الى عدم صلة صلاح الدين بهم بل هم مماليك ابن اخيه تقي الدين، ومن ثم يمكن تفسير أن ما قامت به الخلافة العباسية في هذا الصدد ما هو إلا انعكاساً لشعور العداء والكراهية للخلافة الموحدية، أو تطلعاً لقيام صلاح الدين اذا ما حانت له الفرصة في إعادة بلاد المغرب الى طاعة الخلافة العباسية .

وأما ما ذهب اليه أحمد عيسى في كتابه عن رغبة صلاح الدين أن يحل محل المنصور في ولايته على بلاد المغرب بمقتضى تقليد الخليفة العباسي له، فأمر كان بعيداً عن تفكير صلاح الدين، لإنشغاله في الجهاد ضد الصليبيين حتى وفاته في سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م. ومع هذا فيمكن القول أن ذلك قد ترك نوعاً من الشك لدى الموحدين حول موقف صلاح الدين، وربما يكون قد أدى الى تخوفهم منه اذا ما نجح في جهاده ضد الصليبيين، والى

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب ، م ٢ ، ص ٢٩.

وجود حالة الفتور والحذر في نظرتهم لصلاح الدين، ومن ثم فإنه من المحتمل أن يؤدي ذلك لعدم استجابة المنصور لطلب صلاح الدين .

وبعد ما سبق تبقى في الموضوع وجهة نظر نورد من خلالها السبب الاساسي في عدم اجابة المنصور طلب صلاح الدين .

اذا نظرنا الى تواريخ الحملة الصليبية الثالثة، فنلاحظ قدوم الصليبيين الى المشرق على أثر نجاح الدعوة لها، فسار امبراطور الالمان بجنده براً الى القسطنطينه ثم الى آسيا الصغرى حيث توفى غرقاً في أحد أنهارها، ثم واصل ابنه السير ببقية الجند الى إنطاكية ومنها الى صور ثم الى عكا في ٢٥ رجب سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م والتي وصلها في رمضان من نفس العام (١) .

وقد اتجه الصليبيون بقيادة كونراد دي مونتفرات الى عكا فوصلها في ١٢ ربيع الاول سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م بالاضافة الى النجدات القادمة معونة للصليبين المحاصرين لعكا (٢).

اختار ملك انجلترا وفرنسا السير بحراً الى بلاد الشام في صيف سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، حيث سار ملك فرنسا من ميناء جنوة ، وملك انجلترا من ميناء مرسيليا متجهين الى صقليه، ومكثا بها حتى إنقضاء أشهر الشتاء الى جانب تأخرهما في الابحار الى سواحل الشام. اذ غادر ملك فرنسا صقليه في سنة ٥٨٧هـ/مارس ١١٩١م بينما كان رحيل ريتشارد ملك انجلترا منها عقبه في شهر ابريل من نفس العام (٣)

---

١) ابن واصل : مفرج الكروب ، م٢ ، ص ٣٢٩-٣٣٠.

٢) ابوشامه: كتاب الروضتين،ج٢، ص١٨٣-عبد الله سعيد محمد الغامدي: صلاح الدين ،ص ٢٦٣.

٣) عبد الله سعيد محمد الغامدي : المرجع السابق ، ص ٢٦٢-٢٦٣.

وصل فيليب اغسطس ملك فرنسا الى صور ثم اتجه الى عكا بصحبة كونراد دي مونتفرات فوصلها في ١٢ ربيع الاول من سنة ٥٨٧هـ/٢٠ابريل ١١٩١م ، في حين أن ملك انجلترا اتجه الى قبرص التي وصلها في ٢٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (١).حيث استولى عليها، ثم سار منها الى ساحل الشام فوصل الى عكا في ١٣ جمادى الاولى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وبوصوله شدد الصليبيون ضغطهم على المدينة المحاصرة في سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وتم لهم بذلك انتزاعها من أيدي المسلمين (٢).

وكان صلاح الدين قد طلب النجدات من الخليفة العباسي والامراء المسلمين في الموصل وسنجار والجزيرة وغيرهم، ووصلته في ربيع الاول وجمادى اول وجمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (٣)، فكانت الحملة الصليبية والتي حاصرت عكا من سنة ٥٨٥ وحتى بداية جمادى الآخرة ٥٨٧هـ تمثل ضغط الصليبيين لاسترداد المدينة. وقد أدرك صلاح الدين خطورة الموقف بتدفق الصليبيين على عكا، وبتفوق البحرية المساندة للحملة والقادمة برفقة ملوك أوربا، وعدم قدرة اسطوله بعدد قطعه الصمود أمامها لكثرتها، وخاصة على أثر الاضرار التي أصيب بها خلال محاولته الاستيلاء على صور لغفلة رجال الاسطول، وما فقده من سفن أثناء حصار عكا الى جانب تحمله عبء امداد المدينة بالمؤن والعتاد يضاف اليه ما قام به رجال البحرية الايوبية من شجاعة وبطولة فاقت مستوى الاحداث، ولكن مع الاسف وامام كثافة اسطول الصليبيين وجد صلاح الدين

---

١) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢، ص ١٨٣.

٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، م٢ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠.

٣) ابو شامه : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، ١٨٦.

نفسه مضطراً الى الاستنجاد بالخليفة الموحدي يعقوب المنصور،حيث أرسل اليه ابن منقذ في سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م مستنجداً به لما يعلمه من تطور البحرية المغربية وكثرة عدد قطعها وخبرة وشهرة رجالها في ركوب البحر وما تميزوا به في ذلك (١).

وقد حدد صلاح الدين طلبه للخليفة الموحدي في إمداده بجزء من الاسطول الموحدي،أو قطع الامدادات البحرية القادمة للصليبين المحاصرين لعكا. فسار مبعوثه ابن منقذ الى المغرب سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، وما ان أعلم امراء افريقيه الخليفة الموحدي بوصول مبعوث صلاح الدين،حتى اصدر أمره اليهم باصطحاب الضيف الى فاس،وانزاله فيها معززاً مكرماً،وبلغها ابن منقذ في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م (٢) أثناء غياب الخليفة ابي يوسف في الاندلس ، حيث ظل ابن منقذ في فاس حتى محرم سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م.

عبر الخليفة المنصور الموحدي الى الاندلس مجاهداً ضد نصارى البرتغال في شهر محرم سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م،وظل بها حتى إنقضاء ذلك العام، وفي السنة التالية اي في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وفي شهر ربيع الثاني. قاد الخليفة الموحدي حملته الثانية ضد البرتغال والتي انتهت باستعادة المدن الهامة من النصارى مثل قصر ابي دانس وحصن قلماله وحصن المعدن وشلب، ثم عاد الى إشبيليه في رجب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وأقام بها حيث غادرها الى المغرب في شهر رمضان من نفس العام الى مراكش التي داهمه المرض بها حتى أنه أشرف على الهلاك. ثم سار الى

---

١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٢.

٢) تذكر الرواية المغربية المعاصرة وجود ابن منقذ في فاس في رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م مع ملاحظة ان سقوط عكا كان في جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار، ص ١٠٧.

فاس في بداية سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م،وفي سادس محرم من نفس العام قابل ابن منقذ رسول صلاح الدين ، وفي العاشر من محرم غادر ابن منقذ الى بلاده ،التي وصلها في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م. وبتطور الاحداث وتتابعها على هذا النحو سواء في جهة الشام أو في الاندلس،تكون السفارة قد فقدت أهميتها لنجاح الصليبيين في استرداد عكا،وما تبع ذلك من مناورات ومفاوضات بين صلاح الدين وملك انجلترا،والتي انتهت بعقد صلح الرملة في ٢٢شعبان سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، ولم تعد هناك اي جدوى في إرسال الاسطول الموحدي لإنقاذ عكا ، بالاضافة الى إنشغال المنصور الموحدي كما أشرت في قتال البرتغاليين ومن تحالف معهم من الصليبيين المتجهين صوب المشرق .

ونظرة الى الاحداث نلاحظ ان صلاح الدين بعث في ٢٨ شعبان سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م مستنجداً بالمنصور الموحدي الذي كان موجوداً في الاندلس من شهر محرم من نفس هذا العام وظل بها حتى منتصف رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م حيث غادرها عائداً الي المغرب . في حين ان ملكا فرنسا وانجلترا خلال سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م كانا موجودين في صقليه لقضاء أشهر الشتاء. ثم غادرها ملك فرنسا الذي وصل عكا في ١٢ ربيع اول سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. مع ملاحظة ان الخليفة الموحدي مازال موجوداً في الاندلس يستعد لحملته الثانية على البرتغال. وأما ملك انجلترا الذي سار الى قبرص في ٢٦ ربيع الآخر سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م ، وفي هذا الشهر ايضاً اي في ربيع الثاني سار المنصور بحملته الثانية من إشبيليه الى البرتغال مجاهداً، ثم اثناء ذلك استطاع ملك انجلترا جعل قبرص قاعدة لتمويل جيوشه على ساحل الشام، ووصل الى عكا في ١٣ من جمادى الآولى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وشدد الصليبيون في حصارهم لعكا في السابع من جمادى

الآخرة لنفس العام، في حين أن المنصور مازال مستمراً في جهاده ضد البرتغال في ذلك الحين، وكان سقوط عكا في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وإنتهاء مهمة المنصور وعودته الى إشبيليه في رجب سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م حيث مكث بها حتى منتصف رمضان ثم تركها عائداً الى مراكش في المغرب التي مرض فيها مرضاً شديداً. وتركها في بداية سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م الى فاس.

يضاف الى ما سبق ان ابن منقذ بلغ فاساً في رمضان سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م اي بعد شهرين أو أكثر من سقوط عكا في يد الصليبيين، اي ان الهدف الاساسي من سفارته وهو انقاذ عكا والحيلولة دون سقوطها في يد العدو لم يعد قائماً. الى جانب أن السبب الاساسي في عدم اجابة المنصور لطلب صلاح الدين في ارسال جزء من اسطوله الى عكا أو قطع الطريق على سفن ملكي فرنسا وانجلترا والمتجهة الى بلاد الشام هو انشغاله بالجهاد ضد البرتغال، ثم رغبته في الحفاظ على اسطوله من سفن الصليبيين،والتي كانت تمر حول شبه جزيرة ايبريا الى بلاد الشام للاستفادة منه في الجهاد ضد النصارى الاسبان.

وأما فيما يتعلق برسالة صلاح الدين الثانية الى ابن منقذ في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م والتي يظهر منها حسب قول ابن واصل في مفرج الكروب انها ارسلت عقب سقوط عكا فلم تحدد الرسالة الشهر المرسلة فيه، وعلي ضوء ما جاء فيها فنستطيع القول أن ما حدث من خلافات بين الصليبيين عقب سقوط عكا من حيث عودة ملك فرنسا الى بلاده متذرعاً بحجة المرض، ورجوع المركيس الى صور، في حين ظل ملك انجلترا وحده في مواجهة صلاح الدين،وبهذا وقع عليه عبء استعادة بيت المقدس،وبالتالي النتيجة هبوط مستوى قوى الصليبيين عما كانت عليه في وقت الضغط على عكا

ودخولها.

ومن هنا فالحاح صلاح الدين في رسالته الثانية لابن منقذ ما بين سقوط عكا في جمادى الثانية سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وحتى توقيع صلح الرمله في ٢٢ شعبان سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ليس له ما يبرره نظراً لقيام المفاوضات بينه وبين ملك انجلترا لتسوية أمور الصلبيين في بلاد الشام بسبب مرض ريتشارد قلب الاسد ثم فشله في استعادة بيت المقدس – سبب قدوم هذه الحملة – ورغبته في العودة الى بلاده خوفاً من مؤامرات ملك فرنسا ضده أثناء غيابه في بلاد الشام .

وأما عن موقف المنصور في تلك الاثناء فأيضاً لم يكن من الممكن بالنسبة له اجابة طلب صلاح الدين لاسباب منها : عودته متأخراً من جهاده في الاندلس ثم مرضه الذي أشرف فيه على الهلاك،قبل لقائه للسفير المصري في بداية محرم سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م ، هذا بالاضافة الى ما سبق ولاحظناه في احداث المغرب من ناحية عودة بني غانيه لنشاطهم في المغرب ما بين سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وسنة ٥٩١هـ/١١٩٤م ، وتخوف المنصور من تحركات النصارى الاسبان وهو الذي استدعى عبوره الى الاندلس وهزيمتهم في معركة الارك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م ، لهذا كان رده لابن منقذ مجملاً وأحاله على وزرائه لتوضيح الاجابة على طلب صلاح الدين . ولم يمنع ذلك المنصور من تحميل ابن منقذ كل عبارات التقدير والاحترام لجهود صلاح الدين في خدمة المسلمين .

العلاقة بين المغرب ودولة الكانم والبرنو

قامت دولة الكانم والبرنو في اقليم كانم (١) الواقع في السودان الاوسط الى الشرق والشمال الشرقي من بحيرة تشاد ، وهي لا تبعد عن اقليم فزان بليبيا باكثر من مسيرة اربعين يوماً (٢) . وترجع اهمية تاريخها الى وجودها مدة طويلة حيث عمرت اكثر من تسعة قرون ، وقد أقامها الوطنيون الافريقيون ، ثم دعم الاسلام استمرارها . وارتبطت بمصر والمغرب بصلات سياسية وتجارية وثقافية .

وينقسم تاريخ هذه الدولة الى عصرين: العصر الكانمي ويمتد من وجود الدولة في اقليم كانم حوالي القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي الى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي . ثم العصر

---

١) الكانم هم جنس من السودان وقاعدته مدينة جيمي ...وفيها سلطان الكانم المشهور بالجهاد وافعال الخير وهو من ولد سيف بن ذي يزن وكانت قاعدتهم قبل الاسلام مدينة منان ولإسلام جده الرابع على يد أحد الفقهاء دور في انتشار الاسلام في بلاد الكانم وعن ذلك أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٤٣٢- ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٥٩ - مالي عند الجغرافيين المسلمين ، ص ٣٥-٣٦

٢) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية ، ص ١٩٠.

البرنوي(١) ويبدأ من أوخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي الى نهاية الدولة في غمرة الاستعمار الاوربي الحديث (٢).

وفي حديثي عن تاريخ الدولة ما يهمني فيها بالدرجة الاولى علاقتها ببلاد المغرب،تلك العلاقة التي تمثل صلة عالمين أحدهما مطل على البحر الابيض المتوسط والآخر جنوب الصحراء . وهي صلة لم تفرضها الظروف السياسية أو معرفة المسالك أو اكتشاف اراضي مجهولة بل فرضها التجانس البشري والتجاور المكاني على الرغم من عامل المناخ الذي بدل الصفات الجسمية (٣).

ونلاحظ خلال العصور الاسلامية انصراف المغرب الى مشاكله الداخلية ثم اهتمامه بالاندلس وشئونه واهتمام الاندلس به ، ولم يقف كل ذلك حائلاً بين استمرار الصلات بين المغرب ودولة الكانم والبرنو خصوصاً في النواحي العلمية والتجارية بالاضافة الى العلاقات السياسية التي تظهر بين حين وآخر فضلاً عن التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين الجانبين . وقد بلغت مملكة الكانم أوج مجدها في خلال القرنين السادس والسابع

---

١) اطلق الشواء وهم العرب في منطقة بحيرة تشاد كلمة بارنو على مجموعة قبائل الكانوري وهي تحريف لكلمة باران (Baran) أوبارام (Baram) في بعض اللغات الصحراوية وتعني الرجال أو المحاربون، ووردت هذه التسمية بهذه الدلالة في المراجع العربية فيقال بلاد البرنو أو مملكة البرنو. وعن ذلك أنظر ابراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو الاسلامية، ... ص ٥ وعن موقعها أنظر ص ١٨ – وعن سكان بحيرة تشاد أنظر ص ١٩–٣٨– وعن انتشار الاسلام فيها أنظر ص ٦٥– ٧٨.

٢) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٧–٨.

٣) محمد أحمد المغربي : موريتانيا ، مطبعة مولاطو ، الرباط ، ص ٩٢، ص ١٠١.

الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين،وربطتها صلات وثيقة جداً ببلاد مصر وتونس وغيرها من البلاد الاسلامية الى جانب المراسلات بينها وبين تلك البلدان والتي حفظتها لنا السجلات والوثائق التاريخية(١).

واذا تتبعنا علاقة بلاد الكانم ومصر فنجدها واضحة المعالم،نظراً لوقوعها في طريق المسافرين الى الاراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، فعملت حكومتها في مختلف العصور على تسهيل وتيسيرأمور المارين بها بالاضافة الى التبادل التجاري والثقافي (٢).

وأما فيما يختص بعلاقة بلاد المغرب وبلاد الكانم فهي وثيقة ، ولم تقف احداث المغرب حائلاً دون استمرار الصلات ، ولكن قلة المادة العلمية في بعض الاحيان تجعل أمر تتبعنا لهذه العلاقة في النواحي السياسية محاطاً بالصعوبات الكثيرة ، ومن المعروف ان هذه الدولة منذ اعتنق ملوكها الاسلام خلال عصر سيادة كانم اصبحت تتمتع بمكانة مرموقة بين دول السودان وقد إتخذ حكام هذه الدولة لقب الماي (Mai) وتعني الملك أو السيد (٣).

ومن الملوك الذين تعاقبوا على حكم هذه الدولة خلال عهد المرابطين ثم الموحدين ، الملك أوم بن عبد الجليل (Umme) سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م،الذي تمتع بشهرة عظيمة ليست من كونه ملكاً لهذه الدولة، بل بإعتباره

---

١) آدم عبد الله الالوري : موجز تاريخ نيجيريا ، ص ١٥٨

٢) عن تفاصيل تلك العلاقة مع مصر أنظر : ابراهيم على طرخان : امبراطورية البرنو، ص ١٧١-١٧٣.

٣) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٢١٥.

منظماً وإدارياً لها . وفي عهده ظهر خطر قبائل البولالا (Bulala) (١) وبعث لهم بجيش كبير بقيادة ابن اخيه عبد الله استطاع هزيمتهم وأجبرهم على دفع الجزية ، ولكنهم لم يلبثوا ان عادوا لمهاجمة كانم مرة أخرى،وبلغت بلاد الكانم درجة كبيرة من القوة والاتساع في عهد ابنه الماي دونمه بن أوم (Dunama Ummemi) (٤٩٢-٥٤٦هـ/١٠٩٨-١١٥١م) الذي وصل عدد خيله نحو مائة الف فرس،وجيشه نحو مئة وعشرين الف ، ويعتبر من أعظم حكام بلاد الكانم أذ وصلت حدود بلاده الشرقيه والشماليه الشرقيه الى قرب حدود مصر،وقد أدى فريضة الحج ثلاث مرات،وله علاقات مع مصر في زمن الفاطميين ، وقيل أن الفاطميين دبروا أمر إغتياله خشية بطشه لما عرفوه من سطوته وقوته (٢).

وكان ابنه الماي دالا أوبيري بن دونمه (Mai Dālā Biri) (٥٤٦-٥٧٢هـ/١١٥١-١١٧٧م) فقيهاً عالماً ذايع الصيت (٣) ، وقيل انه ابتعد في احكامه عن بعض القواعد الشرعية ،مما دفع بوالدته الملكة جومسوفاساما (Gamsu Fasama) الى سجنه (٤).

وفي عهد ابنه الماي دالا بكر او عبدالله بن بيري (Dālā Bikar) (٥٧٣-٥٩١هـ/١١٧٧-١١٩٤م) قام بمهاجمة قبائل البولالا في منطقة بئر

---

١) البولالا (Bulala) بمعنى الاحرار أو النبلاء بلغة الطوارق ، ويقال انهم نتاج المصاهرة التي تمت بين الشواء – وهم العرب المقيمون في منطقة تشاد – مع الوطنيين الزنوج . أنظر ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٩٦-١٠٢.

٢) ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٨٤-٨٥.

٣) دائرة المعارف الاسلامية : ج ٣ ، مادة برنو ، ص ٥٨٦.

٤) ابراهيم طرخان :امبراطورية البرنو، ص ٦٩.

كابيلا (Kabila) قرب صخرة موسى اي في واحة العوينات ، وقد اصدر هذا الماي مرسومين احدهما في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م ، والثاني في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م واختصت هذه المراسيم بعلاقة بلاد الكانم بقبيلة بني المختار ، والملاحظ في المراسيم انها مكتوبة باللغة العربية،وهي اللغة الرسمية لحكومة الكانم بالاضافة الى تدوينها بالتاريخ الهجرى (١).

وفي عهد الماي سالما بن بكر (Salma) أو عبد الجليل بن بكر ٥٩١-٦١٨هـ/١١٩٤-١٢٢١م ازداد عدد الداخلين في الاسلام وتميز عهده بظهور خطر الصو (So) الخاضعين له (٢)، اذ كانوا كثيري الثورة عليه مما جعلهم سبباً رئيسياً في عدم إتساع الدولة وعاملاً هاماً ساهم في إضعافها، ومع ذلك استطاعت جيوشه بما إمتازت به من قوة مكافحة هذا الخطر والتصدي له، ولكنه قتل في إحدى معاركه ضدهم (٣).

وكان الماي سالما موضع احترام وتقدير من شعبه بما حازه من صفات وقوة مكنته من فرض نفوذه على القبائل المجاورة، ويلاحظ في اسمه سالما انه اكتسبه من سواد لونه الذي اشتهر به بعكس اسلافه المايات من ذوي البشرة البيضاء (٤).

---

١) ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ، ص ٨٥.

٢) الصو (So) أحد اقسام الفولانيين وهم السكان الاصليون للاقليم الواقع بين واحة يو أو واو (Yeou Wau) الواقعة شمال تيبستس وبين نهر شاري (Shari) جنوب بحيرة تشاد ، وتقع واحة واو في المنطقة التي عرفها العرب باسم ودان . لمزيد من التفاصيل أنظر ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ١٩-٢٣.

٣) ابراهيم علي طرخان : المرجع السابق ، ص ٨٥.

٤) سالما هنا صفة اي بمعنى اسود . أنظر دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، مادة برنو ، ص ٥٨٦.

وبعد الاستعراض السابق لبعض حكام بلاد الكانم نلاحظ اشياء هامة في موضوع علاقة هذه الدول بالمغرب ومع غيرها من الدول الاسلامية.

فمثلاً يلاحظ ان العلاقة السياسية مع مصر أشد ظهوراً ووضوحاً وحفظت لنا كتب التراث وثائق ورسائل لذلك سواء في النواحي السياسية أو في المجالات الحضارية، وكنا نطمح أن يكون الامر كذلك في العلاقات مع المغرب، ولكن قلة المادة العلمية في النواحي السياسية وتوفرها في النواحي الحضارية تجعلنا نواجه صعوبات كثيرة في تتبعنا لها في تلك الناحية.

وعلى الرغم من إنشغال المغرب بإموره ومشاكله السياسية سواء في فترات ضعفه وانتقال زمام السيطرة للاندلس ، أو في فترات ضعف الاندلس وقيام المغرب بالسيطرة عليه ، فإن ذلك لم يقف عائقاً دون استمرار الصلات بين المغرب وجنوب الصحراء الكبرى ، كما نرى ان صلات بلاد الكانم والمغرب تعود الى فترات قديمة خصوصاً في النواحي السكانية (١) . وقد قوى الاسلام هذه الصلات عن طريق العلماء الذين قاموا بنشرها بين سكان هذه المناطق ، واذا كانت معلوماتنا عن الصلات بين البلدين في عهد الموحدين قليلة في المجال السياسي ، فإنها تعتبر في المجالات الأخرى استمراراً لما سبق وتتوقف على الظروف والاحوال التي تسيطرعلى البلدين .

---

١) محمد أحمد الغربي : موريتانيا ، ص ٩٠ - حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة ، ص ٦١ (وأنظر فيما بعد مزيدا من الإيضاحات للعلاقة الاجتماعية بين المغرب وبلاد الكانم في الفصل الخاص بالنواحي الحضارية).

وعبر الطرق التي ربطت بين بلاد الكانم والمغرب (١) استمرت العلاقات وخاصة عن طريق منطقة فزان ، ثم مع أمراء إفريقية لفترة الموحدين – ولكن مع الاسف لا نعرف عنها الا القليل ، أو لعل هناك معلومات بهذا الصدد ولم يكشف عنها النقاب بعد – وقد سارت الهدايا والتحف الى ملوك المغرب وخلفائه ومنها الزرافة وهو الحيوان الذي اشتهرت به بلاد الكانم وبرنو ، وقيل ان أحد ملوك السودان قد أهداها للمنصور الموحدي (٢) .

والى جانب ذلك هناك أيضاً العلاقات الثقافية بين المغرب وبلاد الكانم والبرنو،والتي تمثلت في رحلة العلماء بينهما حاملين معهم مؤثراتهم الى الجانب الآخر ونجدها بوضوح تام وخاصة في عهد المنصور الموحدي (٣).

واذا ابتعدنا بعض الشيء عن عهد المنصور،ونظرنا الى العلاقات بين المغرب وبلاد الكانم نجد انه في عهد حفيده الخليفة يوسف المستنصر بالله(٤) ، وبعد قضاء يحيى بن غانيه على قراقوش الغزي وابنه في ودان سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م قام ابن آخر له عرف بالشجاعة وله شهرة واسعة،وقد

---

١) انظر تفاصيل تلك الطرق عند الحديث عن النواحي التجارية في الفصل الحضاري .

٢) المراكشي : المعجب ، ص ٣٠٥- عبد الوهاب بن منصور : حفريات صحراوية مغربية ، ص ٢٥- ويلاحظ ان بلاد الكانم والبرنو اشتهرت بوجود حيوان الزرافة فيها . وعن ذلك أنظر ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١٦٣.

٣) أنظر تفاصيل ذلك في الفصل الخاص بالناحية الحضارية .

٤) حكم من (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) ويعتبر عهده مرحلة انهيار وصراع وإضطراب أصاب ذلك الصرح الشامخ الذي شاده اجداده . عن تلك الفترة أنظر محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، العصر الثالث ، القسم الثاني ، ص ٣٢٨-٣٤٧.

ولاه المستنصر بالله على طائفة من الجند في الحضرة، ولم يلبث ان حدثته نفسه بالثورة على الموحدين والسير على منوال ابيه. وفر ابن قراقوش بطائفة من اصحابه الى ودان واشعل بها الثورة،فما كان من ملك الكانم والبرنو الا ان بعث اليه من قتله وقضى علي تلك الفتنة وذلك في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م (١)

وقد اشار لهذه الحادثة مؤرخ أخر ولعله ينقل عن التجاني ولكن بتحريف بسيط اذ يقول: " ...وسار اليه يحيى فانتهز قراقبش ولحق بالجبال وتوغل فيها ثم فر الى الصحراء ونزل ودّان ولم يزل بها الى ان حاصره ابن غانيه من بعد ذلك بمدة وجمع عليه أهل الثأر من ذباب واقتحمها عليه عنوة وقتله ،وابنه بالموحدين ولم يزل بالحضرة الى أيام المستنصر ثم فر الى ودان وأجلب في الفتنة فبعث اليه ملك كانم من قتله لسنة ست وخمسين وخمسمائة" (٢).

واذا سلمنا بهذه الحقيقة التي انفرد التجاني بذكرها،ولم يشر اليها ابن عذاري في البيان المغرب ،ولا ابن ابي زرع في روض القرطاس يحق لنا هنا ان نبحث على ضوئها في أمور عدة منها :

لماذا لم يذكر التجاني تفاصيل واسعة عن هذه الثورة وخاصة كما يقول انها منذ عهد المستنصر وانتهت في عهد الخليفة المرتضى لأمر الله (٦١٠-٦٥٦هـ/١٢١٣-١٢٥٨م) وهي فترة طويلة حيث ذكر أن مقتل الثائر كان في سنة ست وخمسين وستمائة ، في حين ان ابن خلدون يجعلها خطأً في سنة ست وخمسين وخمسمائة،وهو وقت سابق جداً على هذه

---

١) التجاني : رحلة التجاني ، ص ١١١.

٢) ابن خلدون : العبر ، م ٦ ، ص ١٩٣.

الاحداث اذ نرى التجاني يذكر أمر هذه الثورة بعد موت قراقوش بمدة.

ويلاحظ أيضاً ان ملك الكانم المعاصر لتلك الفترة هو الماي سالما بن بكر (٥٩١-٦١٨هـ/١١٩٤-١٢٢١م) ثم ابنه أحمد دونما أو دونمه بن دابالا - وهو اسم أمه - وامتد حكمه من سنة (٦١٨-٦٥٨هـ/١٢٢١-١٢٥٩م) (١) وهذا يعني أن قاتله هو الماي أحمد بن دونمه،وبالتالي يدل ذلك على تقديم هذه البلاد المساعدة لحكام المغرب خلال أزماتهم ، مما يدعم ويقوي العلاقات الموجودة بين المغرب وبلاد الكانم واستمرارها ، مما يستلزم منا المزيد من البحث الخاص بعلاقة بلاد الكانم والبرنو ببلاد المغرب فقد يسفر عن إلقاء الضوء على الفترات السابقة والفترات اللاحقة لعهد المنصور .

ولكن اذا انكرنا هذه الحقيقة والتي انفرد التجاني بذكرها اعتماداً على عدم ايراد ابن عذاري ولا صاحب روض القرطاس لها ، فإننا نظل في أشد الحاجة الى البحث الدقيق والدراسة الواعية والتي قد توصلنا الى معلومات جديدة اذا اكتشفت مخطوطات أو وثائق جديدة توضح على نحو أفضل العلاقات بين بلاد الكانم والبرنو وبلاد المغرب زمن الموحدين ولا سيما في زمن المنصور.

---

١) ابراهيم على طرخان :امبرطورية البرنو ، ص ١٨١.